

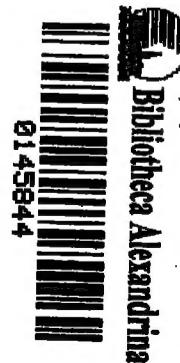
الدكتور بديع محمد جمعة

من قضايا الشعر الفارسي الحديث
في النصف الأول من القرن العشرين

الطبعة الأولى

١٩٨٠

دار النهضة العربية
للطباعة والنشر
بيروت - ب ٧١



من قصايا الشعر الفارسي الحديث
« في النصف الأول من القرن العشرين »

الدكتور بديع محمد جمعة

من قضايا الشعر الفارسي الحديث
في النصف الأول من القرن العشرين

الطبعة الأولى

١٩٨٠

دار: مكتبة العربية
للطباعة والنشر
ببيروت ص.ب ٧٤٩

الإهداء

إلى زوجتي ورفيقة دري
إلى من تتحمل عني كل عبء
أعتر يا هدا هذا الكتاب ...

بديع جمعة

المقتطفات

ظل الأدب الفارسي عبر عصوره المختلفة - قبل العصر الحديث - مرتبطاً بالبلاط والحكام ، حيث كان كل أديب - كاتباً كان أم شاعراً - حريصاً على التقرب إلى حاكم زمانه أملاً في هباته وعطاياه ، أو رغبة في منصب يتيح لصاحبه المكانة والجاه ، كما كان الملوك متلهفين على استقطاب أكبر عدد من الكتاب والشعراء والمفكرين ، والإغداق عليهم بالأموال والهبات والعطايا ليكونوا أبواق دعاية لهم ، فكلنا يعرف المجهود الكبير الذي بذله السلطان محمود الغزنوي في جمع أكبر عدد من أدباء وفلاسفة ومفكري عصره للعيش تحت كنفه ، والتأليف والنظم باسمه ، ومنهم الشاعر الفردوسي ، والفيلسوف ابن سينا ، والمؤرخ الكبير البيروني والرياضي أبو نصر بن العراق ، وغيرهم كثيرون ، ثم تبعه في ذلك بنوه وأحفاده من حكام الدولة الغزنوية في إيران والهند .

ولم يكن هذا الأمر قاصراً على البلاط الغزنوي ، بل ظل الحال كذلك لدى السلاجقة فقد كان عمر الخيام يعمل في بلاط ملكشاه السلجوقي ، وإن لم ينظم شعراً يمدح فيه أحداً ، كما كان الكاتب الكبير نظام الملك مؤلف كتاب « سياست نامه » ، قد تولى منصب الوزير الأول لدى السلاجقة طوال ثلاثين عاماً .

وعلى الرغم من كراهية المغول - في بداية زحفهم - للأدباء والمثقفين وتخوفهم منهم ، وقتلهم الكثيرين من أهل الفكر والأدب ؛ فإنهم بعد أن استقروا وتحصّروا بدأوا في تقريب هؤلاء الكتاب والشعراء ، ونخير دليل على ذلك إسنادهم منصب الوزارة إلى المؤرخ الكبير رشيد الدين فضل الله .

وهكذا كان الأدب الفارسي خلال هذه العصور وما تلتها من عصور تولت الحكم فيها دول عديدة أهمها الدولة الصفوية والدولة الأفشارية والدولة الزندية والدولة القاجارية أدب بلاط ، ولهذا كانت موضوعات الأدب وثيقة الصلة بحياة الملوك ورجال الحاشية ذلك إذا تجاوزنا الحديث عن الأدب الصوفي ، فكان الشعراء مولعين بالنظم في مدح هؤلاء الملوك ووصف بطولاتهم ومجالس شرايهم ، وهجاء أعدائهم ... إلى غير ذلك من الموضوعات التي تعلي شأن هؤلاء الملوك وترفع من مكانتهم وتحقق للشعراء الجاه والمال .

ثم جاء العصر الحديث بتغييراته الشاملة في نظم الحكم وتحرير الفرد وإسقاط نظرية حق التفويض الإلهي ، وأصبح الحاكم مجرد مواطن يتقلد منصباً ومكلفاً بعمل من قبل أمته ، يثاب عايه إذا أصاب ، ويحاسب إذا أخطأ ، كما لم يعد من حق الحاكم أن يوظف لديه عدداً من الشعراء والكتاب لا تكون لهم مهمة غير مدحه وتبرير أخطائه ، وتضليل الشعب أملاً في حفاظ ذلك الملك أو السلطان على كرسي العرش .

كما أدرك الكتاب والشعراء والمفكرون أن مهمتهم في العصر الحديث تختلف عن ذلك الدور الذي لعبه أقرانهم في العصور السابقة ، فواجبهم أصبح الوقوف بجانب شعوبهم ، والتحدث عن القضايا التي تهم الوطن بجميع طوائفه وطبقاته ، سواء أكانت هذه القضايا سياسية أو اجتماعية أو أدبية ...

ولكن لما كانت دائرة الأدب الحديث من السعة بحيث لا يمكن الإحاطة بها كلها ، والتحدث عن كل الأنماط الأدبية من شعر ومقالة وصحافة ومسرح وقصة وغير ذلك من الأنماط العديدة التي أثّرت الأدب الحديث وجعلته يبدو في صورة غير تلك الصورة التي اتسم بها الأدب الفارسي طوال قرون عديدة سالفة ، فإننا لن نستطيع الإلمام بكل هذه الأنماط ؛ بل سنكتفي بالحديث - وبصورة مقتضبة - عن بعض القضايا التي اهتم بمعالجتها الشعراء الإيرانيون خلال النصف الأول من القرن العشرين ، لأن هذه الفترة كانت حافلة بالعديد من القضايا ، وبكثير من التغييرات التي طرأت على الأدب الفارسي التقليدي في عصوره السابقة ، وهذه الفترة ، مع ربطها أحياناً بالسنوات القليلة السابقة عليها ، تستحق في حد ذاتها أن تكون موضوع دراسة مستقلة ، بل إن كل قضية من القضايا التي ستحدث عنها ، تصلح بمفردها لتكون موضوع كتاب بأكمله ، بل موضوعاً لعدد من الكتب والمجلدات كي يوفيهها الباحثون حقها من الدراسة والتمحيص .

وأرجو أن تسنح الظروف للكتابة بعد ذلك عن النثر الفارسي خلال نفس الفترة من القرن العشرين ، وبعد ذلك ننال في كتاب ثالث الأدب الفارسي ؛ شعره ونثره خلال النصف الثاني من القرن العشرين ، لنركز على دراسة بعض قضايا الأدب الفارسي في صورته المعاصرة .

والله الموفق .

بديع جمعة

التمهيد

الحياة السياسية والاجتماعية في ايران خلال العصر الحديث

الإنتاج الأدبي كائن حي يتأثر بالظروف البيئية المحيطة به ، ويؤثر فيها ، سواء أكانت هذه الظروف سياسية أو اجتماعية بكل ما تحمله كلمة اجتماع من معانٍ عديدة . لذا يجب علينا - قبل أن نتناول بعض قضايا الأدب الإيراني الحديث بالدراسة والمناقشة - أن نلقي نظرة سريعة إلى ما كان يكتنف الحياة الإيرانية من ظروف وملايسات أثرت أيما تأثير في الأنماط الأدبية ، والموضوعات والقضايا التي تناولها الكتاب والشعراء ، كما أن الأدب قد تفاعل مع هذه الظروف ، وتناولها بالنقد والتحليل والتعليق ، لذا يجمل بنا أن نلقي نظرة سريعة إلى أهم معالم الحياتين السياسية والاجتماعية ، حتى يمكننا أن نتفهم قضايا الأدب الإيراني الحديث ، وندرك بعض العوامل التي وجهته حتى وصل إلى الصورة التي وجدناه عليها خلال النصف الأول من القرن العشرين .

* * *

الحياة السياسية :

على الرغم من أن موضوع الكتاب دراسة بعض قضايا الأدب الفارسي خلال النصف الأول من القرن العشرين ، فإنه يمكن القول بأن العصر

الحديث في إيران قد بدأ منذ قيام الدولة القاجارية (١٧٩٦م) حيث بدأت إيران تنفتح على العالم أكثر من ذي قبل . كما بدأت تيارات الفكر المعاصر تصل إلى مشام الإيرانيين ، فإذا بهم يتفاعلون بها وينادون بضرورة التغيير في شكل المجتمع الذي يعيشون فيه ، ويطالبون بالقضاء على المفاسد الاجتماعية التي تفتشت في إيران وبخاصة في أواخر القرن الماضي وأوائل القرن الحالي مما أشعر الإيراني بأنه غريب في وطنه ، حيث باع الحكام البلاد إما بالتواطؤ أو بالتخاذل ، فقد فقدت إيران أجزاء كبيرة من أراضيها إبان حكم ناصر الدين شاه القاجاري (١٨٤٧ - ١٨٩٦م)^(١) ، حيث استولت روسيا على أجزاء كبيرة من خراسان وتركستان وما وراء النهر ، وكذلك أجزاء أخرى من آذربيجان وأرمينيا ، إلى جانب انفصال أفغانستان في أواخر حكم الدولة الصفوية . ونتيجة لهذا الفساد السياسي انتشرت موجة من الاغتيالات السياسية ، فقد اغتيل ناصر الدين شاه عام ١٨٩٦ ، وذلك في احتفال ديني عام أقيم في ضريح الشاه عبد العظيم الواقع جنوبي طهران ، وقد ألقي القبض على القاتل - ويدعى آقاخان كرماني - وزج به في السجن ، وقبل أن ينفذ فيه حكم الإعدام ، سجل خواطره بدمه على جدران الزنزانة ؛ فكتب :

بايران مباد آنچنان روز بد كه كشور به بيگانگان اوفتد
نخواهم زماني كه اين نو عروس بيفتد بوزير جوانان روس
بگيتي مباد اين حور ديس شود همسر لردى از انگليس

١ - أحمد كسروي تبريزي : تاريخ مشروطه ايران - جاب دهم - طهران

١٢٥٢ ش ، ص : ١٨ .

وترجمتها :

— فليجنب الله إيران مثل ذلك اليوم الشؤم الذي وقعت فيه تحت
وطأة الأجانب !

— ولا أتمنى أن يأتي ذلك الزمن الذي تكون فيه هذه العروس موطأ
لشباب الروس !

— ولنجنب يا إلهي هذه الشبهة بالخور ، أن تكون قرينة للورد
إنجليزي !

ولعلنا نلاحظ أن القاتل قد برر فعلته بأن ناصر الدين شاه قد أوقع
ببلاده تحت وطأة كل من روسيا وإنجلترا ، وقد كان التنافس بين هاتين
الدولتين العظميين على بسط النفوذ على أكبر رقعة من الأرض الإيرانية
سبباً في سوء التفاهم فيما بينهما ، وفي حدوث مشاكل كثيرة لإيران
والإيرانيين ، ولكي يوقف الروس والإنجليز هذا التطاحن ، وقّعوا فيما
بينهم اتفاقية قسموا بمقتضاها إيران إلى مناطق نفوذ ، حيث أصبحت المناطق
الشمالية تحت سيطرة الروس ، في حين سيطرت إنجلترا على المناطق
الجنوبية من إيران ، وظلت بين المنطقتين منطقة ثالثة صغيرة محايدة ،
حتى لا تتعدى قوات أي دولة منهما على منطقة نفوذ الدولة الأخرى .
وقد وُقعت هذه الاتفاقية في عام ١٩٠٧ م .

ونتيجة لهذه المفاصد السياسية وتسلط حكام إيران ، فقد ثار الشعب —
وبخاصة المثقفين والكادحين — وطالبوا بوجود دستور ينظم علاقة الحاكم
بالمحكومين ، وعلاقة المحكومين بعضهم ببعض الآخر ، وعرفت هذه
الثورة باسم « الثورة الدستورية » ، أي الثورة المطالبة بدستور وحياة
نيابية ، يشارك الشعب الشاه والحكومة في تسيير دفة الأمور في البلاد ،

وقد ساعد على اشتعال أوار هذه الثورة سفر بعض الإيرانيين إلى البلاد الأوروبية ومشاهدتهم كيف تمضي الحياة السياسية في هذه البلاد ، وكيف يعيش الأوروبيون في ظل نظم ودساتير تكفل للجميع الحرية والمشاركة في صنع القرار ، ومن العوامل التي ساعدت كذلك ذبوع مبادئ الحرية والإخاء والمساواة التي أوجدتها الثورة الفرنسية في أوروبا كلها وانتقال هذه الأفكار إلى بعض بلاد الشرق ومنها إيران ، وكذلك الدور الرائد الذي لعبه جمال الدين الأسدآبادي (الأفغاني) في تأليب الإيرانيين ضد جلاذيتهم من الملوك وأعوانهم ، إلى جانب شعور الإيرانيين بالظلم الاجتماعي والتقسيم الطبقي المجحف وإحساسهم بأن خيرات بلادهم قد أصبحت نهياً لكل أجنبي .

وأخيراً رضخ الشاه مظفر الدين القاجاري (١٨٩٦ - ١٩٠٧ م) لإرادة الجماهير ، وأصدر الدستور في الخامس من أغسطس عام ١٩٠٦^(١) ، وعلى أثر ذلك قامت أول حياة نيابية في إيران .

ولكن لم يمض أكثر من عام ونصف على قيام الحركة النيابية حتى تجرأ محمد علي شاه (١٩٠٧ - ١٩٠٩ م) - بمساندة من الروس والإنجليز - على ضرب البرلمان بالمدافع ، وقد تولى هذه المهمة حرسه الخاص المعروف باسم فرقة القوزاق ، والتي كان يرأسها ضابط روسي ، ويشارك فيها بعض الجنود والضباط من الروس ، وبعد ذلك نفى جمعاً من النواب ، وأوقف بعض الصحف ، وتوقفت الحياة النيابية^(٢) .

١ - تاريخ مشروطه ايران ، ص : ٥٨ .

٢ - دكتور مهدي ملكزاده : تاريخ انقلاب مشروطيت ايران ، جلد دوم .
طهران ١٣٢٩ ش ، ص : ٢١٣ .

ولكن الشعب الإيراني لم يقف مكتوف الأيدي أمام هذا الظلم البين ، وهذا التطاول على أول منبر يعبر - ولو بصورة محدودة - عن إرادة الجماهير وتطلعاتهم ، فقامت ثورات عديدة ضد هذا الشاه مطالبة بعودة الحياة النيابية ، وكان الشاه يجمع هذه الثورات بمساعدة قوات روسية ، ولكن الثورة الشعبية لم تتوقف حتى تم خلع هذا الشاه عن الحكم في عام ١٩٠٩ م ، وإسناد الحكم إلى ابنه الصغير أحمد شاه (١٩٠٩ - ١٩٢٥ م) ، وعين عليرضا خان عضد الدولة وصياً عليه^(١) ، حتى بلغ سن الرشيد في عام ١٩١٤ .

وتوالى الأحداث السياسية والاضطراب يسود إيران ، حتى اندلعت نار الحرب العالمية الأولى . فسارعت إيران بإعلان حيادها ، وعلى الرغم من ذلك أصبحت طهران - وكل إيران - مرتعاً للمؤامرات التي يقوم بها الدبلوماسيون الروس والإنجليز ، وكذلك قوات الدولتين المنتشرة في أجزاء كبيرة من الأراضي الإيرانية بمقتضى الاتفاقية الموقعة فيما بينهما عام ١٩٠٧ ، كما شارك في هذه المؤامرات دبلوماسيو ألمانيا وأعوانها رغبة في الوصول إلى إيران ، وأملًا في ضرب كل من روسيا وإنجلترا ، وقد كان الشعور الإيراني العام متعاطفاً مع ألمانيا أملاً في الخلاص من النفوذين الروسي والإنجليزي ، ونتيجة لهذا الاضطراب فقد سيطر العثمانيون على منطقة آذربيجان ، كما مدت إنجلترا سيطرتها على بعض مناطق إيران في كل من خراسان وما وراء النهر ، وذلك خارج المناطق التي استولت عليها روسيا من قبل .

وبعد سنوات من الاضطراب والدمار انتهت الحرب العالمية الأولى ، وكانت إيران تأمل أن ينتهي معها النفوذ الروسي والإنجليزي ، ولكن

١ - سر يرسى سايكس : تاريخ إيران من ٥٨٧ - ٥٩٥ .

حدث في مؤتمر باريس عام ١٩١٩ والذي عقده الحلفاء للتفاوض بشأن تنظيم العالم بعد انتهاء الحرب، أن تمكنت إنجلترا من أن تفرض على إيران قبول معاهدة تعطي الحق للإنجليز في الإشراف على معظم مناحي الحياة الإيرانية وبخاصة الأمور العسكرية والمالية ، وكان إيران قد أصبحت تحت الانتداب البريطاني ، أو تحت الوصاية البريطانية^(١) ، وقد ثار أحرار إيران ضد هذه الاتفاقية ، واتهموا أحمد شاه القاجاري بالخيانة والتواطؤ مع الإنجليز ، كما غضبت روسيا أشد الغضب لتوقيع مثل هذه المعاهدة التي تعمل على إخراجها من الساحة الإيرانية ، ولكن قيام الثورة الروسية جعل روسيا تغير من نظرتها إلى إيران ، فأعلنت تنازلها عن اتفاقية عام ١٩٠٧ التي وقعت مع إنجلترا لتقسيم إيران إلى مناطق نفوذ فيما بينهما ، وبذلك خرجت روسيا من إيران تاركة الفرصة لإنجلترا ، لكي تنفرد بالتحكم في كل الأراضي الإيرانية ، والعمل على نهب خيراتها ، كما تخلى الضباط الروس عن رئاسة فرقة القوزاق الإيرانية .

‘ ظلت حالة الاضطراب هذه سائدة في إيران إلى أن ظهر قائد حربي ، أخذ يعمل لنفسه أولاً ولإيران ثانياً ووجد الفرصة مهيأة لكي ينقض على كرسي الحكم ، وهذا القائد هو رضا خان « البهلوي » ، الذي التحق وهو شاب بالجيش وعمل بفرقة القوزاق الروسية الإشراف ، والتي كانت بمثابة خرس خاص للشاه الإيراني ، وظل يترقى هذا الضابط الشاب حتى تمكن في النهاية من أن يكون أول قائد لهذه الفرقة بعد أن تنحى عن ذلك الضباط الروس ، ولا شك أن هذا التطور أعجب الإيرانيين في حينه ، فبدأت العيون تتطلع إليه ، وبدأ رضا يعمل على زيادة نفوذه

١ - دكتور نصرت الله حكيم الهادي : عصر بهلوي وتحولات إيران ، طهران ١٣٤٦ ش ، ص : ٣ .

داخل دولة عدمت الشخصية القوية التي تستطيع الإمساك بأزمة الأمور
بيد قوية .

وأول عمل قام به القائد رضا خان أن تقدم بقواته من قزوين إلى طهران ،
وأقصى الحكومة الموجودة آنذاك^(١) ، وأسند الأمر إلى صديقه سيد ضياء
الدين طباطبائي ، وان احتفظ رضا لنفسه بمنصب وزير الحربية وقائد الجيش ،
وكان ذلك عام ١٩٢١ م .

ولكن لم يكن رضا بالشخص الذي يقنع بمنصب وزير ، فقد كان
يعمل بعد ذلك لتوطيد سلطته ، حتى جاء عام ١٩٢٣ ، وأقصى سيد
طباطبائي عن رئاسة الوزارة ، وتولى المنصب بنفسه إلى جانب احتفاظه
بمنصب وزير الحربية وقيادة الجيش .

ولم تتوقف أطماع رضا عند هذا الحد ، بل أخذ يتطلع إلى منصب
الشاه نفسه ، ولكنه شعر بأن وجود أحمد شاه القاجاري عقبة في هذا
الطريق ، فرتب له زيارة مفتوحة إلى أوروبا ، وكان يخطط بذلك لسفر
بلا عودة حتى يتخلص من آخر حكام الدولة القاجارية ، فيخلو له الجو
بعد ذلك ويتولى بنفسه عرش إيران .

وفي عام ١٩٢٤ أعلن النظام الجمهوري في تركيا ، فتأثر كثير من
المفكرين الإيرانيين بما حدث في تركيا ، ونادوا بأن تتحول إيران كذلك
إلى النظام الجمهوري ، كما نادى البعض بأن يكون رضا خان أول رئيس
للجمهورية ، ولكن رضا اعترض على هذه الفكرة فيما بعد ، مدعياً أن النظام
الجمهوري لا يتفق والمذهب الشيعي الذي تدين به إيران والذي يؤمن
بالإمامة والإرث فيها ، ولكن الحقيقة تتمثل في أن رضا خان لم يكن

١ - المرجع السابق ، ص : ٨

يقبل أن يحكم فترة محدودة - كما يقضي بذلك النظام الجمهوري - ثم يترك الحكم لغيره ، بل كان يطمع في الحكم طوال عمره ، وأن يرثه أولاده من بعده . وقد تصدى بعض الشعراء والمفكرين لدحض فكرة الجمهورية لا كراهية في النظام الجمهوري ، بل تخوفاً من انقضاها رضا خان على المنصب ، وما يتبع ذلك من تسلط الطبقة العسكرية على مقاليد الأمور ، وكانوا يرون أن الإصلاح الحقيقي في الإبقاء على النظام الملكي مع قيام المجالس النيابية بالدور الطبيعي في تسيير دفة الأمور كما هو متبع في إنجلترا حيث يملك الملك ولا يحكم ، وقد تعرض رضا لهؤلاء بالإرهاب والتنكيل والاعتقال سواء أيام أن كان رئيساً للوزارة أو بعد توليه عرش إيران .

وأخيراً نجح رضا خان في الإيعاز إلى عدد من أعضاء مجلس النواب للمطالبة بتنصيب رضا ملكاً على إيران ، وقد تم ذلك في أواخر عام ١٩٢٥ ، بعد أن أعلن المجلس عزل أحمد شاه الموجود في أوروبا منذ عامين ، ثم تمّ تنصيب رضا شاه في أبريل (نيسان) عام ١٩٢٦ ، وهكذا نجح رضا فيما خطط له ، ووصل إلى كرسي العرش مكوناً دولة جديدة هي الدولة البهلوية ، ومنهياً عهد دولة أخرى هي الدولة القاجارية التي حكمت إيران فيما بين عامي ١٧٩٦ - ١٩٢٥ م . وقد حرص رضا على أن يطلق على دولته اسماً فارسياً قديماً وهو « بهلوي » ، ولعله يقصد بذلك العودة بإيران إلى وجهها البهلوي قبل أن يدخلها الإسلام على أيدي القوات الإسلامية العربية .

حاول رضا شاه أن يجد من الامتيازات الأجنبية وبخاصة تلك التي حصلت عليها إنجلترا وروسيا خلال حكم الدولة القاجارية ، فأوقف العمل بهذه الامتيازات ، كما حاول أن يعيد الهيبة إلى الحكومة المركزية فقضى على كثير من التأثيرين الذين تجرّءوا على هبة الدولة ، وقد ساعده

في ذلك جيشه الذي كان يدين له بالولاء ، والذي أعاد عليه بسخاء ، وأعطاه الكثير من المميزات ، وأمدّه بالجلديد من السلاح ليكون أداؤه في تثبيت حكمه وسنده ضد أي ثائر أو شعور بالقبلية والانفصال ، كما أرسل بعض الضباط في بعثات تعليمية إلى أوروبا^(١) .

ومن أعماله التي تحمد له إنشاء أول جامعة وطنية وهي جامعة طهران ، وقد وضع حجر الأساس لها عام ١٩٣٤م وأرسل طلابها في بعثات علمية إلى مختلف الدول الأوروبية ، كما شجع على نشر التعليم العام في معظم البلدان الإيرانية ، وحث الفتيات على ارتياد معاهد التعليم ، وأن ينلن من ثمار هذا الحقل كما ينال الفتيان ، ولم يكتف بهذا الحد في موقفه من المرأة الإيرانية ، بل أصدر قراره برفع الحجاب في عام ١٩٣٥ .

وحاول رضا شاه خلق قاعدة صناعية في إيران ، فقد أنشأ مصانع لنزل ونسج الصوف والقطن والحريز ، كما أنشأ بعض المصانع الحربية ، ولكي تعتمد إيران على أبنائها في تسيير دفة أمورها المالية ، أنشأ البنك الوطني الإيراني ، وفتح فروعاً عديدة لهذا البنك في جميع أرجاء إيران إلى غير ذلك من الاصلاحات التي قام رضا شاه بتنفيذها ، ولكن على الرغم من هذه الاصلاحات فقد وقع في عدة أخطاء أذكر منها على سبيل المثال :

كانت إيران منذ القدم تقدر الزراعة وتجلبها الحرفة الأولى التي يزاولها رجالها وفتيانها ، ولكن رضا شاه لم يول الزراعة أي اهتمام ، وإنما صرف كل جهده في تشجيع الصناعة ، ومحاولة إنشاء مصانع جديدة ، وإزاء هذا الاهتمام بالصناعة ، هجر بعض المزارعين

١ - سعيد نفيسي : تاريخ شهرياري شاهنشاه رضا بهلوي - طهران ١٣٤٤ ش ، ص ٧ وما بعدها .

أراضيهم ، فأُهملت الحقول وتخلفت الزراعة ، مما جعل إيران تعاني حتى اليوم من هذه المحاولة ، وتلك اللامبالاة بالزراعة والزراع ، ومما زاد الأمر صعوبة على الفلاحين أن رضا شاه كان حريصاً على أن يوسع رقعة ممتلكاته الخاصة وذلك بمصادرة بعض الأراضي الزراعية ، وأخذها من أصحابها تحت ستار من الأباطيل والحجج الواهية ، بل إنه ضم إلى ممتلكاته بعض الغابات الإيرانية .

ومن عيوبه كذلك أنه كان حاكماً مطاقاً ، فلم يساعد في تمرس الإيرانيين على الحكم الديمقراطي ، بل فرض هيمنته على المجلس النيابي الذي لم يكن يجرؤ أعضاؤه على مناقشة الشاه ، وإبداء الرأي حول ما يحيط بالبلاد من مشاكل وصعوبات ، وإذا تجرأ عليه مفكر أو كاتب أو شاعر ، كان القتل أو الاعتقال أو النفي جزاء هذا المنتقد ، فقد اغتال الشاعر عشقي ، واعتقل الشاعر فرخي اليزدي الذي مات بعد ذلك وهو في سجنه^(١) ، كما اعتقل ونكل بالعديد من غيرهما .

وهذه الأخطاء اعترف بها ابنه محمد رضا شاه ، فعندما أراد أن يقيم دور والده ، لم يستطع تجاهل ما ارتكبه من أخطاء ، وذلك في كتابه : (مأموريت براى وطنم)^(٢) .

وإذا تركنا الحكم على رضا شاه للتاريخ ، ورجعنا إلى سير الأحداث بعد ذلك ، فإننا نلاحظ أن رضا شاه قد استعان في كثير من المشاريع الجديدة التي أقدم على تنفيذها ، بالخبراء الألمان ، كما حظيت ألمانيا

١ - حسين مكى : مقدمة ديوان فرخي اليزدي ، طهران ١٣٤١ ش .
 ٢ - محمد رضا بهلوي : مأموريت براى وطنم ، طهران ١٣٥٠ ش ،
 ص : ٥٣ .

في عهده بالمرتبة الأولى في مجال التجارة الخارجية الإيرانية وبخاصة في عام ١٩٣٩ ، كما وجد في طهران مندوبون يمثلون معظم البيوت المالية والصناعية الألمانية ، إلى جانب استعانة جامعة طهران بعدد من الأساتذة الألمان ... كل هذا أثار بلا شك حفيظة كل من إنجلترا وروسيا ضد رضا شاه، وعلى الرغم من أن إيران أعانت حيادها بمجرد اندلاع نار الحرب العالمية الثانية ، فقد قامت كل من إنجلترا وروسيا بتوجيه إنذار شديد اللهجة إلى رضا شاه لكي يطرد الخبراء والأساتذة الألمان من إيران ، ولكن رضا تباطأ في تنفيذ الإنذار ، مما أتاح الفرصة لإنجلترا وروسيا باتهام إيران بنقض حيادها ، وسرعان ما هاجمت القوات الروسية والإنجليزية إيران في السادس والعشرين من أغسطس عام ١٩٤١ ، وانتهت هذه الحملة التي استهدفت كل الأراضي الإيرانية ومن كل الجوانب ، بإغراق الأسطول الإيراني كله ، وسفك دماء الكثيرين من الجنود الإيرانيين ، ولم يستطع الجيش الإيراني الصمود أكثر من ثلاثة أيام ، وبعد ذلك أجبر رضا شاه على التنازل عن العرش لابنه « محمد »^(١) ، ووافق مجلس النواب الإيراني على تنحيته في السادس عشر من سبتمبر عام ١٩٤١م. وقد نُفي رضا بعد ذلك إلى جزيرة مدغشقر ، ثم نقل بعد فترة إلى جوهانسبرغ بجنوب أفريقيا، وظل هناك حتى قضى نحبه عام ١٩٤٤م .

وبعد ان تولى محمد العرش امتثلت إيران لكل ما فرضه عليها الحلفاء ، فقامت بطرد الخبراء والأساتذة الألمان ، وقطعت التجارة الخارجية مع ألمانيا ، كما أصبحت الأراضي الإيرانية معبراً لقوات الحلفاء وعتادهم المرسل إلى روسيا لمساعدتها على مقاومة الحصار الألماني . وهكذا أرغمت

١ - نصرت الله حكيم : عصن بهلوي ، ص : ٤٦ وما بعدها

إيران على أن تكون شريكة - على الرغم منها - في الحرب العالمية الثانية .

وقد ظلت إيران لعدة سنوات خلال الحرب العالمية الثانية وبعدها مرتعاً لقوات الحلفاء وتسلطهم ومطمعاً للأجانب ، مما جر عليها الكثير من المشاكل التي تعاني منها حتى يومنا هذا .

وبسقوط رضا شاه نكتفي بالحديث عن الأحداث السياسية التي اكتنفت معظم سني النصف الأول من القرن العشرين ، مؤثرين التحدث عن فترة حكم محمد رضا شاه ، عندما نتناول بالدراسة أهم قضايا الأدب الفارسي المعاصر إبان النصف الثاني من القرن العشرين ، وذلك في كتاب مقبل إن شاء الله .

* * *

الحياة الاجتماعية :

لا يمكن أن تكون الحياة السياسية في تدهور وانحطاط وتكون الحياة الاجتماعية في ازدهار وتقدم ، فكلاهما وثيقا الصلة ، وعلى هذا فيمكننا بعد أن استعرضنا الحياة السياسية وأدركنا ما سادها من اضطراب وفساد ، أن نستنتج ما ساد الحياة الاجتماعية من تخلف وتدهور ، وهذا ما حدث ، فقد كان سوء تصرف ملوك الدولة القاجارية وما يعيشون فيه من بلذخ قد دفعهم إلى كثرة القروض التي عقدها إيران مع كل من إنجلترا وروسيا ، وما تبع هذه القروض من امتيازات أجنبية جعلت إيران ككرة يتقاذفها الروس والإنجليز فيما بينهم ، كما أن الحكام لم يسايروا النهضة الصناعية التي بدأت تسود أوروبا كلها ، مما جعل الصناعة الإيرانية تواجه كساداً لا في الخارج فحسب ، بل في الداخل أيضاً ، حتى أن صناعة السجاد الإيراني الذائعة الصيت في العالم كله قد بدأت تواجه بعض الكساد لمنافسة

صناعة السجاد الميكانيكي الأوروبي لمان حيث رخص الثمن وجودة الألوان ،
حتى أصبح النساجون الإيرانيون يتباكون على حالهم ويقولون :

هرکه را کارش بسافندگی مُردنش بهتر بود از زندگی

وترجمته :

كل من كانت حرفته النسيج ، كان موته أفضل من حياته !

ومن عوامل تدهور الحياة الاجتماعية خلال هذه الفترة التي نتعرض
لدراسة أدبها ، ذلك الإجحاف الذي فان يحيط بالطبقات الدنيا ، وكأن
المجتمع مقسم إلى طبقات كمجتمعات العصور القديمة والوسطى دون
إعلان ذلك صراحة ، مما أشعر هؤلاء الكادحين المطحونين بأنهم يعيشون
غرباء في ديارهم ، فقد تمتع بنخيرات إيران كل من الشاه والأمراء ورجال
الاقطاع وكبار القواد والوزراء ، أما الفلاحون والحرفيون ، فكانوا غاية
في البؤس والمسغبة ، وكثيراً ما صور الأدباء والشعراء حال هؤلاء مطالبين
أولي الأمر بمد يد العون إلى هؤلاء الكادحين الذين يقع على كاهلهم
العبء الأكبر في القيام بكل ما تحتاجه إيران من صناعة وزراعة ودفاع
كذلك .

ومن عوامل تدهور المجتمع الإيراني وبخاصة في الربع الأول من
القرن العشرين تفشي الجهل بين جميع أبناء الوطن إلا القلة التي سمحت
ظروفهم الاجتماعية بالتعليم داخل إيران أو خارجها ، ونتيجة لهذا الجهل
فقد سادت الحرافات وسيطرت على عقول الكثيرين ، ووجد المشعوذون
الفرصة سانحة للتضليل والكسب على حساب الشعب ، وبخاصة من لم
يجد منهم الفرصة للتعليم وكشف خداع هؤلاء المشعوذين الذين حاول

بعضهم أن يتخذ من الدين ستاراً يخفي وراءه تدليس ، وهذا الأمر كان متفشياً في كل بلدان الشرق لا في إيران وحدها .

ومن الأمراض الاجتماعية التي تفشت في ذلك الوقت كذلك مرض الرشوة ، وبخاصة بين من تتعلق بوظائفهم مصالح المواطنين ، وأهم طبقة هاجمها الشعراء لحرصهم على تقاضي الرشوة طبقة القضاة الذين يفترض فيهم النزاهة ، فلماذا ببعضهم - ولا أقول جميعهم - يتاجر بالأحكام ويصدرها لمن يدفع أكثر ، ولمن يقدم رشوة يستحق بها أن يشتري القاضي وأحكامه !

ومن سمات الحياة الاجتماعية في تلك الفترة التخلف الكبير الذي كانت تعيش فيه المرأة الإيرانية ، فقد كانت محرومة حتى من حق التعليم ، وكانت لا تسير إلا محجبة ، وهذه الحياة المتخلفة دفعت بعض الرائدات للمطالبة بحق المرأة في التعليم وحققها في رفع الحجاب وقد وُقِّعت المرأة بعد طول جهاد في أن تحصل على حقوقها المسلوبة فصدر عام ١٩٣٥ قانون يقضي برفع الحجاب ، وأخيراً أعطيت المرأة حق التصويت وعضوية المجالس البلدية ، كما شاركت في الحياة النيابية .

* * *

هكذا شاركت الحياة الاجتماعية الحياة السياسية الاضطراب والتدهور خاصة وأن أكابر إيران كانوا قليلي الاكتراث بالشئون الاجتماعية في مجتمعهم وقد كتب الشاعر فرخي الزندي مقالاً صحفياً يعلق فيه على حالة الضياع الاجتماعي التي كانت تعيشها إيران ، فقال :

« ... كل مملكة لها مثل هذا الوضع ، مملكة تسير في طريق الفناء والمحو ، تندفع نحو طريق الضياع والزوال والانحطاط ،

إن هذا الوضع الذي نعيشه ؛ يستحق أن يسمى حالة الضياع . حقاً لقد اتخذت مملكتنا صورة الضياع هذه ، ولم يعد أي شيء في البلاد يتسم بصفة الثبات والصلاح .
حقاً أليس وضع مملكتنا ضياعاً في ضياع ؟ !

إن كنا نرى السلطنة في ضياع ، والمجلس في ضياع ، والحكومة في ضياع فكيف ننتظر أن تكون أمور الشعب مصانة ، وأن تكون الدولة مهابة في الداخل والخارج ؟ وإن كان القائم على الأوضاع الداخلية جاهلاً بها ولا يصلح لها ، وجب أن يكون أول واجب على الشعب ألا يعتبر السلطنة شيئاً مقدساً .

وإذا كان الاهتمام بالذهب والنساء يفوق الاهتمام بمصالح الشعب ، فمن حقنا ألا نؤمل خيراً في أولي الأمر ... » .

البَابُ الأول

من القضايا السياسية

الفَصْلُ الأول

التصدي للنفوذ الأجنبي في إيران

الفصل الأول

التصدي للنفوذ الأجنبي في إيران

الموقف من اتفاقية (١٩٠٧ م) المعقودة بين روسيا وإنجلترا لتقسيم إيران :

كانت إيران - كما ذكرنا - في المقدمة التاريخية في بداية القرن العشرين نهياً للصراع الدائر بين قوى الاستعمار العالمي وبخاصة بين روسيا وإنجلترا ، وقد كان هذا الصراع فيما بينهما مسبباً للكثير من المشاكل لكل من الطرفين المتنازعين ، ناهيك عن المشاكل التي يسببها هذا الصراع لإيران والإيرانيين ، وقد خشيت كل من الدولتين الاستعماريتين النفوذ المتصاعد لألمانيا في ذلك الوقت ، فسارعتا بالاتفاق فيما بينهما على تقسيم الأراضي الإيرانية إلى مناطق نفوذ ، حيث تتمتع روسيا بالنفوذ المطلق في المناطق الشمالية ، في حين تُطلق يد إنجلترا في الأجزاء الجنوبية من إيران ، وتظل المنطقة الوسطى منطقة حياد بين منطقتي النفوذ ،

وقد عقدت هذه الاتفاقية دون أن يؤخذ رأي الإيرانيين أو ملكهم في ذلك الوقت. وهو محمد علي شاه القاجاري ، ولكن سرعان ما تسربت أنباء هذه الاتفاقية إلى إيران عن طريق صحيفة « الحبل المتين » التي كانت تصدر بالفارسية في كلكتا، وترسل نسخها بصورة سرية ومهربة إلى

ایران ، نتیجه للحظ الذي كان يفرضه النظام الإيراني على أمثال هذه الصحف التي لم يجد أصحابها الفرصة لإصدارها في إيران نتيجة للقهر والمصادرة ، فأثروا الهروب وإصدارها في خارج الأراضي الإيرانية .

عندما وصلت أخبارها إلى إيران ثارت ثائرة أحرارها ومثقفيهـا وطالبوا الشاه برفضها ولكنه لم يحرك ساكناً خوفاً من هاتين القوتين الأعظمين ، ولأنه كان يستمد وجوده على عرش إيران من مساندتهما له ، لذا لم يكن أمام هؤلاء الأحرار إلا شجب الاتفاقية في المقالات الصحفية والقصائد ، ومما قيل في هذه القضية الوطنية الكبرى ؛ تلك الرسالة الشعرية التي وجهها الشاعر بهار إلى السير ادوارد جرای وزیر خارجية بريطانيا الذي خطط لعقد هذه الاتفاقية ووقعها باسم إنجلترا :

« پیام بوژیر خارجیة انگلستان »

سوی لندن گذر ای پاک نسیم سحری
 سخنی از من بر گو به سر ادوارد گری
 و ر بدی رای تو دایر بحیات ایران
 این همه ناله نمی ماند یدپن بی اثری
 اندر آن عهد که با روس بیستی زین پیش
 غبن ها بود و ندیدی تو ز کوته نظری
 نه همین زیر پی روس شود ایران پست
 بلکه افغانی ویران شود و کاشغری
 و ر همی گوئی روس از سر پیمان نرود
 رو بتاریخ نگر تا که عجایب نگری
 در بر نفع سیاسی نکنند پیمان کار
 این نه من گویم کاین هست ز طبع بشری

سپه روس ز تبریز کنون تا به سرخس
بیش از بیست هزارند چو نیکو شمری

نام نیکو به ازین چیست که گویند بدهر
هند و ایران شد ویران ز سر ادوارد گری^(۱)

وترجمتها :

« رسالة الى وزير خارجية إنجلترا »

— لتمض يا نسيم الأسحار الطاهر إلى لندن ، وأبلغ السير إدوارد
جراي رسالة مني :

— إذا كان سوء تدبيرك سيحقيق بإيران ، فلن تمضي هذه الآتات
وتلك الآهات دون أثر .

۱ - دیوان بهار ، ج ۱ ، ص ۲۱۳ - ۲۱۵ . ومحمد تقی بهار (۱۸۸۷ - ۱۹۵۲ م) آخر من تلقب في ایران بملك الشعراء ، ولد بمشهد المدينة الايرانية المقدسة وحاضرة محافظة خراسان الحالية ، وكان والده شاعر الاعتاب المقدسة وورث بهار المنصب عنه ، ولكن ما ان تغيرت الاحوال الاجتماعية والسياسية حتى هجر هذا المنصب وانضم الى الاحرار المطالبين بالدستور وطرد المستعمرين من ایران ، واخذ يهتم بتثقيف نفسه وتحصيل المزيد من العلوم والمعارف ، ومما كان يحرص عليه مطالعة الكتب والمجلات المصرية التي كانت - على حد قوله - تصل بانتظام السی ایران وبوقرة ، ونتيجة لشعره الثوري واصداره الصحف المليئة بالحديث عن الحرية والتصدي للطغاة في الداخل أو الخارج ، فقد اعتقل عدة مرات وبخاصة في عهد رضا شاه . وقد تقلد عدة مناصب منها عضوية مجلس النواب والتدريس بالجامعة ووزارة التربية والتعليم ، وخلف لنا عددا كبيرا من الكتب ، الى جوار نيوانه الكبير الذي يقع في مجلدين ضخمين ، والصحف العديدة التي أصدرها ، واهم هذه الكتب : سبك شناس ، تاريخ مختصر احزاب سياسي - احوال فردوسي - احوال محمد بن جرير الطبري - رسالة في احوال ماني ۰۰۰ (انظر مقدمة الديوان الجزء الاول) تذكره شعراء معاصر لخلخالی ، لغت نامه ، فرهنگ انبيات دري ، كنج سخن (ذبيح الله صفا) ، تاريخ مطبوعات ۰۰۰ وغيرها .

— إن هذه الاتفاقية التي عقدتها من قبل مع الروس ، قد غصت
بالغبين والإجحاف ، ولكنك لم تدرك ذلك لأنك قصير النظر !

— لن تكون إيران وحدها تحت قبضة الروس ، بل سرعان ما يلحق
الدمار بكل من بلاد الأفغان وكاشغر .

— وإن تقل بأن الروس لن ينقضوا الاتفاقية ، فاذهب ، وتصفح
التاريخ كي ترى العبر !

— فلا احترام للمعاهدات أمام أي مكسب سياسي ، لأنني لا أقول
هذا من تلقاء نفسي ، بل إن هذه هي طبائع البشر .

— لقد انتشرت جحافل الروس ما بين تبريز وسرخس ، وتدفق
أكثر من عشرين ألف جندي ، إن كنت تحسنُ العدَّ !

— فأني سيرة عطرة أفضل من القول على مدى الدهر ، أن الهند
وإيران أصابهما الخراب على يد السير إدوارد جراي !!

* * *

ومن الذين سخروا من هذه الاتفاقية كذلك الشاعر إيرج ميرزا، وذلك
بأسلوب تهكمي ضد الشاه الإيراني وبطائنه الذين التزموا الصمت ، ولم
يحاولوا الاعتراض على الاتفاقية أو مجرد شجبها ، على الرغم من أن إيرج
نفسه أحد أفراد البيت الحاكم ، ومما قاله :

تگویند که انگلیس با روس	عهدی کردست تازه امسال
کاندر پلٹیک ہم در ایران	زین بس نکند هیچ اهمال
افسوس که کافیان این ملک	بنشسته وفارغند ازین حال

كر صلح میان گربه وموش بر باد رود دكان بقال^(۱)

وترجمتها :

- يقولون لقد عقد الإنجليز والروس معاهدة جديدة بينهما هذا العام.
- وأن مصلحتهما السياسية تقضي بالألا يغضا الطرف بعد ذلك عن إيران .
- مع كل هذا ، ويا للحسرة ، فقد جلس رجال القصر في هذه المملكة وكأن الأمر لا يعنيههم !
- ألم يدركوا بأن الصلح بين القط والفأر سرعان ما يذهب بدكان البقال ؟

١ - ديوان ايرج ميرزا ، ص : ١٩٢ ، وايرج أحد أبناء الاسرة القاجارية الحاكمة في ذلك الوقت ، فجدّه لابيّه فتحعليشاه القاجاري ، والى جانب اصله هذا ، فقد كان والده وجده والده شعراء ، مما جعله يتأثر بهم وينظم الشعر كذلك ، وإذا به يتفوق عليهم جميعا . وقد أتاحت له ظروفه الاجتماعية فرصة تعلم اللغات الاجنبية وبخاصة الفرنسية التي كان يجيدها ، وذلك الى جانب العلوم التقليدية التي كانت سائدة في عصره (١٨٧٤ - ١٩٢٦ م) . وقد تقلد ايرج بعض المناصب المالية في الدولة سواء في تبريز أو خراسان ولكنه أثر الاعتزال في نهاية حياته ، وانتقل للعيش في طهران ، وكان بيته كصالون أدبي يجتمع اليه عدد من كبار الادباء والشعراء في ذلك الوقت ، ولكونه قاجاري الاصل فانه لم يقف موقفا حادا من حكامها ، بل كان ينتقدهم بصورة رفيقة ، كما كان في خصومة مع من ينتقدهم بشدة ، وهذا ما أفسد العلاقة بينه وبين الشاعر عارف القزويني الذي كان يكيل التهم في كل محفل للاسرة القاجارية ، فرد عليه ايرج بمنظومه « عارفنامه » وصب فيها جام غضبه بأسلوب ساخر وقاضع ، مما جعلها من أشهر المنظومات الفارسية في العصر الحديث . والى جانب هذه المنظومة ، نظم منظومة أخرى أكثر شهرة منها وهي منظومة « زهرة ومنوهر » وهي تأليف فارسي لمنظومة شكسبير « فينوس وأدونيس » ، كما خلف ديوانا شعريا ما زال يحظى باهتمام الدارسين ومحبي الشعر ، حيث يعتبر شعره من أرق الاشعار التي قيلت في القرن العشرين كله . انظر الديوان ومقدمته القيمة التي كتبها الدكتور محمد جعفر محجوب . وغيره من الكتب التي تهتم بدراسة الادب الحديث .

وتحسر الشاعر الوطني الكبير « فرخي اليزدي » على ضياع إيران ،
وما أصابها نتيجة لضعف ملوكها ، فبعد أن كانت مقراً لامبراطوريات
عظيمة ، ويتولى أمرها ملوك بواسل ، أصبحت اليوم نهياً لكل طامع ،
ومرتعاً لحفافل الجيوش البريطانية والروسية ، فقال :

این همان ایران که مترنگاه کیکاوس بود
خوابگاه داریوش ومأمن سیروس بود
جای زال ورستم وگودرز وگیو وطوس بود
نی چنین پامال جور انگلیس وروس بود
این همه از بی حسی ما بود کافسرده‌ایم
مردگان زنده بلگه زندگان مرده ایم^(۱)

۱ - دیوان فرخی الیزدی ، ص ۱۴۶ . وهذه الاسماء التي وردت
بالنص ، اسماء الملوك وابطال وجدوا في إيران خلال العصور القديمة ، سواء
اكانوا ابطالاً أسطوريين أو ابطالاً تاريخيين ، وعلى أيديهم ، كما يقول
الایرانیون في كتب تاريخهم ، بلغت دولة إيران غاية مجدها وعظمت اتساعها
حيث سيطرت على العالم كله وامتد ملكهم ما بين الهند وبلاد اليونان^{۱۰} أما عن
الشاعر فرخي : فهو شاعر الوطنية الاول في إيران الحديثة ، وقد واصل
هجومه على حكام الدولة القاجارية لدرجة أن حاكم يزد قد اعتقله وخسأط
فمه حتى لا يواصل هذا الهجوم ، ولكنه لم يكف عن مواصلة كفاحه الوطني ،
وحدث خلاف شديد بينه وبين رضا شاه بعد سقوط الدولة القاجارية ، فهاجم
رضا كذلك ، وترك البلاد وسافر فترة الى برلين كي يواصل كفاحه الوطني
ضد رضا شاه بعيداً عن الاعتقال والتشريد ، وأخيراً أقنعه البعض بالعودة
الى إيران بعد أن أمنوه على حياته ، وأن رضا لن يتعرض له بالسجن أو
الاعتقال ، فخدع وعاد الى إيران حيث زج به في السجن الى أن قضى نحبه
داخله وذلك عام ۱۹۴۱ . ومن الملاحظ أن كثيراً من كتب الادب كانت تضرب
صفحة عن ذكر فرخي حتى لا تتعرض للمصادرة في عهد محمد رضا بهلوي .
ولكن اشعاره الآن تعد ذخيرة للثوار والاحرار في إيران . وترجمة ديوانه
الى العربية تحت الطبع وستصدر عن مكتبة الانجلو المصرية قريباً وذلك
باهتمام الزميل الدكتور أحمد الخولي .

وترجمتها :

— أهذه إيران التي كانت منزلاً لكيكاوس ، ومرتباً لداريوش
ومأمناً لسيروس ؟

— وكانت موطناً لزال ورستم وجودرز وجيووطوس ، وليست تلك
التي أصبحت موطناً لجور كل من الإنجليز والروس .

— كل هذا راجع إلى فقداننا الشعور والإحساس ، وهكذا ظل
أمواتنا أحياء ، وصرنا نحن الأحياء في عداد الأموات !

ويعتقد فرخي بأن الجهل الذي تزرع تحت نيره إيران في ذلك الوقت ،
هو الذي شجع الدول الاستعمارية على التحكم في مصيرها ، دون أن
يحرك الشاه ساكناً ، وظناً من الدول الاستعمارية أن جهل الناس في
إيران لن يسمح لهم بإدراك المخاطر التي ستولد عن هذه المعاهدة ،
وبالتالي لن يثوروا ضد الاتفاقية وضد أطرافها والمتواطئين معهم ، كما
أن الفرقة والانقسام بين أبناء الشعب قد أصابا الوطن بالضعف والهوان ،
فتجراً عليه أعداؤه والطامعين فيه ، لذا يدعو فرخي إلى ضرورة الاهتمام
بالتعليم والوحدة لوطنية حفاظاً على الوطن والمواطنين :

شد ز دستِ پارتی این مملکت بی بوی ورننگ
پارتی زد شیشه ناموس ایران را بسنگ
پارتی آورد نامِ نیا ایران را بنگ
پارتی بنمود مارا بنده اهل فرنگ
این همه بی همت نبود جز از اهل نفاق
چاره این درد بی چاره است علم و اتفاق (۱)

۱ - دیوان فرخی ، ص : ۱۴۷ .

وترجمتها :

- بفعل الفرقة والانقسام عذمت تلك المملكة كل لون ورائحة . فقد
حطم هذا الانقسام وتلك الفرقة زجاج الكيان الإيراني بحجر
— إن هذه الفرقة وذلك الانقسام قد ألحقا العار باسم إيران ، كما
أحالتنا الانقسام والفرقة عبيداً للفرنجية .
— إن هذا التخاذل لا يتأتى إلا من المنافقين ، ولا علاج لهذا الداء
العضال إلا بالتعليم والاتفاق !

ومن الأشعار المعبرة التي قيلت في هذه المناسبة ، تلك القطعة التي
نظمها « أشرف الجيلاني » ونشرها في العدد التاسع من مجلة « نسيم الشمال »
وذلك في الثاني من يناير عام ١٩٠٨ ، ومما قاله هذه الأبيات التي
يصور فيها إيران بميت حملة أهله لكي يضعوه في قبره ، وقد ساروا
خلف النعش نائمين مولولين :

- گرید و وطن غرقه اندوه و محن وای ایوای وطن وای
تخیزید ، روید از پی تابوت و کفن وای ایوای وطن وای
— از خون جوانان که شده کشته درین راه رنگین طبق ماه
خونین شده صحرا و تل و دشت و دمن وای ایوای وطن وای
— کو همت و کو غیرت و کو جوش فنوت کو جنبش ملت
دردا که رسید از دو طرف سیل فن وای ایوای وطن وای
— افسوس که اسلام شده از همه جانب با مال اجانب
مشروطه ایران شده تاریخ ز من وای ایوای وطن وای

— ه تنها همين گشت وطن ضايع و بد نام گمنام شد اسلام
پژمرده شد اين باغ و گل و سرو و سمن وای ابوای وطن وای^(۱)

★ ★ ★

وترجمتها :

— لقد أصبح الوطن غريق الأحزان والمحن ، فواحسرتاه على الوطن ،
واحسرتاه !

هبوا ، وسبروا وراء النعش والكفن ، فواحسرتاه على الوطن
واحسرتاه !

— من دماء الشبان الذين قتلوا في هذا المضمار ، نحضبت صفحة
القمر .

كما اتشحت بلون الدماء كل من الصحراء والهضاب والفيافي ،
فواحسرتاه على الوطن ، واحسرتاه !

— أين الهمة ؟ وأين الحمية ؟ وأين ثورة الفِثية ؟ بل أين الإحساس
بالوطنية ؟

وامصبيته ، إن السيول تندفق من كلا الجانبين ، فواحسرتاه على
الوطن ، واحسرتاه !

— واغماه ! إن الإسلام أصبح موطأ لأقدام الأجانب من كل جانب .

۱ - نقلا عن از صبا تانيم (يحيى آرئين پور) ج ۲ ، ص ۷۲ ، ۷۳ .
وسيد اشرف ولد عام ۱۲۸۷ في مدينة قزوين ، وعاش فترة في مشهد ،
وفترة أخرى في كربلاء والنجف ، وأخيرا استقر به المطاف في مدينة رشت
حيث أصدر جريدة « نسيم الشمال » وكانت تضم في معظمها أشعارا فكاهية
وانتقادية ، وكان سيد اشرف يسطر مجلته من أول حرف فيها إلى آخر
حرف ، ولا ينشر فيها أشعارا لغيره ، ويعد سيد اشرف من أحب الشعراء
الوطنيين الذين عاشوا خلال الثورة الدستورية ، وكان مدافعا بكل معنى
الكلمة عن الطبقات الكادحة ، انظر از صبا تانيم ، ج ۲ ، هي : ۶۱ - ۷۷

كما أصبحت الحركة الدستورية في إيران مجرد ذكرى وتاريخ ،
فواحسرتاه على الوطن ، واحسرتاه !
هـ - وهكذا لم يضع الوطن وحده وأصيب بسوء السمعة ، بل لقد
ضاع الإسلام كذلك !
لقد ذبلت هذه الحديقة بما فيها من ورود وأشجار سرو وباسمين ،
فواحسرتاه على الوطن ، واحسرتاه !



قضية المستر شوستر :

ومن القضايا التي تمثلت فيها شراسة النفوذ الروسي والبريطاني في
إيران ، وعدم سماحهما لأي وجود أجنبي آخر بالنفاذ إلى إيران ، قضية
الخبير الأمريكي شوستر الذي تعاقدت معه الحكومة الإيرانية للإشراف
على الشؤون المالية ، ولكن هذا الإجراء لم يرق لكل من إنجلترا وروسيا
خوفاً من أن تدخل أمريكا طرفاً في السيطرة على موارد إيران ، ويكون
لرعاياها من النفوذ ما يهدد نفوذ الحاليين الروسية والإنجليزية ، لذا سارعت
روسيا بتقديم إنذار شديد اللهجة إلى الحكومة الإيرانية وذلك في نوفمبر
عام ١٩١١ ، وطالبت فيه بطرد شوستر من إيران ، وصحب هذا الإنذار
تهديد بالغزو ، حيث تقدمت القوات الروسية حتى حدود قزوین ، وذلك
لكي تعطي إنذارها الجدية المطلوبة ، فتمثلت إيران وتقبل الإنذار .
ومع هذا فقد اجتمع البرلمان الإيراني ورفض هذا الإنذار . ولكن على
الرغم من موقف البرلمان فقد قبلت الحكومة الإنذار ، وطلبت من
شوستر الرحيل عن إيران .

وقد أغضب موقف الحكومة هذا أحرار إيران ومثقفها ، حيث
اعتبروا قبول الحكومة للإنذار على الرغم من رفض البرلمان ، إذعائاً

للقوى الاستعمارية ، وتشجيعاً لها على التمادي والتدخل في كل صغيرة أو كبيرة من أمور الحياة الإيرانية ، ولذا يندد الشاعر « عارف القزويني » بهذا الموقف المتخاذل للحكومة ، ويدعو شباب الأمة للتصدي لهذا القرار ، وعدم تنفيذ الإنذار وطرد شوستر :

ننگ آن خانه كه مهمان ز سر خوان برود
جان نثارش كن ومگذار كه مهمان برود
گر رود شوستر از ايران رود ايران بر باد
اي جوانان مگذاريد كه ايران برود
ننگ تاريخي عالم شود افسانه^١ ما
بگذاريم اگر شوستر از ايران برود^(١)

وتجملتها :

— أي عار يصيب الدار (الوطن) إذا طلب من الضيف مغادرة المائدة ، فلتضحّ بالروح ولا تترك الضيف يذهب .
— فإن يمض شوستر عن إيران ، فقد تفنى إيران نفسها ، فجاهدوا أيها الشباب حتى لا تفنى إيرانكم .

١ - نقلا عن از صبا تانينا ، ج : ٢ ، ص : ١٦٧ - ١٦٨ ، وعارف القزويني كان من شعراء الثورة الدستورية ، ولد بقزوين في حدود عام ١٨٨٥ م ، وحصل في قزوين العلوم المتعارف عليها في ذلك الوقت ، ثم انتقل الى طهران في العشرين من عمره تقريبا ، وظل يعيش فيها حتى نهاية عمره ، اتصل في بداية حياته بأمراء وملوك الدولة القاجارية ، ولكن ما أن ثارت الثورة الدستورية حتى كان من أكبر دعاةاتها ، ووظف شعره للهجوم على حكام الدولة القاجارية والقوات الانجليزية والروسية ، ونظرا لشدة تهكمه بالقاجارين ، فقد نظم أيرج ميزرا القاجاري منظومته « عارفنامه » للرد عليه والسخرية منه ، ومن كل المناوئين للدولة القاجارية . وكانت وفاته في عام ١٩٣٢ م . راجع ديوانه ، از صبا تانينا ج : ٢ ، ص ١٤٦ - ١٦٨ ، ٣٤٩ - ٣٦١ ، ولغت نامه .

— إن نسمح لشوستر بمغادرة إيران ، فإن مصيرنا هو العار والحجل
أبد الدهر !

* * *

ونظم ملك الشعراء بهار مسمطاً في هذه المناسبة كي يستحث مواطنيه
لكي يهبوا لرفض الانذار ، والاستعداد للملاقاة الجيوش الروسية التي
دخلت الأرض الإيرانية ملوحة بإحداث انقلاب والإطاحة بالحكومة
الإيرانية ؟ ومما قاله في هذا المسمط :

هان ای ایرانیان ! ایران اندر بلاست
مملکت داریوش دستخوش نیکلاست
مرکز ملک کیان در دهن اژدهاست
غیرت اسلام کو ؟ جنبش ملی کجاست
برادران رشید ! اینهمه سستی چراست
ایران مال شماست ، ایران مال شماست

دولت روس از شمال رایت کین پرفراشت
بمحو دین مبین بخیره همت گماشت
بخاک ایران نخست تخم عداوت بکاشت
بغصب ایران سپس پیش کند یاد داشت
کنون بمردانگی دادن سزاست
ایران مال شماست ، ایران مال شماست

هان ای ایرانیان ، بیم محبوبستان
به پنجه انگلیس ، بچنگل روستان

گوئی در اینمیان گرفته مابوستان
کز دو طرف میبرند ثروت و ناموستان
در ره ناموس و مال ، کوشش کردن رواست
ایران مال شماسست ، ایران مال شماسست^(۱)

وترجمتها :

— هبوا أيها الإيرانيون، إن إيران في محنة وبلاء، فقد وقعت مملكة
داریوش لعبة في يد نيكولا .
— إن قلب مملكة الكيانيين قد سقط في فم التنين ، فأين الغيرة على
الإسلام ؟ وأين الإحساس بالوطنية ؟
وأي تخاذل هذا أيها الأنحوة النجباء ؟
إن إيران ملك لكم ، إن إيران ملك لكم !
— لقد رفعت دولة الروس في الشمال راية الحق والضمينة ، وجاهدت
لمحو الدين المبین وإفساد الهمة .
— وبلرت في الأرض الإيرانية بذرة العداوة والبغضاء ، وهي تمهد
الطريق للاستيلاء على إيران بعد ذلك .
والآن وجب إظهار الرجولة والبطولة
فإيران ملك لكم ، إيران ملك لكم !

۱ - راجع باقى المسمط بديوان بهار ، ج ۱ ، ص : ۲۵۷ - ۲۵۸ ،
داریوش : أعظم ملوك الدولة البيشدادية التي حكمت إيران في القرنين
السادس والخامس قبل الميلاد ، أما نيكولا فهو قيصر روسيا في ذلك
الوقت .

— هبوا أيها الإيرانيون ، فإنني أراكم مكبلين بالأصفاد في مصيدة
الإنجليز ، ومحبس الروس

— وكأنكم في إसार كابوسن ، كل منهما يسلبكم الثروة والشرف
وكم يحذر بكم الجهاد من أجل الشرف والثروة
فإيران ملكٌ لكم ، إيران ملكٌ لكم !!

التعاطف مع ألمانيا خلال الحرب العالمية الاولى :

ظل الحال هكذا يسير من سيء إلى أسوأ حتى اندلعت نار الحرب
العالمية الأولى ، فأعلنت إيران حيادها ، ولكن الجماهير كانت — كما
كان الحال في مصر وجميع الدول العربية في ذلك الوقت — تتعاطف مع
الألمان ، لا حباً فيهم ، ولكن ربما يتمكنون من تخليصهم من نفوذ الحلفين
المتصارعين على أرض إيران وهما روسيا وإنجلترا .

ومن الذين أعجبوا بألمانيا ، الشاعر الإيراني أديب بيشاوري (المتوفي^(١))
عام ١٩٣٠م) فنظم منظومة أسماها « قيصر نامه » ، تحدث فيها عما
أصاب إيران من خراب ودمار على أيدي جنود الحلفاء ، حيث كانت

١ — هو أديب بن سيد شهاب الدين من رجال بيشاور الواقعة على
الحدود بين إيران وأفغانستان ، ويصل في نسبه إلى الشيخ شهاب الدين
السهوردي ، قتل والده أثناء المعارك التي دارت في بيشاور وما جاورها
بين القوات البريطانية وحكام تلك المنطقة ، لهذا تولدت في نفس أديب كراهية
شديدة ضد الإنجليز ، ولذا كان من أكبر الشعراء الذين ناصروا الألمان في
الحرب العالمية الأولى وتغنوا ببطولات ألمانيا في حروبها مع إنجلترا وحلفائها .
ظل أديب يعمل في حقل التدريس حتى أواخر عمره ولم يرض بتقليد أي
منصب سياسي ، أو يحقق لنفسه أي مجد اجتماعي حتى مات عام ١٩٣٠م
انظر مقدمة ديوانه بقلم : علي عبد الرسولي ، وكنج سخن ج ٣ ص ٢٧٢ ،
ولغت نامه .

إيران نهبا للجيشين الإنجليزي والروسي ، ونحدث في المنظومة عن سخطه على الحرب وويلاتها وعلى المعتدين . وقد كان صادقا في التحدث عن مشاعره ومشاعر الإيرانيين في ذلك الوقت ، وذلك لولعه بوطنه وشدة حبه له ، ولهذا جاءت المنظومة معبرة تماما عن روح الشاعر وعن الحالة السياسية التي اجتاحت إيران إبان الحرب العالمية الأولى . وعدد أبيات هذه المنظومة أربعة عشر ألف بيت من الشعر .

ومن القطع الجميلة التي تضمنتها منظومة « قيصر نامه » ، وفيها يوجه الخطاب لكل إيراني كي يحب وطنه ويدافع عنه ويكون غيوراً عليه ضد كل ظالم في الداخل أو الخارج ، هذه القطعة التي نقتطف منها أبيات يتحدث فيها الشاعر بلسان أم توجه حديثها إلى ابنها العاق ، هذه الأم هي إيران . والابن العاق هو كل إيراني يساعد الأجنبي على حساب وطنه :

توای پرویده بخون دلم
چگونه ز مهر تو دل بگسلم
نداری ز بن هیچ پاس مرا
فراموش کردی سپاس مرا
در آغوش نازت پیورده ام
چو شمع طرازت بر آورده ام
بهنگام بوزش بگاه سجود
پیمبر مرا قبله تو نمود
هـ - که چون پیش یزدان نیایش کنی
سوی من بیاید گرایش کنی
روان را بدوزخ از آن سوختی
که این رمزها را نیاموختی

سخن بشنو و بر میاور غریو
 که نبود گنهکارتر از تو دبو
 کجا دیوان مام کش پرورید
 زپستان او شهید شیرین مکید
 جو بک مرد بیگانه یازید دست
 برید آن سر مام بنشسته پست
 ۱۰- کجا دیوان زشت کار کند
 که بر مرد بیگانه یاری کند

★ ★ ★

منم پور ایران و بر مام خویش
 مرا غیرت آید ز اندازه بیش

★ ★ ★

وترجمتها :

- یا من رُبیتَ بدماء قلبي
 کیف أبعد قلبي عن حبك ؟
 - أما أنت ، فلا تُكِنُّ لي حباً في قرارة نفسك
 وكم نسيت أن تشكرني وتثني علي !
 - لقد ربيتك في أحضان العز والدلال
 ونشأتك في أحسن صورة وأبهى منظر
 - لقد جعلني الله قبلة لك
 في وقت العبادة والتضرع وكذلك عند السجود

- ٥ - فعندما تتضرع إلى الله وتدعوه
يجب عليك أن تدعو لي وتتذكرني
- لقد أحرقت روحك في نار جهنم
وذلك لأنك لم تحسن تعلم هذه الرموز
- فلتستمع إلى الكلام ولتكف عن الهراء
لأن الشيطان ليس أكثر منك ارتكاباً للمعاصي
- فأين ذلك الشيطان الذي يقتل أمه بعد أن ربه
وشرب الشهد من ثديها ؟ !
- وهل يمكن أن يأتي أجنبي وتتناول يده
ليقطع رأس أمه ، وهو جالس في ذلة وانكسار ؟
١٠- وأي شيطان ذلك الذي يرتكب سوء
بأن يساعد الأجنبي ويعاونه ؟

★ ★ ★

- أما أنا فابن إيران وغيور على أمي
غيره تفوق كل حد ووصف !

★ ★ ★

أما الشاعر «عشقي» ، فيرى أن الطريق الحقيقي الذي يجب على الإيرانيين
سلوكه للتحرر والتخلص من ربة الروس والإنجليز يكمن في قوتهم
الذاتية ، فبغير هذه القوة لن يقتنع الروس أو الإنجليز بالتخلي عن إيران ،
وإذا كان البعض بتطلع إلى ألمانيا كي تساعد ضد الروس أو الإنجليز ،
فهم مخطئون لأن أقصى ما يمكن لألمانيا أن تقدمه إلى إيران بعض بيانات
التأييد ، أو بعض المساعدات المادية التي لا تقدم أو تؤخر في سبيل تحرير
إيران :

يلك دسته‌ای ز نخبهٔ ایرانیان شدند
 در فکر استفادهٔ اوضاع حاضری
 در دیده خشم روس ، و بدل کین انگلیس
 در سر هوای یاری آلمان عبقری
 رفتیم در برابر دشمن که تا کنیم
 ابراز زورمندی و اثبات قدری
 امید ما به یاری ، ووی نداشت
 جز بدل زر طریق دگر بهر یاری
 هـ - گشتیم ما مهاجر و بدبخت و در بدر
 گردون بما نمود نهایت ستمگری^(۱)

و ترجمتها :

— كانت هناك مجموعة من مثقفي إيران يفكرون في الإفادة من
 الأوضاع الحاضرة (أي ظروف الحرب العالمية الأولى)
 — إذ بعيون مفعمة بالغضب من الروس ، و بقلوب غاصة بالحق
 ضد الإنجليز ، تطالعوا إلى المساعدة من الألمان ذوي العبقرية .

١ - دیوان عشقی ، ص : ١٤٨ ، واسم عشقی الحقیقی میر محمد رضا
 وهو ابن الحاج سید آبی القاسم الكردستانی ، ولد فی همدان ، وشارك فی
 الثورة الدستورية ولما اندلعت نار الحرب العالمية واصبحت أرض ایران
 مباحة للقوات الاجنبية ، رحل الى اسطانبول وعاش فیها حتی انتهت الحرب ،
 ثم عاد الى ایران . وعندما تولى رضا رئاسة الحكومة وتولدت فكرة
 الجمهورية على ان يتولى رئاستها رضا اعترض عشقی ، وهاجم النظام
 الجمهوري ، ودعا الى الحفاظ على الملكية للقاجاريين مع تقوية الحياة
 النيابية وأن يكون الحكم للشعب ، مما اغضب منه رضا واعوانه ، وتأمرؤا
 علیه فقتل عام ١٩٢٣ م .

راجع مقدمة دیوانه ، واز صبا تانیم ج ٢ ص : ٣٦١ - ٢٨١ .

— ولكن متى واجهنا الأعداء مثبتين قوتنا ، مؤكدين على مقدرتنا ؟
— كنا نأمل في مساعدتها ، ولكنها لم نجد طريقاً آخر للمساعدة غير
تقديم الذهب والمال !

هـ — وهكذا أصبحنا مهاجرين تعساء ، وسبوا أصل الفلك ظلمه معناً
إلى أقصى مداه .

* * *

وعلى الرغم من تعاطف الإيرانيين — وبخاصة الأدباء والمثقفين —
مع ألمانيا وحلفائها الدولة العثمانية ضد روسيا القيصرية وجماعة الحلفاء ،
فعندما تعرضت إيران لهجوم عثماني على حدودها الغربية ، سارع الكتاب
والشعراء لشجب هذا الهجوم ، وذلك لأن حشيم الوطني يرفض أن
يُعتدى على ديارهم من عدو أو صديق ، وقصة هذا الهجوم أنه في عام
١٩١٤ هاجمت القوات العثمانية بقيادة حسين رءوف بك غربي إيران ،
وتقدمت جحافل الدولة العثمانية داخل الأراضي الإيرانية مثيرة الفتن
والاضطرابات والخراب والدمار ، ودخلوا في حرب بعد ذلك مع
صمصام الدولة السنجاوي أحد القواد الإيرانيين ، فما كان من الشعراء إلا
أن هاجموا هذا العدوان ، ومنهم الشاعر بهار ، حيث كتب عدة مقالات
صحفية هاجم فيها هذا الغزو العثماني ، ونظم كذلك غزلية اقتطف منها
هذه الأبيات :

هر حلقه كه در آن زلف دوتاست
دام دگری بهر دل ماست
بیماری ماست زان چشم دژم
تنهائی ما ز آن زلف دوتاست

باز این چه بلاست ؟ ای ترك پسر
 ای ترك پسر ! باز این چه بلاست
 ای خلق خدای آواز کنید
 کاواز عموم ، آواز خداست
 ۵- این کشور کیست در دست عدو ؟
 این کشور ماست ، این کشور ماست
 مارا پشکست پرخاش ملوک
 پرخاش ملوک مرگ فقر است
 این يك بشمال ، آن يك بجنوب
 این يك بخفا ، آن يك بملاست
 در مغرب ملك جنگ است وجدال
 در مشرق ملك قتل است وشقااست
 در خطه فارس جوش است وخروش
 در ملك عراق شور است ونواست
 ۱۰- ایران ضعیف ، میران جبان
 خصمان جسور پیش آمده راست^(۱)

وترجمتها :

— كل حلقة من تلك الزلقة المبعثرة ، شبكة أخرى تتعلق بها قلوبنا
 — آلامنا نابعة من تلك العين المهمومة الحزينة ، وعزلتنا مصلرها
 تلك الزلقة المبعثرة .

۱ - دیوان بهار ، ج ۱ ، ص : ۲۷۸ .

— أي بلاء جديد هذا يا سليل الأتراك ؟ يا سليل الأتراك لم هذا
البلاء مرة أخرى ؟

— أيها الخلق هبوا وارفعوا أصواتكم بالضراعة إلى الله ، فصوت
الخلق هو صوت الله والحق .

هـ — لمن هذا الوطن الذي وقع فريسة في أيدي الأعداء ؟ إنه وطننا !
إنه وطننا !

— لقد ألحق بنا الدمار تطاحن الملوك ، حيث لا يتأني من تطاحن
الملوك إلا موت الفقراء .

— فهذا يخرب في الشمال ، وذلك يعيث في الجنوب ، وهذا يدبر
في الخفاء ، وذلك يفسد جهاراً وعياناً .

— وتدور المعارك والحروب في مغرب المملكة ، كما يحتاج مشرقها
القتل والشقاء والتعاسة .

— وفي منطقة فارس يسود الغليان والهياج ، كما يعم منطقة العراق
(العجمي) الاضطراب والنواح .

١٠ — إن إيران ضعيفة ، وقوادها جناء ، بينما لا يتقابل في ساحة الوغى
غير ذوي الشجاعة والإقدام !

* * *

شجب معاهدة ١٩١٩ :

أشرنا من قبل — في التمهيد التاريخي — إلى أن إنجلترا قد فرضت
معاهدة على إيران بعد الحرب العالمية الأولى وأثناء انعقاد مؤتمر باريس
للتفاوض بين الحلفاء حول شئون العالم بعد هزيمة ألمانيا ، وأن هذه المعاهدة

قد أعطت الحق للإنجليز للتدخل بصورة أكبر من ذي قبل ، والإشراف على الأمور العسكرية والمالية لإيران وقد وقع على هذه المعاهدة من قبل إيران رئيس وزرائها وثوق الدولة ، وكان ذلك في ديسمبر (كانون أول) عام ١٩١٩ ، وما أن علم أحرار إيران بذلك حتى ثاروا على هذا الوزير وأتهموه بالتواطؤ والضعف ، وأنه أسلم إيران إلى الإنجليز ، وأنه خيب آمال مواطنيه ، فقد سافر على أمل أن يقنع المؤتمرين في باريس بإخراج كل من القوات الإنجليزية والروسية من إيران ، بعد أن هدأت الحرب ولم يعد لوجود هذه القوات أي مبرر ، فلذا به يرجع وقد وقع معاهدة ترسخ الوجود البريطاني في إيران . ومن الذين هاجموا الاتفاقية والوزير وثوق الدولة ؛ الشاعر فرخي اليزدي ، ومما قاله :

دردا كه دستور بدخوى ز بيسداد
كشورِ جَم را بباد بى هنرى داد
داد قرارى كه بى فزارى ملت
ز آن بفلك ميرسد ولوله و داد
كاش يكى بردى ابن پیام بدستور
كجا ز قرار تو داد، و عيد تو فرياد
چشمِ بلدت دور ، و چه خوب نمودى
خانه ما را خراب ، و خانه ات آباد^(١)

وترجمتها :

— واحسرتاه ، لقد أسلم هذا الوزير السيئ الطوية وطن جمشيد ظلماً و بهتاناً إلى رياح الذل والمهانة !

١ — ديوان فرخي ، ص : ١٦٢ .

— فقد وقع اتفاقاً حرم الأمة الهدوء والاستقرار ، لذا ارتفع صباح
الناس وعويلهم إلى عنان السماء .

— ويا ليت أحداً يحمل هذه الرسالة إلى الوزير ، وهي : أين العدل
في اتفاقك وقد أصبح العيد صراخاً وعويلًا ؟

— فليجنبك الله عين سوء بعد أن فعلتَ عظيماً ، حيث دمرت
ديارنا (الوطن) ، وأبقيت دارك عامرة !

ثم تغنى فرخي بالحرية المنشودة ، وأقسم أن يسفك دم كل متخاذل
رجعي متى واثقه الفرصة لذلك ، وهذه القطعة من أعذب ما أنشده
فرخي ، ويتغنى بها التلاميذ في المدارس ، وتنشد في كل مناسبة وطنية :

قسم بعزت وقدر مقام آزادی
که روح بخش جهان است نام آزادی

به پیش اهل جهان محترم بود آنکس
که داشت از دل و جان احترام آزادی

هزار بار بود به ز صبح استبداد
برای دسته پا بسته شام آزادی

بروزگار قیامت پاشود آئروز
کنند رنجبران چون قیام آزادی

۵- اگر خدای بمن فرصتی دهد یکروز
کُشم زمرتجمین انتقام آزادی

* * *

وترجمتها :

- قسماً بشرف الحرية ومقامها العظيم
إن ما يبعث الحياة في الدنيا ليس إلا الحرية
- كم هو مبجل ومحترم أمام الناس
من يحترم الحرية من أعماق وجدانه وقلبه
- إن ليل الحرية بالنسبة للمكبلة أيديهم وأرجلهم بالقيود
أفضل ألف مرة من صبح الاستبداد
- وهؤلاء المطالبون بالحرية سيقفون مرفوعي الرأس
عندما يُبعثون يوم القيامة
- هـ — وإن يمنحني الله الفرصة ذات يوم
فلأنني أقتل الرجعيين انتقاماً للحرية .

* * *

أما الشاعر عشقي فقد دعا مواطنيه لشجب هذه الاتفاقية المجحفة ،
والنضال من أجل محاربتها وعدم تنفيذ بنودها ؛ حتى ولو سفكت دماء
المناضلين المكافحين من أجل إيران حرة مستقلة ، فقد قال :

میدانم ار که سر خط آزادی ما
با خون نشد نگاشته خوانا نمیشود
تنها منم که گر نشود حکم قتل من
حاشا چنین معاهده امضا نمیشود
گر سیل خون ز دژ ودشت ملک هم
جاری شود ، معاهده اجرا نمیشود^(۱)

۱ — دیوان عشقي ، ص ۱۴۲ ، (طهران ، بهمن ۱۳۱۱ ش) .

وترجمتها :

— إنني على يقين بأن خط حريتنا ، لا يمكن قراءته إن لم يكتب بمداد من الدم .

— وحاشا لله ، أن توقع هذه المعاهدة ، إلا إذا صدر حكم بسفك دمي .

— وحتى ولو سالت دماؤنا أنهاراً تُروى بها وديان وصحاري وسهول المملكة ، فلن تُنفذ هذه المعاهدة !



اجتياح الأراضي الإيرانية خلال الحرب العالمية الثانية :

وتتابع الأحداث السياسية بعد ذلك وتقوم الثورة الروسية فتسحب روسيا من معاهدة ١٩٠٧ التي عقدت بينها وبين إنجلترا لتقسيم إيران إلى مناطق نفوذ ، كما تنازلت عن الامتيازات التي حصلت عليها عن طريق القهر والإذعان من قبل ، فخلا الجو لإنجلترا ، فبسطت سيطرتها على كل الأراضي الإيرانية . كما تابعت الأحداث داخلياً وسقطت الدولة القاجارية ، وتولى رضا شاه الحكم مؤسساً دولة جديدة ، وحاول أن يقلل من النفوذ الأجنبي وبخاصة نفوذ إنجلترا وروسيا ، وفي مقابل ذلك زاد تعاونه مع ألمانيا ، واستعان بخبراء ألمان في بناء إيران حديثة ، وظلت الأمور على هذه الحال حتى اندلعت نار الحرب العالمية الثانية وأعلنت إيران حيادها ، ولكن القوات الإنجليزية والروسية هاجمت إيران وأجبرت رضا شاه على التنازل عن العرش والرحيل عن إيران ، وإسناد الملك لابنه محمد من بعده ، ومن الذين عبروا عن هذه الحادثة ملك الشعراء بهار ، فعلى الرغم من خلافه المستمر مع رضا شاه ، واعتقاله أكثر من مرة خلال سنوات حكمه ، إلا أنه تعاطف معه ضد هذا الطرد ووقوع البلاد

فريسته للقوات الإنجليزية والروسية مرة أخرى ، وذلك لأن الخلاف في الرأي بين أفراد الوطن الواحد مهما كانت أسباب هذا الخلاف ومدى حدته ، يجب أن يُنسَى إذا ما تعرضت البلاد إلى عدوان خارجي ، ومما قاله بهار في قصيدته هذه ، والتي اختار لها « حب الوطن » عنواناً ، نورد هذه الأبيات :

(حب الوطن)

- هرکرا مهر وطن در دل نباشد کافر است
معنی حب الوطن ، فرموده پیغمبر است
- هر که بهر پاس عرض و مال و مسکن داد جان
چون شهیدان از می فخرش لبالب ساغر است
- از خدا واز شاه وز میهن دمی غافل مباش
زانکه بی ابن هر سه ، مردم از بهائم کمتر است
- قلب خود از یاد شاهنشاه مسکن هرگز تـمی
خاصه در میدان که شاهنشاه قلب لشکر است
- ۵ - رو تفاخر کن بشمشیری که داری در میان
زانکه زیر سایه او جنت جهان پرور است
- مُردن اندر شیر مردی بهتر از ننگ فرار
کادمی را عاقبت تیر اجل در معبر است
- چون ببايد مُرد ، باری خیز ، ودر میدان بمیر
مرگ در میدان بیه از مرگی که اندر بستر است
- مُردن از هر چیز در عالم بتر باشد ولی
بنده بیگانگان بودن ز مُردن بدتر است

— فقر در آزادگی به از غنا در بندگی
گور فربه بی گمان صید بلنگ لاغراست
۱۰ — از خدا غافل مشویك لحظه در هر کار کرد
چون تو باشی با خدا هر جا خدایت یاور است^(۱)

. وترجمتها :

(حب الوطن)

— کافر کل من خلا قلبه من حب الوطن
فحب الوطن أمر صادر من الرسول الأمين
— وكل من يضحى بروحه دفاعاً عن عرضه وماله وداره
كالشهداء يغص الكأس بنحمر فخره وعظمته
— لا تغفل لحظة عن الله والشاه والوطن
فبدون الثلاثة يكون الخلق أقل مكانة من البهائم
— يجب ألا يخلو قلبك من ذكر الشاه أبداً
وبخاصة إذا كان الشاه وسط الجند في ساحة الوغى
۵ — امض ، وتفاخر بالسيف المعلق في وسطك
فالجنة تحت ظلال السيوف
— الموت في ساحة الوغى أفضل من معرة الفرار
فسهم الموت يُردي الانسان في نهاية الأمر

۱ — دیوان بهار ، ج : ۱ ، ص : ۷۱۲ — ۷۱۸ .

— فإذا كان الموت واقع لا محالة ، فانهض ، ولتمت في الميدان

أذ" الموت في الميدان أفضل من الموت على الفراش

— إذا كان الموت أسوأ شيء في الوجود

فإن التبعة للأجانب أسوأ من الموت

— إن الفقر مع الحرية ، خير من الغنى قرين العبودية

كما أن الحُمُر الوحشية المكتترة تكون بلا ريب صيداً للنمور

النحيلة

١٠ — لا تغفل عن الله لحظة في أي عمل

فإن تكن مع الله ، فالله في عونك دائماً

وهكذا اكتوت إيران بنار الحربين العالميتين الأولى والثانية ، وكانت أرضها في كلا الحربين مرتعاً لجيوش المحاربين ومعبراً دون موافقة أهلها ، وقد حدث كل هذا على الرغم من إعلان إيران حيادها في كلا الحربين . ونتيجة لهذا الدمار ، وذلك الخراب وُجد بين الشعراء من تغنوا بالسلام ونبلوا الحروب ، واعتبروا دُعائهم بمثابة بومة تحمل الشؤم لمن يسمع صوتها المفزع والمقبض والمنذر بالشرور والكوارث .

جغد جنگ

فغان ز جغد جنگ و مرغواى او

که تا ابد بریده باد نساى او

بریده باد نساى او تا ابد

گسته وشکسته پر و پای او

زمن بریده کرد آشنای من
 کزو بریده باد آشنای او
 چه باشد از بلای جنگ صعبتر
 که کس امان نباشد از بلای او
 ۵- همی زند صلاى مرگ و نیست کس
 که جان برد ز صدمت صلاى او
 همی دهد ندای خوف و می رسد
 بهر دلی مهابت ندای او
 همی تند چو دیوپای در جهان
 بهر طرف کشیده تارهای او
 بهر زمین که باد جنگ بر وزد
 بحلقها گره شود هوای او
 در آن زمان که نای حرب در دمد
 زمانی بی نوا شود ز نای او
 ۱۰- بگوشها خروش تندر اوفتند
 ز بانگک توپ و غرش و هرای او
 جهان شود چو آسیا و دمیدم
 بخون تازه گردد آسیای او
 رونده تانک همچو کوه آتشین
 هزار گوش کر کند صدای او
 چو پر بگسترد عقاب آهنین
 شکار اوست شهر و روستای او
 هزار بیضه دمی فرو نهد
 اجل دوان چو جوجه از قفای او

۱۵- برزمگه (نخدای جنگک) بگنرد
 چو چشم شیر لعلگون قبای او
 اهل جهان ز قعقع سلاح او
 اجل دوان بسایه لوای او
 بهر زمین که بگذرد بگسترده
 نهیب درد و مرگ و ویل و وای او
 بقای غول جنگک هست دزد ما
 فنای جنگبارگان دواى او (۱)

* * *

وترجمتها :

بومة الحرب

- يا ويلتاه من بومة الحرب وصوتها المشوم ، إني أسأل الله أن ينقطع صوتها إلى الأبد .
- فليقطع صوتها إلى الأبد ، وليطمح جناحها ، وتنكسر قدمها !
- لقد أبعدت عني أصدقائي ، فليحرمها الله من أربابها !
- وأي شيء في بلاء الحرب أصعب من أن أحداً لا يأمن شرها وبلاءها
- ه - إنها تؤذن دائماً لصلاة الموت ، وليس لشخص أن يحمي روحه من صدمة صلاتها .
- إنها تصدر نداء الرعب دائماً ، لذا فمهابتها تصل إلى كل قلب .
- وهي تنسج خيوطها كالعنكبوت في الدنيا بأسرها ، وتمدها إلى جميع الأنحاء .

۱ - ديوان ملك الشعراء بهار ج ۱ ، ص ۷۹۶ - ۷۹۹ .

- وفي كل بلد تهب عليه رياح الحرب ، تصبح غُصّة تقف في الحلوق .
- وكلما تعالت نغمات ناي الحرب ، يصاب الزمان بالعجز والشلل من نغماتها .
- ١٠ — كما تصم الآذان بأصوات الرعد ، الصادرة عن المدافع وزئيرها المزعج .
- في الحرب تصبح الدنيا كالطاحونة ، تتجدد رحاها بالدماء في كل لحظة .
- عندما تتحرك الدبابة وهي شبيهة بجبل ناري ، فإنها تصم آلاف الآذان بصوتها المرعب .
- وعندما ينشر العقاب الحديدي جناحيه ، يكون صيده كل من القرى والمدن !
- ولأنها تضع في كل لحظة ألف بيضة ، فالأجل يسرع في ركابها كما تسرع الفراخ في إثر أمها .
- ١٥ — وعندما يتحرك إله الحرب في ميدان الوغى ، يتطاير الشرر المتقد من عينيه وكأنها عين أسد مزجر .
- وأهل الدنيا — نتيجة لقعقة سلاحه — سرعان ما يسرع إليهم الأجل والدمار .
- ففي كل أرض يمر بها ، ينشر الهلع والموت والويل والأسى .
- وبقاء غول الحرب ، بقاء لآلامنا ، إذ لا يجد راحته إلا في إفناء المحاربين !

* * *

الفصل الثاني

الشعر في خدمة الثورة الدستورية

الفصل الثاني

الشعر في خدمة الثورة الدستورية

مقدمات الثورة الدستورية :

أشرنا في المقدمة إلى أن أحوال إيران خلال السنوات الأخيرة من القرن الماضي والسنوات الأولى من القرن العشرين قد اتسمت بالسوء وتفشي المظالم ، واتسام ملوك الدولة القاجارية ورجال البلاط بالأنانية وعدم الإحساس بمشاكل الجماهير ، بل والتعالي على هؤلاء الجماهير ، وفي مقابل ذلك أصاب الضمور المساحة الإيرانية ، واقتطعت روسيا القيصرية الكثير من الأراضي الإيرانية في آذربيجان وتركستان وما وراء النهر ، وهكذا شعر أحرار إيران وأبنائها البربرة بأن الحاكم القاجاري لم يعد جديراً باحترام مواطنيه ، وليس أهلاً لأن يظل قابلاً على كرسي العرش ، ولهذا وجدنا ناصر الدين شاه القاجاري يتعرض للاغتيال عام ١٨٩٦ م ، ولعل حادثة الاغتيال هذه كانت الشرارة الكبرى التي أسقطت هيبة الشاه في إيران ، وبدأت القصائد والمقالات تتوالى في تغديم النقد والتبطل عليهم لأن الفجوة بين الحاكم والمحكومين قد اتسعت ، والصلة بينهما قد انقطعت ، ولا شك أن هذه النظرة الجديدة إلى الحكم والحاكم قد تأثرت بعوامل داخلية ، وأخرى خارجية نجلها باختصار شديد فيما يلي :

١ - سفر الإيرانيين إلى الخارج ، والاختلاط بشعوب يتمتع فيها المواطن بحرية إبداء الرأي ، والمشاركة في صنع القرار من خلال المنظمات الدستورية التي تشارك الحكومة والحاكم في تسيير دفة الأمور ، فوجد هؤلاء الإيرانيون الذين أتيحت لهم فرصة السفر ، أن فكرة الشرق عن الحاكم وأنه ظل الله على الأرض ، فكرة خاطئة ، وأنه ليس إلا مواطناً عادياً مكلفاً بعمل ضخم عليه أن يخلص في آدائه ، وإلا انسحب من الحياة العامة وترك المنصب لمن هو أكثر قدرة على القيام بهذا العمل ، وهكذا يكون المثلث تكليفاً قبل أن يكون تشريفاً ، وعندما عاد هؤلاء الإيرانيون إلى ديارهم بدعوا يتحنون الفرص للحديث عن نظم الحكم الأوروبية ، إما في مجالسهم الخاصة ، وإما في أي مناسبة عامة .

٢ - منح شركة بريطانية امتياز احتكار التبغ في إيران ؟ مما أشعر الإيرانيين بأن الاقتصاد الإيراني أصبح تحت قبضة هذه الشركة ، كما تدخل رجال الدين وعلى رأسهم جمال الدين الأسدآبادي (الأفغاني) للاعتراض على هذا الاحتكار وألبوا الشعب ضد الشاه القاجاري ، وضد الشركة البريطانية الاحتكارية ، مما أجبر الشاه على إلغاء الامتياز ، وهكذا أدرك الإيرانيون أن الوحدة بين صفوفهم قادرة على إجبار الشاه والحكومة على النزول وفق إرادة الجماهير .

٣ - حالة الفقر المدقع الذي سادت إيران في أواخر العصر القاجاري ، وقد كان هذا الفقر نتيجة مباشرة للضرائب الباهظة التي يفرضها البلاط القاجاري على المواطنين ، أملأ في الحصول على الأموال التي تيسر لهم حياة البذخ واللهو ، والسفر إلى أوروبا بحثاً عن المتعة المحرمة . كما أن إهمال الدولة للزراعة والصناعة ، قد ألحق الأضرار الكبيرة بالمرارعين والصناع ، مما أشعر الإيرانيين بالحق تجاه جلاذيتهم وهم حكامهم ، وكان

حال لسانهم ينطق بالقول المأثور : « تقتير هنا وتبذير هناك » ، ولهذا بدأ الإيرانيون يتطلعون ليوم يتخلصون فيه من سطوة هؤلاء الحكام وظلمهم وجورهم .

٤ - كثرة الامتيازات التي منحها القاجاريون للأجانب وبخاصة لكل من روسيا وإنجلترا ، فقد كان الحاكم القاجاري حريصاً على الانفاق والبدخ ، وبالتالي انخرطوا في أخذ الديون من هاتين الدولتين ، وبالتالي تبعت الديون امتيازات تُعطى لأصحاب الديون ، وهكذا أصبحت كل مصادر الثروة الإيرانية من مصاديد وهاتف وسكك حديدية وجمارك تحت تصرف الدول الأجنبية لكي يكون دخلها ضماناً لهم لاسترداد ديونهم . وهكذا شعر الإيرانيون بأن الحاكم الإيراني قد باع وطنه للأجانب ، وبالتالي فقد احترام مواطنيه ، وأصبحوا يتمنون الخلاص منه والإطاحة به وبكل الامتيازات التي كبل بها الاقتصاد الإيراني .

٥ - مقتل ناصر الدين شاه (١٨٩٦) ، إذ كان هذا الاغتيال عاملاً هاماً في تحطيم قدسية الشاه ، وفكرة « حق التفويض الإلهي » وأن « الحاكم ظل الله على الأرض » ، فقد حكم ناصر الدين شاه فترة طويلة جداً (١٨٤٨ - ١٨٩٦ م) اتسمت بكل مظاهر القسوة والجبروت ، وبالتالي كان سقوطه بالاغتيال ، سقوطاً لنصب الظلم والقهر ، ولذا اشتدت بعد اغتياله مباشرة حملات الهجوم على الحكام ورجال البلاط ، وتعنيفهم على ما أصاب إيران من ضعف وتخلف .

إلى جانب هذه العوامل الداخلية يمكن إضافة عاملين خارجيين ساعداً على تطلع الإيرانيين لقيام حكم نيابي ومشاركة شعبية في الحكم ، وهذان العاملان هما :

١ - انتشار مبادئ الثورة الفرنسية في العالم ، وهي مبادئ الحرية والإخاء والمساواة ، وأن هذه المبادئ دكت صروح الظلم والطغيان

وقصور الفساد لا في فرنسا وحدها ، بل في كل البلاد الأوروبية ، ثم انتقلت هذه المبادئ إلى بلدان الشرق ومنها إيران ، وهكذا بدأ الإيرانيون يقارنون بين ما هم فيه من ظلم وتعسف وطبقية ، وبين ما تدعو إليه الثورة الفرنسية من إخاء ومساواة ، وأدركوا أنهم لن ينعموا بهذه المبادئ إلا إذا تحطمت قصور القاجاريين كما تحطمت جدران الباستيل في فرنسا ، فتمنوا أن يكون هذا اليوم قريباً وأخذوا يعملون له .

ب - الحرب اليابانية الروسية ، فنظرة الإيرانيين إلى روسيا القيصرية كانت نظرة ضيق وحقن فنتيجة لاقطاع الروس بعض الأراضي الإيرانية ، ولعدم قدرة الإيرانيين على استرداد هذه الأراضي ، وتخوفهم من بطش روسيا ، ومقدرتها على إلحاق الضرر بهم ، ولهذا كانت فرحة الإيرانيين عظيمة عندما استطاعت اليابان التغلب على روسيا في هذه الحرب التي وقعت في أواخر القرن الماضي بينهما ، وشعر الإيرانيون أن اليابان قد انتصرت على روسيا بفضل وحدة جماهيرها ، والتحام حكام اليابان بالشعب الياباني ، وبالتالي فإن تسلط الروس على إيران مرجعه إلى ما يسود البلاد من فرقة وانقسام بين طوائف الشعب المختلفة ، كما يعود إلى تواطؤ الشاه القاجاري مع الروس على حساب المصلحة العامة لمواطنيه ، وهكذا تطلع الإيرانيون ليوم يسقط فيه هذا الشاه وتتحد الإرادة الجماهيرية حتى تستعيد إيران سابق مجدها ، وسالف قوتها للتصدي للتطاول الروسي شأنهم في ذلك شأن اليابانيين الذي ضربوا لهم المثل بأن الاتحاد قادر على التصدي لأي جبار طاغية ، حتى ولو كان هذا الجبار روسيا القيصرية .

* * *

هذه العوامل الداخلية والخارجية خلقت شعوراً بعدم الرضا موجهاً ضد الحكام القاجاريين ، ولهذا بدأت موجة الانتقاد لهؤلاء الحكام تنتشر

في الأدب الفارسي ، حيث يتحدث الكتاب والشعراء عن صنوف العذاب
التي تعرض لها الإيرانيون على يد زبانية الحكم القاجاري ، فقد قال
« ميرزا آقاخان كرماني »^(۱) :

همه در اسارت و در بندگی
نه آگه ز آزادی و زندگی
همه ز رد و هیجان و آزار و نزار
شب و روز بر حال خود سوگوار
بریده یکی را دو دست و دو پای
تنی مانده بر پا و جانی بجای
یکی را بمسمار کنده دو چشم
که هر کس به ببیند بسوزد ز خشم
یکی را ز سر دور کرده دو گوش
که هر کس بدید آن بر آرد خروش
یکی را بریده است دژخیم سر
یکی را کشیده بتنگ قجر

۱ - اسم میرزا عبد الحسین المعروف باسم میرزا آقا خان ، ولد عام ۱۲۷۰ هـ في کرمان حيث تعلم هناك الرياضيات والطبيعة والحكمة والعلوم الالهية ، كما تعلم بعضا من اللغتين الانجليزية والفرنسية . ثم انتقل وهو في الثلاثين من عمره الى اصفهان ومنها الى طهران حيث قسام بتدريس العلوم القرآنية ، وأخيرا سافر في عام ۱۳۰۵ هـ الى اسطنبول وهناك اشتغل محررا في صحيفة « اختر » التي كانت تصدر في اسطنبول وتوزع في ايران والهند . ومن أهم مؤلفاته التي طبعت : « جنك هفتاد و دو ملت » ، « انشاء الله وما شاء الله » ، و « آئينه سکندري » . وقد انتهت حياته بالقتل عام ۱۳۱۴ هـ . (لغت نامه ، از صبا تانوما ج ۱ ، ص ۳۹۰ - ۳۹۴)

وترجمتها :

- الجميع قيد الأغلال ورهن العبودية ، وليس لهم بالحرية دراية ، وبالحياة أي خبرة .
- الجميع يقضون نهارهم وليلهم وكأنهم في مأتم ينعون حظهم مما هم فيه من اضطراب وهياج وحسرة وألم .
- فهذا واحد قد قُطعت يداه وساقاه ، فبقي جسداً هامداً ، وإن كانت تدب فيه الحياة !
- وآخر فقأوا عينيه بمسمار ، فأصبح مصير ألم وحسرة لكل من يراه !
- وهذا قطعوا أذنيه من رأسه ، فإن رآه أحد انخرط في بكاء وعويل .
- وآخر أطاح الجلاد برأسه ، وذاك أقتيد إلى سجن القاجار .

• • •

إذا كان آقاخان كرماني ، قد تحدث عن المصائب والكوارث التي يتعرض لها الإيرانيون كل يوم على أيدي القاجاريين ورجالهم ، فإن « أديب الممالك فراهاني » قد سخر من الملوك ، وما آلت إليه إيران على أيديهم ، فبعد أن كانت قوية فنية مرهوبة الجانب ، وكان ملوكها الأقدمون قد كونوا إمبراطوريات أخضعت العديد من بلدان العالم للراية الإيرانية ، فإن ملوك الدولة القاجارية ، قد جعلوا إيران تابعة ذليلة لكل من إنجلترا وروسيا ، وأصبح الإيرانيون نهياً للهموم والأحزان والكوارث ، أما الملوك فهم في غفلة عن كل هذا . ولا يهمهم إلا تحقيق المتعة واللهو والعبث ؛ وقد نظم أديب الممالك هذا المسمط عام ١٣٢٠ هـ (١٩٠٢م)

ونشره لأول مرة في صحيفة الأدب التي كانت تصدر في مشهد حاضرة
خراسان :

مایم که از پادشاهان باج گرفتیم
ز آن پس که از ایشان کمر و تاج گرفتیم
دبیم و سریر از گهر و عاج گرفتیم
اموال و ذخایرشان تساراج گرفتیم
وز پیکرشان دیه و دیباج گرفتیم
مایم که از دریا امواج گرفتیم
واندیشه نکردیم ز طوفان وز تیار

در چین و ختن و لوله از هیبت ما بود
در مصر و عدن غلغه از شوکت ما بود
در اندلس و روم عیان قدرت ما بود
غرناطه و اشبیلیه در طاعت ما بود
صقلیه نهان در کنف رایت ما بود
فرمان همایون قضا آیت ما بود
جاری به زمین و فلک و ثابت و سیار

امروز گرفتار غم و محنت ورنجیم
در داو فره باخته اندر شش و پنجم
با ناله و افسوس در این دیر سپنجیم
چون زلف عروسان همه در چین و شکنجیم

هم سوخته كاشانه وهم باخته گنجيم
مايم كه در سوك وطرب قافيه سنجيم
جفديم به ويرانه ، هزاريم به گلزار^(۱)

• وترجمتها :

— نحن من أجبروا الملوك على دفع الخراج ، بعد أن سلبناهم التيجان
وزينة الملك .
— نحن من استولوا على العروش ومقاليد الحكم ، ومن أغاروا على
الأموال والذخائر .
— ونزعنا عن أجسادهم الديباج والحرير ، بل من سلبوا البحر أمواجه
دون أن نأبه قط بطوفانه وتياره !
— هيبة منا ، عم الصراخ والعويل الصين والختن ، وهلعاً من جبروتنا
ساد الاضطراب مصر وعدن !

١ - نقلا عن از صبا ثانيما ، ج ٢ ، ص : ١٤٠ ، ١٤١ ، وأديب الممالك
فرهاني ولد في عام ١٢٧٧هـ في قرية من اتباع مدينة أراك ، ولقد لقبه الشاه
مظفر الدين بلقب أديب الممالك ، ولكنه انضم بعد ذلك الى الثوار وكان بين
الشوهد التي وفدت على طهران لفتحها عام ١٣٢٧ هـ . وقد صرف معظم
وقته في تحرير الصحف ، وكان ينشر أشعاره في الصحف التي يشارك في
تحريرها ، وتوفي عام ١٣٣٥ هـ ، ونشر ديوانه باهتمام وحيد دستكردي ،
وقد حفلت أشعاره الى جانب المسدح والهجاء ، بالموضوعات الاجتماعية
والمبارزات السياسية ، وكانت معرفته باللغات الاوربية سببا في تضمينه
أشعاره بعض الافكار والكلمات الاوربية ، كما كان تبحره في العلوم العربية
واللغة العربية سببا في استخدامه بعض الكلمات العربية الفصحى التي
لم يستخدمها معاصروه من قبل ، فكان مثلهم الذي يحتذى في ذلك . (لغت
نامه ، كنز سخن ج ٣ ذبيح الله صفا ، ص ٢٤٩ - ٢٦١ ، از صبا ثانيما
ج ٢ ، ص : ١٣٧ - ١٤٦) •

— وكانت قدرتنا واضحة للعيان في الصين والروم ، وتحت إمرتنا
خضعت غرناطة وأشبيلية .

— وفي كنف رايتنا التجأت صقلية واحتمت ، كما جعل القضاء أوامرنا
الملكية :

ساريةً بالأرض قاطبة ، وكذلك بالأغلاك الثوابت منها والسيارة !

— ولكننا اليوم ، أصبحنا أسرى الهموم والمحن والأحزان ، كمن
يضرب أخماساً في أسداس .

— وهكذا سيطر النواح والحسرة علينا في تلك الفانية (الدنيا) ،
وبقينا مشوشى الفكر مبعثرين كزلفة العروس .

— لقد أحرقنا أمتعتنا ، وأضعنا كنوزنا ، ثم وقفنا في ركن نسمع
رجع الصدى :

حيث تنوح بومتنا في كل خرابة ، ويصدح بلبلنا بكل روضة !

* * *

كما نظم أديب الممالك مسمطاً آخر بسيطاً في شعره ، سهلاً في
حفظه ، عذباً في نغماته ، مما دفع الكلليل علينقي خان وزيري إلى تلحينه ،
فشاع ترديده بن الناس ، وقد جعله في صورة خطاب موجه إلى أحد ملوك
إيران الأقدمين «سيروس» الذي حقق لبلده العظمة وأخضع كل البلاد المروفة
لحكمه ، فهو يدعو له كي يتقد إيران بعد أن عجز الشاه الفاجاري عن
تحقيق ذلك :

پیام به سیروس

ز راه کرم ای نسیم سحرگاه
سوی پارساگرد و بگلر از این راه
به سیروس از ما بگو کای شهنشاه ،

چرا گشتی از حال این ملک غافل ؟

تو بودی که لشکر به قفقاز راندی
ز ارمینه تا به اهواز راندی
ز شط العرب تا به شیراز راندی

خراسان وری وصل کردی به بابل

درینجا که اقلیم سیروس ودارا
فتاده است در بحر غم آشکارا
توای ناخدا ، همی کن خدارا

مگر گشتی ما برده ره به ساحل

چو ویرانه شد ملک کی ، کشور جم
ز علم و هنر باید افراشت بر جسم
ز همت کمر ساخت ، از عدل خاتم

ز تقوی کلاه ، وز دانش حمایل^(۱)

۱ - نقلا عن از صبا تانپما ، ج ۲ ، ص ۱۴۶ ، و سیروس هو کورش
مؤسس الامبراطورية الكيانية التي حكمت ايران والعالم قبل ظهور الاسكندر
الاکبر *

وثرجمتها :

« رسالة الى كورش »

نسيمَ السحر ! تكرم علينا
وامض صوب فارس ، عابراً هذا الطريق
وقل لكورش على لساننا : يا ملك الملوك
لمَ أنت عن هذه المملكة غافل ؟

عندما كنت موجوداً ، اجتحت بجيوشك القوقاز
واندفعت من أرمينية حتى الأهواز
كما تقدمت من شط العرب إلى شيراز
ووصلت خراسان والرى ببابل

واحسرتاه ! لقد أصبح وطن كورش ودارا
غريقاً في بحار الغم جهاراً
استحلفك بالله أيها الربان أن تكون ذا همة
فلعلك تصل بسفيتتنا إلى الساحل

إذا كان الخراب قد عم مملكة الكيانيين ، وديار جمشيد
فالواجب أن ترفع راية العلم والتفضل
ولتجعل الهمة إزارك ، والعدل خاتمك
والتقوى قلنسوتك ، والعلم حمائلك

* * *

إذا كان أديب الممالك وغيره ، قد صبوا جام غضبهم على الشاه ورجال حاشيته ، فهناك بعض الأدباء الذين وجهوا اللوم إلى كل الإيرانيين حكاماً ومواطنين ، حيث عدم الجميع الشعور بالمسؤولية العامة وروح الجماعة ، وأصبح كل فرد يعمل لحسابه الخاص ، دون النظر إلى مصلحة باقي المواطنين ، ومن هؤلاء الذين عبروا عن هذه الحالة من فقدان المسؤولية العامة ، الكاتب والشاعر « طالبوف » حيث قال ، ما ترجمته :

« ... إن اهتمام الخلق لم ينجح بعد صوب إصلاح أمور الوطن ، فكل فرد من الكبار أو الصغار ، من الأغنياء أو الفقراء ، من العلماء أو الجهلاء يرعي حماره فقط ، وليس لدى أي شخص إحساس أو شعور بالآخرين ، فلا يتحدث أحد عن المصالح المشتركة للوطن والمواطنين وكأن هذا الوطن ليس قطعة منهم ، وكأنهم ليسوا مواطنين مثل غيرهم ^(١) . »

١ - انظر : بررسي ادبيات امروز ايران : دكتور محمد استعلامي ، ص ٧٧ : تهران ٢٥٣٥ شاهنشاهي . وقد ولد عبد الرحيم طالبوف في عام ١٢٥٠ هـ . باحدى مدن آذربايجان ، وكان أبوه فقيراً معدماً ، ولذا هاجر في صباه الى مدينة تفليس ، حيث عمل ليكسب قوته ، كما اجتهد في تعلم اللغة الروسية . وعندما بدأ الغليان في ايران ضد ناصر الدين شاه ، انضم طالبوف الى الثائرين ، بل اعتبره البعض من زعماء الثورة اذ اعتبروا كتاباته في هذا الخصوص « ألف باء الحرية » وبعد أن نجحت الثورة الدستورية ، التفت حوله الاندرياجانيون لكي يرشحوه عنهم في المجلس النيابي خلال دورته الاولى ، ولكنه اعتذر لتقدمه في السن وضعف بصره ، وهكذا لم تتح له الفرصة للذهاب الى طهران ، حيث قضى البقية الباقية من حياته في مدينة « تمرخان شوره » الروسية والمعروفة الآن باسم « بويلاكسك » وقد قضى نحبه في حوالي عام ١٣٢٨ هـ (١٩١٠ م) ، ومن أهم مؤلفاته : سقينة طالبي يا كتاب احمد ، مسالك المحسنين ، مسائل الحيات ، ايضاحات در خصوص آزادي ، سياست طالبي ... (از صبا تاخما ج ١ ، ص ٢٨٧ - ٣٠٤) .

ومن أشعاره التي يُحتمل فيها كل طوائف الشعب المسئولة، ويطالبهم
بضرورة العمل المشترك ، قوله :

شدد زخلق ايران	تاكه داننش وغيرت
رفت رو بهويراني	ملك وملست ايران
ملتي همه جاهل ^(١)	كشوري همه غافل

وترجمتها :

- متى يتولد لدى شعب إيران الشعور بالغيرة ، والاهتمام بالعلم ،
- لقد سارت المملكة الإيرانية وشعبها صوب الخراب والدمار .
- وذلك لأن الوطن كله في غفلة ، والأمة كلها في جهالة .

* * *

الثورة وبدا الحياة النيابية :

كانت النفوس مهية للثورة مع انطلاق أول شرارة ، وكانت هذه
الشرارة قد تمثلت في ارتفاع مفاجيء في ثمن السكر بالعاصمة طهران ،
فإذا بحاكم طهران المدعو علاء الدولة يلقي القبض على سبعة عشر تاجراً
وعلى اثنين من رجال الدين بتهمة احتكار السكر ورفع سعره ، وتآليب
العامة ضد الحكومة وإهمالها معالجة مشاكل الجماهير وعدم العمل على
ارتفاع الأسعار ، وقد تم جلد المقبوض عليهم ، مما أوجج ثورة الشعب ،
واعترضت الجموع الوفيرة من التجار والمثقفين ورجال الدين في المساجد ،
وبدأ الإضراب العام يحتاج العاصمة ، ورفع المعتصمون مطالبهم المتمثلة
في إقصاء حاكم طهران عن منصبه ، وتأسيس محكمة عليا تتولى - طبقاً
لللقانون - محاكمة أي منهم ، وحتى لا يتكرر ما فعله حاكم طهران ،

١ - المرجع السابق ، ص : ٨٦ .

من إلقاء قبض وإعدام دون محاكمة منصفة كما يقضي بذلك قانون حقوق الانسان ، وقبلها تعاليم الدين الإسلامي .

لكي يمتص مظفر الدين شاه ثورة الجماهر ، قطع على نفسه وعداً بإنشاء المحكمة العليا ، وعزل الصدر الأعظم عين الدولة الذي كان يساند حاكم طهران في موقفه ، ولكن الشاه لم يف بما وعد ، بل واصل عين الدولة تنكيله بالجموع المضربة ، واعتقال الكثيرين من المتظاهرين ، فزادت الثورة اشتعالاً وتوجه العلماء — فيما يسمى بالهجرة الصغرى — إلى ضريح الشاه عبد العظيم الموجود في جنوبي طهران ، واعتصموا به وكان ذلك في أواخر عام ١٣٢٣ هـ (١٩٠٥م) ، كما تجاوبت جميع المدن الإيرانية مع الثائرين ، فثارت الاضطرابات في مشهد وكرمان وفارس وأصفهان وغيرها من المدن الإيرانية تطالب بحياة نيابية حيث يحكم الشعب فيها نفسه بنفسه .

استمرت الاضطرابات تبتلع طهران وبقية المدن الإيرانية ، دون أن تبدو بوادر حل للأزمة ، مما دفع العلماء إلى ما يسمى بالهجرة الكبرى ، حيث غادروا العاصمة ، وتوجهوا للاعتصام بمدينة قم المقدسة ، وكانت هذه الهجرة الكبرى في الثالث والعشرين من جمادى الأولى عام ١٣٢٤ هـ (١٩٠٦م) ، وصاحب هذه الهجرة إضراب عام وإغلاق للمتاجر وشل لكل حركة في العاصمة . وواكب ذلك بلجوة بعض المتظاهرين للاعتصام بالسفارة الإنجليزية والحصن داخلها ، حيث كانت إنجلترا تحاول التقرب من زعماء الحركة الدستورية طمعاً في احتوائهم ، ولضرب غريمها الأول في إيران ، وأعني به روسيا القيصرية التي كانت تبدو متآمرة ضالعة مع الشاه في قسوته وجبروته ضد الثائرين ، كما سيتضح لنا فيما بعد (١) .

١ - انظر ضرب المجلس ، ص ٨٢ وما بعدها من هذا الكتاب .

أمام هذا الإصرار الثوري ، اضطر مظفر الدين شاه إلى إصدار فرمان بقيام حياة نيابية في إيران لأول مرة في التاريخ ، وكان ذلك في الرابع عشر من جمادى الآخرة عام ١٣٢٤ (١٩٠٦) وهنا بدأت الأمور تأخذ طريقتها إلى الهدوء ، وبدأ العلماء يعودون إلى طهران ، وغادر المعتصمون بالسفارة البريطانية مبنى السفارة ، وبدأ الزعماء والأحرار يستعدون لممارسة الحياة النيابية والمشاركة في حكم البلاد^(١) .

هلل الأدباء بصدور هذا القانون ، ونظموا العديد من القصائد في هذه المناسبة التي جاهدوا من أجلها ، وضحوا في سبيل تحقيقها ، ومن بين الذين عبروا عن فرحتهم هذه الشاعر بهار ، حيث قال :

بگدشت اردی بهشت و آمد خرداد
خیز که باید قلدح گرفت و قدح داد
آمد خرداد ماه با گل سوری
داد بیاید کنون بعیش و طرب داد
بر گل سوری خوش است باده سوری
ویژه ز دست تو ماهروی پریراد
صبح دوم کافتاب خندد بر کوه
بر سر یکشاح ، گل بخندد هفتاد
هـ - جور پسندند خوبرویان بر من
فریاد از جور خوبرویان فریاد
ملک یکی خانه ایست بنیادش عدل
خانه نیاید اگر نباشد بنیاد

١ - لمعرفة المزيد عن هذه الثورة الدستورية يمكن الرجوع الى بهار : تاريخ احزاب سياسي ، سايکس : تاريخ ايران ج ٢ ، کسروی : تاريخ مشروطة ايران ...

داد ودهش گر بنا نهند به کشور
 به که حصاری کنند ز آهن و پولاد
 شکر خداوند را که داد ودهش را
 طرفه بنائی نهاد پادشه راد^(۱)
 پادشه دادگر مظفر دین شاه
 آنکه ز عدلش بنای ظلم بر افتاد
 ۱۰ - ظلم برون شد چو او در آمد بتخت
 فتنه فرو شد چو او ز مام جهان زاد

وترجمتها :

— انقضی اردیبهشت و جاء خرداد ، فانقض حیث وجب تبادل
 الاقداح .

— جاء خرداد مصحوباً بوردة حمراء ، فوجب الفرح والسرور
 والغناء .

— وما أجمل أن تصحب الوردة الحمراء خمر ياقوتية ، وبخاصة
 إذا كانت من يدك أيتها الملائكية الحسنة .
 — عندما تبسم الشمس من خلف الجبل كل صباح ، فإن كل غصن
 تبسم منه سبعون وردة .

۵ — لقد استعذب الحسان ممارسة الظلم معي ، فالتجدة من ظلم الحسان
 التجدة !!

۱ — دیوان بهار ، ج ۱ ، ص : ۲۵ ، ۲۶ ، و اردیبهشت شهر ایرانی
 یقابل شهری ابریل و مایو (نیسان — وایار) ، أما شهر خرداد فیقابل شهری
 مایو و یونیو (ایار — حزیران) .

— الملك منزل أساسه العدل ، فإذا انعدم الأساس ، تقوض المنزل .
 — إذا كان بناء الوطن مؤسساً على العدل والإنصاف ، كان أكثر
 إحكاماً من جدار بُني من حديد وفولاذ !
 — شكراً لك يا إلهي أن ألهمت بعدلِكَ وإنصافك السلطان الحصيف
 لإقامة البنيان .
 — إنه الشاه العادل مظفر الدين ، الذي قوض بعدله بناء الظلم والتعسف .
 ١٠ — لقد ولى الظالم عندما تولى السلطنة ، وسقطت الفتنة حينما أنجبت
 أم الدنيا !

* * *

وإذا كان ملك الشعراء بهار قد مدح الشاه مظفر الدين في نهاية
 قصيدته على إصدار القانون ببدء الحياة النيابية ، فقه هاجم أشرف الجيلاني
 الصدر الأعظم عين الدولة الذي كان أكبر مناوئاً للدستور ، وانتهى
 الأمر بعزله وانتصار الثورة الدستورية ، ومما قاله أشرف :

ای مرغ پر شکسته مفلوک و مستمند
 ای طوطی بهشتی پرورده ز آب و قند
 ای آهوی ختایی افتاده در کمنند
 ای روح فیض بخش مقید به قید و بند
 خود را ز قید و بند اسارت رهیده گیر
 مشروطه را شنیده ولیکن ندیده گیر (١)

١ - نقلاً عن : در جنبش مشروطیت (ابراهیم فخرائی) تهران ١٣٥٣
 ش ، ص : ٢٧٦ .

وترجمتها :

— أيها الطائر المحطم الجناح المسكين الدليل ، ويا بغياء الجنة المدلل بالماء والسكر .

— ويا غزال الخطا الواقع في الشباك ، ويا أيها المتحكم في الأرواح المقيد الآن بالقيود والأصفاد .

— لتخلص نفسك من قيود العبودية ، فقد سمعت بالثورة الدستورية ، ولكنك تتعالمى عنها ؛ أيها الأسير !

* * *

ومن الذين فرحوا لنجاح الثورة الدستورية الشاعر أديب الممالك فراهاني ، وقد قرن فرحته بتوجيه النصيح لجموع الشعب حتى تدرك ماذا تعني هذه الحياة الدستورية، إنها تعني المشاركة الجماعية في الحكم، واتحاد جميع قوى الشعب للعمل صفاً واحداً لدفع عجلة الوطن نحو التقدم والازدهار :

غرض ز انجمن واجتماع جمع قواست
چرا كه قطره چو شد متصل بهم درياست
ز قطره هيچ نيابد ولي چه دريا گشت
هر آنچه نفع تصور کنی در او گنجاست
ز قطره دیده نگردیده هيچ جنبش موج
که موج جنبش مخصوص بحر طوفانراست
به قطره کشتی هرگز نمیتوان راندن
چرا که او را نی گودی است و نی پهناست
فرد فرد محال است کارهای بزرگ
ولی ز جمع توان خواست هر چه خواهی خواست

اگر مرا و ترا عقل خویش کافی بود
چرا بحکم خداوند امر بر شُوراست

وترجمتها :

- الهدف من المجتمع والجماعة هو جمع القوى ، فحيثما تجتمع القطرات تصبح بحراً .
- إن القطرة لا يتأتى منها أي فعل ، ولكن عندما تصبح بحراً ، فلك أن تتصور أي نفع يتأتى منها ، لقد أصبحت كنزاً !
- لن يكون لقطرة دمع هدير الموج ، فهدير الأمواج صفة البحار الهادرة .
- القطرة لا تسيّر سفينة قط ، وذلك لأنها قد عذمت العمق والإتساع .
- لا يمكن لإنسان بمفرده أن ينجز أعمالاً كباراً ، ولكن يمكن أن يتأتى من الجمع كل ما تتمناه وترغب
- إذا كان في عقلي وعقلك الكفاية ، فلم جاء حكم الله - عز وجل - بأن الأمر شورى ؟

* * *

وبعد شهرين من صدور قانون الحياة الدستورية ، انعقد المجلس في دورته الأولى ، وكانت في الثامن عشر من شعبان ١٣٢٤ هـ (أغسطس ١٩٠٦) . وذلك بحضور مظفر الدين شاه بقصر الكلستان ، وفي هذه الجلسة وقع الشاه « بروتوكولات » الحياة الدستورية ، وقد وصلت مواد الدستور في صورته الأولى إلى إحدى وخمسين مادة ، وبهذه المناسبة قال أديب الممالك :

شادباش ای مجلس ملی که بینم عنقریب
 از تو آید درد ملت را درین دوران طبیب
 شادباش ای مجلس ملی که ایران از تو یافت
 دولت دور شباب اندر بی عهد شیب
 مجلس ملی ز یاد شاعران برد آنچه بود
 از حماسه وز تہانی وز مدیح واز نسیب ^(۱)

وترجمتها :

- مرحباً بك أيها المجلس الوطني ؛ فعمما قريب أرى طبيباً ينهض من بين صفوفك يعالج آلام الأمة .
- مرحباً بك أيها المجلس الوطني ، فستجد إيران عصر الفتوة والشباب بعد طول مشيب
- لقد سلب المجلس الوطني كل ما كان بذاكرة الشعراء من حماسة وتہانی ومدیح ونسیب !

* * *

الاعتداء على المجلس وقوقف الحياة النيابية (۲) :

لم يعمر مظفر الدين شاه كثيراً بعد افتتاح المجلس النيابي ، فقد مات بعد حفل الافتتاح بعشرة أيام فقط ، أي في الرابع والعشرين من ذي القعدة عام ۱۳۲۴ هـ (أغسطس ۱۹۰۶ م). وتولى مكانه ابنه محمد عليشاه

۱ - ديوان اديب الممالك ، ص : ۵۳ .

۲ - انظا المراجع السابق الاشارة اليها عن الحياة الدستورية .

الذي كان يتولى ولاية العهد ويقوم في تبريز ، حيث كانت العادة لدى ملوك الدولة القاجارية أن يقيم ولي العهد في تبريز التي كانت بمثابة العاصمة الثانية لإيران ، وكان يشرف على إعداداته وتربيته هناك معلم روسي ، ولم يكن محمد عليشاه موضع ثقة الناس وحبهم ، وبخاصة أهل آذربايجان الذين خبروه قبل أن يتولى العرش ، لذا سارع الثوار إلى تكوين الجماعات السرية استعداداً لأي صدام مرتقب ، كما بدأت الصحف تتوالى في الصدور بعد أن كفل قانون الحياة الدستورية حرية إصدار الصحف ، وحرص محرروها على مخاطبة الجماهير ، والتحدث عن حقوقهم وواجباتهم ، والتصدي لكل محاولات القهر من قبل المشولين ، ومن قبل القوات الأجنبية الموجودة في الشمال (قوات روسية) أو في الجنوب (قوات بريطانية) .

وقد بدأ الصدام بين الشاه الجديد وأعضاء المجلس ، عندما أسند الشاه منصب الصدر الأعظم لشخصية متسلطة وهو الأتابك أمين السلطان ، الذي كلفه الشاه بالتفاوض مع أعضاء المجلس لاستكمال باقي مواد الدستور ، ولكنه تعنت معهم في كل مادة ، مما جعلهم يوقنون بأنه يحاول جاهداً شل الحركة الدستورية ، والقضاء على مكاسب الشعب التي حصل عليها بالدم والعرق .

وهنا ثارت ثائرة الأحرار ، وكانت الشرارة الأولى لهذه الثورة مدينة تبريز التي تعرف الشاه الجديد معرفة كاملة ، والتي لم يكن أهلها يتوقعون منه أي خير على الإطلاق ، وأمام هذه الثورة سارع محمد عليشاه بالإعلان بأنه يحترم الحياة الدستورية ، وسيحافظ على مجلس النواب والحياة النيابية ، وليدلل على صدقه سارع بتوقيع باقي مواد الدستور وعددها سبع ومائة مادة ، وذلك إلى جانب الإحدى

وخمسين مادة التي صدرت أيام مظفر الدين شاه ، وهكذا أصبحت جميع مواد الدستور تتضمن ثمان وخمسين ومائة مادة .

بعد ذلك توالت الأحداث السياسية ، وتم توقيع معاهدة (١٩٠٧ م) بين إنجلترا وروسيا . وتبع ذلك تنديد الثوار والأحرار بالاتفاقية فتدخلت روسيا بسفور في المناطق التي خُصصت لنفوذها . فكان في هذا التدخل تشجيعاً لمحمد عليشاه ليكشف عن مكنون نفسه ، ويتمادي في محاولاته لضرب الحركة النيابية والرجوع بإيران إلى حكم القسرد مرة أخرى . لذا كلف مجموعة من الأشرار بمهاجمة المجلس والاعتداء على نواب الأمة . وكان ذلك في ذي القعدة عام ١٣٢٥ هـ (١٩٠٧ م) فتدخل الشاه بجنوده لفض الاشتباك حتى ينفي عن نفسه تهمة التآمر على المؤسسة الدستورية الوحيدة في البلاد .

سارت الأمور من سيء إلى أسوأ بين الشاه والمجلس ، فأمر الشاه فرقة القوزاق الإيرانية (حرسه الخاص) والتي يرأسها ضابط روسي بضرب المجلس بالمدافع ، وكذلك ضرب مسجد سيهسالار حيث كان بعض الأعضاء يجتمعون به ، كما هاجمت نفس الفرقة المتظاهرين في حديقة « باغشاه » وقتلت عدداً منهم ، كما اعتقلت العديدين ، مما أجبر البعض على اللجوء إلى السفارة البريطانية في طهران . وهكذا أصيبت الحياة الدستورية بنكسة كبيرة ، وتوقفت الحياة النيابية وتعطل المجلس ولم يمض على افتتاحه إلا عام واحد . وأمام هذه الكارثة سارع الأدباء بالهجوم على محمد عليشاه ، واتهامه بأقزاع الإتهامات ، وأنه لم يعد جديراً بالعرش . ومن الشعراء الذين عبروا عن هذه الكارثة الشاعر أشرف الجيلاني في مستزاد بعنوان « داء إيران بلا دواء » . ومما جاء به :

— دوش می گفت این سخن دیوانه ای، ای بی باز خواست
 درد ایران بی دواست
 عاقلی گفتا که از دیوانه بشنو حرف راست
 درد ایران بی دواست
 — مملکت از چار سو در حال بخران و خطر
 چون مریض مختضر
 با چنین دستور این رنجور مهجور از شفقت
 درد ایران بی دواست
 — پادشاه برضد ملت ، ملت اندر ضد شاه
 زین مصیبت آه ، آه
 چون حقیقت بنگری هم این خطا ، هم آن خطاست
 درد ایران بی دواست
 — هر کسی با هر کسی خصم است و بد خواه است و ضد
 گوید او را مستبد
 با چنین شکل ای بسا خونها هدر جانها هبست
 درد ایران بی دواست

• • • • •

— اشرفا ! هر کس در این مشروطه جانبازی نمود
 رفعت و قدرش فزود
 در جزا است برق جنات عدلش متکاست
 درد ایران بی دواست^(۱)

۱ - نقلا عن : از صبا تانیم ، ج ۲ ، ص : ۷۴ ، وقد نظمها اشرف
 الجیلانی بعد أحداث ضرب المجلس ونشرها في جريدته نسيم الشمالي في
 ۱۵ من ذي الحجة عام ۱۳۲۵ هـ ق *

وترجمتها :

— يا من يتساءل عن الحقيقة ، لقد قال أحد المجانين في البارحة :
إن داء إيران بلا دواء !
فقلت للعاقل « نخذ الحكمة من أفواه المجانين »
إن داء إيران بلا دواء !

— إن المملكة في خضم من الاضطرابات والفوضى
فهني كريض يختصر
مع وجود نظام حكم هكذا ، فإن هذا المريض لا أمل له في الشفاء
إن داء إيران بلا دواء
— الشاه ضد الأمة ، والأمة في خصومة مع الشاه

آه من هذه المصيبة آه
إن تنظر بعين الإنصاف ، ستجد أن هذا مخطيء ، وذلك مخطيء
إن داء إيران بلا دواء
— لقد عادى كل شخص كل شخص ، وتبني له الضرر والأذى
متهماً إياه بالاستبداد
مع هذا الوضع ما أكثر ما أريقت من دماء وما أزهقت من أرواح
إن داء إيران بلا دواء

.

— يا أشرف ! إن كل من ضحى بروحه في الثورة الدستورية
قد سمت مكانته وعلا قدره
فليكن جزاؤه متكاً من استبرق في جنة عدن
إن داء إيران بلا دواء !



وقد كان ضرب المجلس مدعاة للتطاول على محمد عليشاه ،
وإعلان سقوطه كملك من قبل كل حر ، وذلك قبل أن يتمصى عن

الحكم رسمياً بعد ذلك ، وقد عبر عن ذلك أديب الممالك فراهاني :

از نام تو بیالوده تاریخ شهان را
هر چند که نت فنگ و نه ناموس و نه نام است
کار تو تمام است ، وندانی که از آتروز
شاهی تو و دولت و ملک تو تمام است
آخگر ز دم توپ در مسجد و مجلس
فریاد ز بیداد تو در هر رکن و مقام است
هی ، هی ، جبلی ، قم ، قم که از این فتنه
شاهی بتو ختم آمد ، و دولت بختام است (۱)

و ترجمتها :

— لقد لوث اسمك تاريخ الملوك ، ولم يعد إلا رمزاً للعار والخسة
وعدم الشرف
— لقد انتهى أمرك ، أفلا تعلم أنه منذ ذلك اليوم انتهى سلطانك
ودولتك وحكمك ؟ !
— لقد تعالت الآهات من دمة المدافع وهي تقصف المسجد
والمجلس ، كما ارتفعت صيحات الألم من ظلمك في كل ركن ومقام .
— هيا أيها الجبلي ، وقم وانهض ، فبسبب هذه الفتنة قد انتهى
أمر السلطنة ، وسقطت الحكومة !

★★★

ثورة آذربيجان (۲) :

ذكرنا من قبل أن ضرب المجلس وتعطيل الحياة النيابية قد ألهبت

۱ — ديوان أديب الممالك ، ص : ۸۶ .

۲ — نفس المراجع التي اشترت اليها من قبل عن الثورة الدستورية .

حماس الأحرار في كل إيران ، وثار الاضطرابات في كل المدن
ولكن ثورة تبريز عاصمة إقليم آذربيجان كانت أخطر هذه الثورات
وذلك لأنها أقرب المدن الإيرانية إلى الأقاليم الروسية ، كما أن أهالي
تبريز قد جبروا تسلط محمد عليشاه وتعنته معهم أيام أن كان ولياً
للعهد ، وكانت تبريز هي المقر الدائم لولي العهد في ذلك الوقت ،
حاول الشاه إخماد هذه الثورة التي تزعمها قائد يدعى « ستارخان »
ولكن جنوده لم يتمكنوا من ذلك ، مما جعله يلجأ إلى القيصر الروسي
نيكولاي الثاني ، الذي سارع بإرسال وحدات من فرقة القوزاق
الروسية صوب آذربايجان ، ولكن ثوار تبريز بقيادة ستارخان حصنوا
مدنيتهم تحصيناً منيعاً ، فلم يتمكن الجنود الروس من اقتحام المدينة
فاكتفوا بمحاصرتها ، ومنع طرق الإمدادات عن المحاصرين . لعاهم
يضعفون ويسسلمون بعد ذلك ، ولكن دون جدوى ، على الرغم من
أن الحصار دام عشرة شهور كاملة ، مما جعل الإيرانيين جميعهم
بنظرون لسكان تبريز ، وكل أهالي آذربيجان بإعزاز وتقدير ، وطالب
بعض الشعراء سكان إيران كلها بتقديم العون لأهالي آذربيجان ليمكنوا
من الصمود وتحدي الدب الروسي ، وتطاوله على الأرض الإيرانية
تحقيقاً لمطامعه ، ومناصرة لملك فاسد ظالم ، ومن الذين حيوا كفاح
آذربيجان الشاعر فرخي اليزدي :

بود اگر طهران در یاد آذربيجان
برفلک ميرفت کی فرياد آذربيجان
خاک خود خواه خطر خيز ري ني آبروي
داد بر باد فنا بنياد آذربيجان
از ارومي بانگك «هل من ناصر ينصر» بلند
کوی معين نا کند امداد آذربيجان

خصم خيره، بخت قيده ، والى از اھمال سست
 سخت اندر زحمتند افراد آذربيجان
 نيست رسم داد كز بيداد شخص خود پرست
 كرشود گوش فلک از داد آذربيجان
 كى روا باشد بنا بندگى گردد اسير
 ملت با غيرت آزاد آذربيجان (۱)

وترجمتها :

- إذا كانت طهران تذكر آذربيجان ، فلم تذهب صيحات
 آذربايجان أدرج الفضاء ؟
- لقد أسلمت الري (۲) المثيرة للمخاطر ، البعيدة عن كل حياة
 المتسمة بالأنانية ، أساس آذربايجان إلى رياح الدمار والفناء
- فارتفعت الصيحات من أرومية (۳) مرددة « هل من ناصر
 ينصرنا » ، فأين المعين الذي يقدم العون إلى آذربايجان ؟
- الخصم متهور ، والحظ عاثر ، والوالي بإهماله ضعيف ،
 وسكان آذربايجان في مشقة وضيق !
- ليس من العدل أن تصاب أذن الفلك بالصمم ، ولا تسمع
 صيحات آذربايجان لما لحق بها من جور ذلك المستبد المغرور .

۱ - ديوان فرخي اليزدي . ص : ۱۶۳ - ۱۶۴ .
 ۲ - الري : الاسم القديم لمدينة طهران ، وما زال هذا الاسم يطلق على
 الاجزاء الجنوبية من المدينة .
 ۳ - أرومية (أورميا) : بحيرة في منطقة آذربيجان ، واسم لمدينة
 بجوار البحيرة .

— وكيف يجوز أن تكبل حرية شعب آذربايجان الغيور بالقيود والأصفاد ؟

استمر الحصار عشرة شهور ، وقد حاولت القوات الروسية منع أي إمداد عسكري أو غذائي عن سكان المدينة الباسلة تبريز لعلهم يستسلمون ، ولكن الأهالي تحملوا كل شدة ومسغبة ، ورفضوا الاستكانة لقوات الغزو الروسية ، لدرجة أنهم أكلوا لحوم الخيل ، وأكلوا أعلاف الماشية وكذلك أوراق الشجر ، أكلوا كل أخضر ، بل كل يابس يمكن أن يؤكل ، تحملوا كل صنوف العذاب وكلهم عزم وتصميم بقيادة بطلهم الشعبي « ستارخان » . وأمام هذه البطولة الفذة والتصميم الرائع اضطرت القوات الروسية إلى الانسحاب مهزومة ، فسارع الإيرانيون من كل المدن والأقاليم بتقديم العون والمؤن لهؤلاء الأبطال .

وقد عبر عن هذه التضحيات الشاعر الإيراني « أبو القاسم لاهوتي » في صورة رائعة حيث تحدث عن أم تبريزية حرة ذهبت لزيارة قبر ابنها الذي مات متأثراً بجراح النفس والجسد التي سببها الغزو الروسي ، وبسبب الجوع الذي عاناه كل الأهالي والذي مات بسببه الكثيرون ، وقفت على شاهد قبره وقد حملت معها بعض الخبز لعله يقيم أوده ، ويقضي على جوعه في العالم الآخر بعد أن قتله الجوع في العالم الثاني ، وقفت تعاوده على أن تحضر إليه كل كسرة خبز تحصل عليها . وقفت ترف إليه بشرى النصر على الأعداء ، وقفت فخورة به بعد أن ضحى بروحه ولم ينتقض عهوده مع وطنه من حفاظ على حريته وكرامته .

وفا به عهد

اردوی ستم خسته و عاجز شد ، و برگشت
برگشت نه با میل خود ، از حمله احرار
ره باز شد و گندم و آذوقه به خروار
هی وارد تبریز شد از هر در و هر دشت

از خوردن اسب و علف و برگ درختان
فارغ چو شد آن ملت با عزم و اراده
آزاده زنی بر سر يك قبر ستاده
با دیده‌ای از اشك پر و دامنی از نان

لختی سرپا دوخته بر قبر همی چشم
بی جنبش و بی حرف ، چو يك هيكل پولاد
بنهاد پس ، از دامن خود آن زن آزاد
نان را به سر قبر ، چو شیری شده در خشم
.....
.....

بجروح و گرسنه ز جهان دیده بستی
من عهد نمودم که اگر نان به کف آرم
اول به سر قبر عزیز تو بیارم
بر خیز ، که نان بخشمت و جان بسپارم

تشویش مکن فتح نمودیم ، بسر جان
اینك به تو هم مژده آزادی و هم نان

وآن شیر حالات که بخوردیم ز بستان
مزد تو که جان دادی و پیمان نشکستی^(۱)

وترجمتها :

(الوفاء بالعهد)

لقد ألم العجز والوهن بجيش الظلم ، وعاد أدرجه
عاد لا رغبة منه في العودة ، ولكن أمام شجاعة الأحرار
لقد فُتِح الطريق وتنابت أحمال القمع والمؤن
على تبريز من كل حذب ، ومن كل صوب
لقد توقف هؤلاء القوم ذوو العرم والإرادة
عن أكل الخيل والعلف وأوراق الشجر
ووقفت امرأة حرة على شاهد أحد القبور
وقفت وعيناها منهمة دموعها ، وبأطرافها بعض الخبز
وقفت عارية من الرأس إلى القدم ، وعيناها مشدودتان على القبر
وقفت دون حراك أو كلام ، وكأنها تمثال من فولاذ
ثم وضعت المرأة الحرة ما كان بأطرافها
من خبز على شاهد القبر ، وبها غضبة أسد

.
.

Brown. I. G. : Press and Poetry of Modern Persia, 1414, — ١

از صبا تانينا ج ، ٢ ، ص ١٧٠ ، ١٧١ ، وقد ولد أبو القاسم لاهوتي
في كرمانشاه عام ١٣٠٥ هـ . وقد نشأ في اسرة محبة للادب ، فكان أبوه
ينظم الشعر فتعلم منه ، وقد ساعدت صحيفة « حبل المتين » على شهرة
لاهوتي حيث نشرت له اشعاره الوطنية وهو في الثامنة عشرة من عمره ،
وعندما اندلعت الثورة الدستورية كان من أوائل المنضمين اليها لذا سافر
الى طهران واستقر بها ، ولكن بعد فترة من الاضطرابات فر الى تركيا ، حيث
انشأ هناك مدرسة للأطفال الايرانيين الموجودين هناك ، وذلك ليعلمهم اللغة
الفارسية .

ثم قالت : لقد ودعت الدنيا مشحناً بالجراح ، مستبدأ بك الجوع
لأنني أعاهدك عن أن كل خبز يأتيني
سأحضره على القور إلى قبرك الغالي
فانهض ! لقد أحضرت لك الخبز

لتهذا نفساً ، فقد تم النصر يا ابني الحبيب
إني جئت أؤث إليك بشري الحرية ، كما جئت بالخبز
إن اللبن الحلال الذي أرضعتك إياه من ثديي
كنت به جديراً لأنك ضحيت بروحك ، ولم تنقض العهود ! !



ومن الحقائق التي تستحق الاهتمام أن أحرار القوقاز الروسية ،
والذين كانوا في ثورة وتدمر ضد الحكومة القيصيرية . قد تعاطفوا مع
ثوار آذربيجان . فكانوا يمدونهم سرّاً بالأسلحة والمؤن ، ويشجعونهم
على مواصلة الحرب ضد القوات الروسية المحاصرة لمدينتيه تبريز كما أن
الصحف القوقازية ، قد تعاطفت مع الثوار الإيرانيين ، ونشرت قصائد
تحثهم على مواصلة الجهاد ، وسمحت لأدباء فروا من إيران بالكتابة
فيها ، والتعبير عن السخط الشعبي ضد الشاه ، وقوات الاحتلال
الروسية . ومن هؤلاء الشعراء ميرزا علي صابر الأذري القوقازي ،
الذي نشر قصيدة باللغة القوقازية يؤيد فيها ثوار آذربيجان . وقد
قام مؤلف كتاب «از صباتا نيما» بترجمة بعض أبياتها إلى اللغة الفارسية
أذكر منها :

— چون مجلس ملی در تهران ویران ساختن
مردم آذربایجان با « ستارخان » پیمان بستند

- تا از استبداد و بیداد نفرت کنند
و در راه ملت و میهن جان سپارند
- خدا مردم آذربایجان را باری کرد
تا بر ضحاک آل فاجار بشورند
- درود بر روان پاک شهیدانی
که خونشان خاک تبریز و تهران را گلگون کرد !
- ستارخان کشور ایران را زنده ساخت
و این ملی خویش را پرداخت
- در جنگ، دلبری و مردانگی نمود
و عین الدولة را رسوای جهان کرد
- آفرین ، ای تبریزیان ، چه خوب به عهد خود وفا کردید
دوست و دشمن ستایشگر و ثنا گوی شما ست
- زنده و پاینده باش ای سردار بزرگ
پیامبر اسلام در بهشت بر تو می بالد
- زیرا خدمت تو به اسلام و انسانیت بود
ای آفرین بر همت والای ستارخان ؟ (۱)

۱ - نقلا عن از صبا تانیم ، ج ۲ ، ص ۵۷ ، ۵۸ ، واسم الشاعر :
میرزا علي أكبر طاهر زاده صابر ، الشاعر الوطني في آذربيجان القوقازية ،
والمحرر النشيط بصحيفة ملا نصر الدين ، وهي الصحيفة التي نشر فيها
قصيدته التي نحن بصدها وغيرها من القصائد الوطنية . كان والده بقالا
متدينا ، فنشأ صابر في بيئة متدينة محافظة ، مما جعله يحافظ على أداء
واجباته الدينية ، ويحافظ على اسلامه محافظة تامة ، وعندما التحق
بالمدرسة تعلم اللغات العربية والفارسية والآذرية وذلك بمدينة شيروان ، وفي
شبابه انضم الى الجماعة الادبية التي كونها ملا نصر الدين ، الذي كان
←

وترجمتها :

- عندما دُك صرح المجلس الوطني في طهران
تعاهد أهل آذربايجان مع ستارخان
- تعاهدوا على الثورة ضد الاستبداد والتعسف
والتضحية بالروح فداء لشعب والأمة
- لقد أعان الله شعب آذربايجان
حتى يثوروا ضد ضحاك^(١) آل قاجار
- ألف رحمة تنزل على أرواح الشهداء الطاهرة
الذين خضبوا بدمائهم تراب تبريز وطهران
- لقد أحيا ستارخان إيران
كما تولى رعاية دينها الحنيف^(٢)



يصدر صحيفة تحمل اسمه ، وفي هذه الجريدة نشر اشعاره وتصانيفه
وانتقاداته الاجتماعية والفكاهية ، ونتيجة للمصلات الودية والعرقية والدينية
التي كانت تربط سكان القوقاز بسكان ايران عامة ، وباهالي آذربايجان على
وجه الخصوص ، فانه تعاطف مع اهالي تبريز أيام حصارها من قبل القوات
القيصرية . وقد عاش في الفترة ما بين عامي ١٨٦٢ و ١٩١١ م .

(انظر ان صبا تانيم ج ٢ ، ص : ٤٦ - ٦٠) .

١ - الضحاك ، ملك أسطوري يقال انه من أصل حميري ، استطاع أن
يفتك بأبيه ويسيطر على ملك بلاد اليمن ، ثم يوسع دائرة ملكه حتى تضم
ايران ، وينشر هناك الظلم والقسوة والجبروت ، ويظل الشعب يربح تحت
نيره ، الى أن ثاروا ثورة شعبية بقيادة حداد يدعى (كاوه) ضده ، وانتهى
الامر بقتل الضحاك وانتصار الشعب الايراني عليه ، وعلى هذا صور الشاعر
محمد عليشاه في ظلمه بالضحاك ، والثورة ضد الضحاك وضد محمد عليشاه
واحدة لانها ثورة الشعب ضد جلاديه .

٢ - لعلنا نعرف أن منطقة القوقاز كانت ايرانية في الماضي القريب ، ثم
استولى عليها الروس عنوة من ايران ، ولهذا كان الناس هناك تربطهم صلات
ودية وأسرية أحيانا مع سكان آذربايجان الايرانية ، كما أن سكان القوقاز كانوا
وما زالوا حتى اليوم يدينون بالاسلام ، ولعل هذا هو السبب الاكبر فسي
تعاطف مسلمي القوقاز مع مسلمي آذربايجان ضد القوات الروسية القيصرية
الغازية التي لا تدين بالاسلام !

- وكان في الوغى مثال الشجاعة والشهامة
بينما كان عين الدولة عنوان النذالة والخسة
- أكرمكم الله يا أهل تبريز ! فقد حافظتم على العهد
وأصبحت موضع ثناء وتكريم من الصديق والعدو
- حماك الله أيها القائد العظيم ، وحفظك
وسيفآخر بك رسول الإسلام في جنة الخلد
- فما تقدمه من توضيحات ، إنما هي خدمة للإسلام والإنسانية معاً
فمرحباً بهمة ستارخان العظيم !



فتح طهران واقصاء محمد عليشاه عن العرش :

نتيجة لخيانة محمد عليشاه واستنجاهه بالقوات الروسية ضد أحرار بلاده ، زاد أوار الثورات الشعبية في كل مكان ، فثارت الجموع الحاشدة في أصفهان ، كما هاجم الثوار في جيلان مقر الحكومة وقتلوا حاكم المدينة من قبل الشاه والحكومة المركزية ، كما شنت الحركة في طهران العاصمة ، ولجأ بعض نواب المجلس الموقوف عن ممارسة نشاطه ، إلى مسجد الشاه عبد العظيم ، كما لجأ بعضهم إلى السفارة العثمانية. أضف إلى ذلك الدور الذي لعبه أحرار إيران الموجودون خارج الأرض الإيرانية ، ونشرهم المقالات والقصائد التي تندد بالشاه وظلمه ، وبقوات الاحتلال الروسية مما زاد في إحساس الإيرانيين بوطنيتهم ، وأنه لا سبيل لإنهاء الأزمة بين المجلس والشاه إلا بطرد الشاه ، أو قتله ، ولهذا أصبح هدف الإيرانيين يتمثل في الهجوم على طهران نفسها ، ولهذا الغاية بدأت

جموع الثوار تندفق في اتجاه طهران ، وأخيراً تجمع الثائرون على مقربة من العاصمة استعداداً للضربة الأخيرة .

أمام هذا الخطر الكبير الذي أصبح على وشك الإطاحة بالعبوة الروس محمد عليشاه ، سارعت القوات الروسية بالتوجه من « انزلي » إلى مدينة قزوین الإيرانية وتمركزت خلف الثوار وهددتهم بالضرب من الخلف ، ولكن الثوار لم يأبهوا بالتهديدات ، وتقدموا صوب طهران فسارع محمد عليشاه بالاجتماع بالسفارة الروسية ، واجتمع المجلس النيابي ، وقرر عزل محمد عليشاه ، وتنصيب ابنه الصغير أحمد شاه مع تعيين عليرضاخان عضد الدولة وصياً عليه . وأمام هذا المد الثوري لم تستطع روسيا أن تفرضه على الشعب ، بل عملت على نقله إلى روسيا منفياً ، لعلها تجد الفرصة لإعادته إلى العرش مرة أخرى ، وهذا ما حاولته روسيا بعد ذلك ، ولكن المحاولة باءت بالفشل ولم يعد إلى ايران مرة أخرى .

وهكذا تم انتصار الإرادة الشعبية الإيرانية وعودة الحياة النيابية ، وعزل محمد عليشاه ، وكان ذلك في السابع والعشرين من جمادى الآخرة عام ١٣٢٧ ، بعد أن حكم عامين ونصف تقريباً . وقد تحدث الشعراء عن هذه الثورات الجماعية ، كما هلل البعض لهذا النصر الشعبي الكبير على صرح من صروح الطغیان والظلم .

وقد صور لنا ملك الشعراء بهار الحالة قبل فتح طهران في قصيدة عنوانها « کار ایران با خداسست » أي : « أمر إيران بيد الله » ؛ قال فيها :

کار ایران با خداست .

- با شه ایران ز آزادی سخن گفتن خطاست
کار ایران با خداست
مذهب شاهنشاه ایران ز مذهبها جداست
کار ایران با خداست
- شاه مست و شیخ مست و شهنشاه مست و میر مست
مملکت رفته ز دست
هر دم از دستان مستان فتنه و غوغا بیاست
کار ایران با خداست
- هر دم از دریای استبداد آید بر فراز
موجهای جانگداز
زین تلاطم کشتی ملت بگرداب بلاست
کار ایران با خداست
- پادشاه خود را مسلمان خواند و سازد تباه
خون جمعی بیگناه
ای مسلمانان در اسلام این ستمها کی رواست
کار ایران با خداست
- ه — شاه ایران گر عدالت را نخواهد باك نیست
زآنکه طینت پاك نیست
دیدۀ خفاش از خورشید در رنج و غناست
کار ایران با خداست
-
- باش تا خود سوی ری تازد ز آذربایجان
حضرت ستارخان

آنكه تويش قلعه كوب وخجروش كشور گشاست
كار ايران باخداست (۱)

وترجمتها :

أمر إيران بيد الله !

- الحديث عن الحرية مع شاه إيران خطأ وأي خطأ
إن أمر إيران بيد الله
مذهب شاه إيران جد منفصل عن كل المذاهب
إن أمر إيران بيد الله
— الشاه ثمل والشيخ ثمل والشرطي ثمل والقائد ثمل
لذا ضاعت المملكة
وفي كل لحظة تثار مئات الفتن من هؤلاء السكارى
إن أمر إيران بيد الله
— في كل لحظة ترتفع من بحر الاستبداد والبطش
أمواج عاتية مهلكة
تندفع سفينة الأمة من هذه الأمواج صوب دوامة البلاء
إن أمر إيران بيد الله
— يدعو الشاه نفسه مسلماً ، ويرتكب الآثام
ويسفك دم الشعب بلا جريرة
فمتى جاز هذا الظلم - أيها المسامون - في الإسلام
إن أمر إيران بيد الله

١ - ديوان بهار ، ج ١ ، ص : ١٤٦ ، ١٤٧ .

٥ — إذا كان شاه إيران لا يرغب العدل ، فلا تبال

فهو من طينة نجسة
وهكذا تُصاب عين الخفاش بالأذى أمام نور الشمس
إن امر إيران بيد الله

— فليبق حتى يتقدم من آذربيجان صوب الري
القائد ستارخان
فتلك مداغعة القلاع ، ويفتح خنجرة البلاد
إن أمر إيران بيد الله !

★ ★ ★

ومن الشعراء الذين هلكوا بسقوط محمد عليشاه عارف القزويني ،
الذي نظم تصنيفاً باسم « رسالة الحرية » أقتطف منه هذه الأبيات :

— پیام دوشم از پیر میفروش آمد
بنوش باده که یاک ملای به هوش آمد
— هزار پرده ز ایران درید استبداد
هزار شکر که مشروطه پرده پوش آمد
— ز خاك پاك شهیدان راه آزادی
دین که خون سباهش چه سان به جوش آمد

وترجمتها :

— جاءني البارحة رسالة من بائع خمر مُسن
قائلاً : احتسِر خمرأ ، فقد عادت الأمة إلى صوابها
— لقد تمزقت عن إيران آلاف من أردية الاستبداد
وارتدت أردية الحكم الدستوري فألف مبروك وألف مرحباً

— إن طريق الحرية يكسوه تراب أجساد الشهداء الأطهار .
وانظر كيف تملكث الثورة دماء سياوش !

★ ★ ★

وهكذا عادت الحياة النيابية إلى إيران مرة أخرى ، وانتصر الشعب على الشاه ، وربما تعرضت هذه الحياة النيابية لبعض النكسات فيما بعد ولكنها تجاوزتها بسرعة ، وترسخت الأصول البرلمانية في إيران وأنشئ فيما بعد مجلس للشيوخ إلى جانب مجلس النواب ، كما شاركت المرأة أيضاً في التصويت والعضوية بعد ذلك . ولكن بثبات الحياة النيابية ونجاح الثورة الدستورية وانتصار الشعب الإيراني على جلاده محمد عليشاه ، نكون قد أعطينا فكرة موجزة عن الثورة الدستورية في إيران ، وكيف جاهد الإيرانيون للحصول عليها ، ثم جاهدوا أكبر وأكبر للحفاظ على كلمة الشعب ومشاركته في الحكم .

الفصل الثالث

الدعوة إلى حكم جمهوري ووثوب رضا شاه
إلى كرسي الحكم

الفصل الثالث

الدعوة إلى حكم جمهوري ، ووثوب رضا شاه
إلى كرسي الحكم

بين دعاة الجمهورية ومعارضيه :

على أثر نجاح كمال أتاتورك في الإطاحة بالرجل المريض - وأعني بذلك الخلافة العثمانية - أقدم على تغيير نظام الحكم ، حيث أعلن النظام الجمهوري في تركيا ، ثم أقدم على اتخاذ العديد من التغييرات الجذرية التي رأى فيها خطوة لعودة العافية إلى ذلك الرجل المريض ، أملاً منه في أن تعود تركيا إلى ما كانت عليه من قوة وازدهار ، بعد أن مُنبتت بالهزائم في الحرب العالمية الأولى ، وأصبحت مطعماً للدول الأوروبية ، وقد أعلن الجمهورية لاعتقاده أن نظام الحكم الفردي أيام خلفاء الدولة العثمانية هو المسؤول عما تردت فيه تركيا من ضعف وشيخوخة ومرض وتخلف.

كانت إيران في ذلك الوقت تمر بمرحلة مشابهة بتلك التي مرت بها تركيا قبل انقلاب كمال أتاتورك، حيث دبت الشيخوخة في جسد الدولة القاجارية ، وأصبحت إيران نهياً للقوات الدولية الاستعمارية، ومرتعاً لمؤامرات الدول الكبرى ، ولهذا قام بعض أعضاء المجلس النيابي، وبعض الكتاب والصحفيين بالدعوة إلى اقتفاء أثر تركيا في هذا المضمار وإلغاء

الملكية وإعلان الجمهورية ، وقد ساعد على هذا الاتجاه، ما كانت إيران تمر به من اضطرابات وتطاوُل على الحاكم القاجاري الضعيف الشخصية وهو أحمد شاه القاجاري، فأفاد من هذه الموجة قائد الجيش رضاخان الذي كان يتمتع بالنفوذ الذي لا يبارى في البلاد، ويسانده الجيش في ذلك ، لذا نراه يقدم - بعد أن تولى رئاسة الوزارة إلى جانب وزارة الدفاع وقيادة الجيش - على إخلاء المسرح من الملك الشرعي أحمد شاه القاجاري ، وذلك بإرساله - شبه منفي - إلى أوروبا ، لكي يخلو الجو لقائد الجيش ، ولا يوجد من ينازعه السلطة ويشاركه النفوذ، وبالتالي ينسى الإيرانيون وجود أحمد شاه المنفي، ولا يوجد أمامهم إلا رضاخان، فإذا ما أراد اعتلاء كرسي الحكم، تم له ما يريد دون منافسة أو اضطراب، ولهذا أرسل رضا خان أحمد شاه في عام ١٩٢٣ إلى أوروبا لكي يعيش متنقلاً بين أقطارها . على ألا يعود إلا إذا سمح له قائد الجيش بالعودة ولا شك أن مغادرة أحمد شاه لإيران كانت مدعاة لتهكم بعض الشعراء عليه ، وسخرتهم منه، وبخاصة الشاعر « ايرج ميرزا » القاجاري، الذي أغضبه مسلك هذا الشاه ، واعتبره مسئولاً عن ضياع حكم أسرته القاجارية ، فقال متهمكماً :

احمد لا ينصرف

فكر شاه فطنى بايد كرد

شاه گنده وگول وخراف است

١ - لمعرفة المزيد عن هذه الحقبة التاريخية يرجع الى : سعيد نفيسي: تاريخ شهرياري شاهنشاه رضا شاه بهلوي ، محمد تقي بهار : انقراض قاجارية ، يحيى آرين بور : از صبا تا نيمه ، الول ساتن : رضا شاه كبير يا ايران نو ، ترجمه عبد العظيم صبورى ، ٠٠٠٠٠٠ وغيرها .

تخت وتاج وهمه را ول کرده
در هتل های اروپ معتکف است
نشود منصرف سیر فرنگت
این همان احمد لا ينصرف است^(۱)

وترجمتها :

أحمد ممنوع من الصرف

- يجب أن يكون الشاه فطناً في فكره ، أما الشاه أحمد فهو فاسق
عديم الإحساس خرف
- لقد ودع العرش والتاج وكل شيء، وهو معتكف الآن في فنادق
أوروبا
- ولن ينصرف عن مواصلة حياة الفرجة، وذلك لأن أحمد ممنوع
من الصرف

سافر أحمد شاه منفياً إلى أوروبا ، وكان ذلك عام ١٩٢٣ هـ ،
فبدأ رضا شاه يحرض أعوانه في المجلس على إطلاق الدعوة إلى
التغيير ، أياً كانت صورة هذا التغيير ، المهم أن يمهد الأذهان إلى
ضرورة إنهاء الحكم القاجاري ، وأن الشخص الذي يصلح لقيادة
البلاد هو قائد الجيش رضا خان ، حتى يأخذ بيد البلاد مثلما فعل
كمال أتاتورك في تركيا، فإذا بأصحاب ومؤيدو رضا في المجلس
والصحافة ينادون بإلغاء النظام الملكي ، وإعلان الجمهورية ؛ على
أن يكون رضا خان هو أول رئيس للجمهورية في إيران .

١ - ديوان ايرج ميرزا ، ص : ١٦٨ .

فطن معارضو قائد الجيش إلى هذه الخدعة ، ووقفوا بالمرصاد لدعاة النظام الجمهوري ، لا كرهاً في النظام الجمهوري نفسه ، ومعاداة لمزايا النظام الجمهوري بالنسبة للنظام الملكي . ولكن خوفاً من تسلط الطبقة العسكرية على مقاليد الأمور في إيران ، وما يتبع هذا التسلط العسكري من ضياع للحياة النيابية التي جاهد الإيرانيون طويلاً من أجلها ، وجاهدوا أكبر وأكبر للحفاظ عليها وتدعيمها ، وكانوا يرون أن الإصلاح الحقيقي في إيران ينبع من إصلاح نظام الحكم ، وزيادة فعاليات النظام النيابي ، وأن يظل الشاه القاجاري مجرد رمز دستوري على رأس الدولة ، أي أنه يملك ولا يحكم ، كما هو الحال بالنسبة لنظام الحكم البريطاني . وأن يكون الحكم في إيران موكلًا فقط للمؤسسات الدستورية الثلاث : السلطة التنفيذية والسلطة التشريعية ، والسلطة القضائية ، وقد تكونت جبهة معارضة في البرلمان الإيراني تزعمها «سيد حسن مدرس» وانضم إليه من الأدباء والشعراء «محمد تقى بهار» و«عارف» القزويني و«فرخى اليزدى» و«ميرزاده عشقي» ، وانبرى كل منهم يتصدى لدعاة الجمهورية وذلك عن طريق المقالات التي كانوا ينشرونها في صحفهم اليومية أو الأسبوعية ، أو في قصائدهم التي كانوا ينظمونها ويروجونها بين المفكرين وذوي الرأي ، حتى يوصلوا تأييداً شعبياً لمعارضتهم في تغيير نظام الحكم ، وإقصاء الدولة القاجارية عن مكان الصدارة .

عشقي والدعوة إلى الجمهورية (١) :

لا شك أن الشاعر ميرزاده عشقي ، كان أكثر معارضي

١ - السيد محمد رضا ميرزاده عشقي ابن السيد أبي القاسم

الحكم الجمهوري تشبثاً برأيه ، ودفاعاً عنه ، على الرغم من التهديدات التي تعرض لها من أنصار رضا خان قائد الجيش والمطالبيين بالنظام الجمهوري ، ومن أهم ما نظمته في هذا المضمار قصة شعرية عنوانها « جمهوري سوار » أي « الراكبون موجة الجمهورية » ، وقد استخدم فيها الكناية والرمز كثيراً وقد ربط بين دعاة الجمهورية والوجود البريطاني في إيران .



الكرديستاني ، ولد في مدينة همدان في ١٢ من جمادي الآخرة عام ١٣١٢ هـ (١٨٩٤ م) ، تعلم اللغة الفارسية وكذلك اللغة الفرنسية . وقد حصل علومه الأولى في همدان ثم واصل تعليمه في العاصمة طهران ، ولكنه لم يكمل تعليمه ، ففي السابعة عشرة هجر الدرس والدراسة ، وانخرط في الحياة العامة ، ولكنه كان قد حصل قدراً لا بأس به من اللغتين الفارسية والفرنسية ، لدرجة أنه عمل مترجماً للغة الفرنسية فترة من الزمن ، وفي عام ١٣٣٣ هـ (١٩١٤ م) أصدر جريدة باسم عشقي وذلك بمدينة همدان ، ثم هاجر كالعديد من أحرار إيران إلى أسطنبول مع اندلاع نار الحرب العالمية الأولى ، وشغل هناك بالدعوة إلى الثورة في إيران ضد الدولة القاجارية وحكامها المستبدين . ثم عاد إلى همدان ما بين عامي ١٣٣٦ - ١٣٣٧ هـ (١٩١٨ م) ، ثم حدث أن وقعت اتفاقية عام ١٩١٩ م بين إنجلترا وإيران ، فتصدى عشقي لوثوق الدولة وهاجمه هجوماً عنيفاً لأنه باع إيران لإنجلترا . ظل عشقي معارضاً لكل أفساد وفساد في البلاد إلى أن رفع البعض أصواتهم بالدعوة إلى النظام الجمهوري ، فوقف من الدعوة ودعاتها موقفاً صلباً واتهمهم بالتعامل مع القوى الأجنبية ، مما دفعهم إلى التآمر على قتله ، وقد نجحوا في ذلك ، وأغتاله شخصان من أتباع المطالبيين بالجمهورية . فسارع خصوم الدعوة إلى الجمهورية برثائه ، ومحاولة تأليب الرأي العام ضد مرتكبي الحادث . وهكذا قتل الشهيد عشقي عام ١٩٢٣ قداء لمواقفه الوطنية وله من العمر إحدى وثلاثون سنة فقط . مات ولم ينجح خصومه في فرض النظام الجمهوري في ذلك الوقت ، وإن نجح رضا خان في القفز إلى كرسي العرش ملكاً ، لا رئيساً للجمهورية ! « لمعرفة المزيد عن الشاعر يرجع إلى : ديوان عشقي : نشر على أكبر سليمي ، أن صبا تانيم ج ٢ ، أدبيات معاصر (رشيد باسمي) ، ديوان ملك الشعراء بهار في ذكره لحادثة اغتياله ، ورثائه »

والقصة الشعرية صورت أحد اللصوص الخاذقين ويدعى « ياسي »
 وكان يعيش في إحدى القرى الكردية ، وفي غياب المزارعين دلف
 إلى داره ، وسرق بعض ما فيها ، ولكن المزارع توصل عن طريق
 تعقب أثر أقدام اللص إلى أن ياسي هو الذي ارتكب السرقة. وبعد فترة
 أراد اللص أن يكرر فعلته ، وحتى لا ينكشف أمره ذهب إلى دار المزارع
 ممطياً حماره ، وسرق كل ماأراد ثم عاد أدراجه . وعندما عاد
 المزارع وجد آثار أقدام الحمار خارج الدار بينما آثار أقدام « ياسي »
 بالداخل ، فتملكته الحيرة والعجب ؛ وفي النهاية قال عشقي معقياً على
 هذه القصة :

گر بخواهد آدمي پی گم کند
 پایهای خویشتن را سم کند
 هر که اندر خانه دارد مایه‌ای
 همچو « یاسی » دارد او همسایه‌ای
 « یاسی » ما هست ای بار عزیز
 حضرت جمبول یعنی انگلیز
 انکه دایم کار « یاسی » می‌کند
 وز طریق دیپلماسی می‌کند

هـ- با وثوق الدولة بست اول قرار
 دید از ان حاصلی نامد به کار
 چونکه او مایوس گردید از وثوق
 کودتایی کرد و ایران شد شلوق
 همچنین زیر جلی سید ضیا
 زد به فکر پست آنها پشت پا

کودتا هم کام او شیرین نکرد
این - حنّا هم دست او رنگین نکرد
دید هرچه مستقیماً من کند
ملت آن را زود بر هم من زند

۱۰- گفت: «آن به تا برآرم کام من
از رهی کآنجّا نباشد نام من»
اندر این ره مدتی اندیشه کرد
تا که آخر کار «یاسی» پیشه کرد
گفت جمهوری بیارم در میان
هم از آن بر دست خود گیرم عنان
خلق جمهوریطلب را خر کنم
زآنکه کردم بعد از این بدتر کنم

.

ناگهان ایرانیان هوشیار
هم ز خر بد بین وهم از خرسوار
۱۵- های وهو کردند کاین جمهوری است
در قواره گرچه او یعفوری است
پای جمهوری ودست انگلیس
دزد آمد ، دزد آمد ، ای پلیس
این چه بیرقهای سرخ و آبی است ؟
مردم. این «جمهوری قلابی» است (۱)

۱ - نقلًا عن از صبا تانیمّا ، ج ۲ ، ص ۳۶۳ - ۳۶۴ . ولم اجدّها
بنسخة الديوان المنشور عام ۱۹۳۱ والموجود نسخة منه بمكتبة جامعة القاهرة ،
ولعل المؤلف اعتمد على نسخة أخرى من الديوان !

وترجمتها :

- إذا رغب أي آدمي ألا يُقتفى أثره ، فليغير قدميه بحوافر حمار .
- كما أن كل من يملك قناعاً في داره ، يجاوره شخص على قرينة ياسي .
- و «ياسي» أمتنا أيها العزيز ، ليس إلا «جون بول» أي ، الإنجليز !
- فهو يفعل فعلة «ياسي» على الدوام لكنه يفعلها متخفياً في أودية الديبلوماسية .
- ٥— لقد وقع أول إتفاق مع وثوق الدولة^(١) ، ثم رأى أنه لم يحقق كل ما كان يرجو ويأمل
- وعندما فقد الأمل في وثوق ، افتعل انقلاباً ، وأصاب إيران بالبليلة و الإضطراب .
- ثم توارى خلف السيد ضياء^(٢) ، وسرعان ما ضرب به عرض الحائط و تخلى عنه .
- فقد جاء هذا الانقلاب هو الآخر على غير هواه ، ولم تخضب هذه الحنّاء كفيه باللون الذي ابتغاه !
- فرأى أن يعمل بطريقة مباشرة ، وأنه يضرب الأمة بعضها ببعض .
- ١٠— وقال : من الأفضل لكي أحقق بُغيّتي ، أن أسلك طريقاً لا يذكر فيه اسمي .

١ — انه الوزير الايراني الذي وقع معاهدة ١٩١٩ م واعطى حقوقا عديدة للانجليز في ايران .

٢ — السيد ضياء الدين طباطبائي الذي تولى الوزارة بعد دخول رضا خان طهران واسقاطه الوزارة القائمة ، ومشاركته كوزير للحربية في وزارة السيد ضياء الدين وذلك عام ١٩٢١ م ثم عزله رضا عن رئاسة الوزارة عام ١٩٢٣ وتولى المنصب بنفسه ، كما سبق ان وضحنا .

— وظل يفكر فترة من الزمن ، وأخيراً اتخذ من مسلك « ياسي » طريقاً له .

— ثم قال : لأجعلنهم يتطاحنون حول فكرة الجمهورية ، وبهذه الطريقة أمسك بيدي العنان .

— واتخذ من الداعين إلى الجمهورية حماري الذي أمتطيه ، ثم أفعّل بعد ذلك أسوأ مما فعلته من قبل !

.

— ولكن فجأة أدرك الإيرانيون ما يؤديه من دورٍ كلٍّ من الحمار الغافل والحمار .

١٥— فهاجوا وماجوا قائلين : أي نظام جمهوري هذا ؟ إنه ليس إلا فوضى واضطراب ! ! .

— إنها أقدام الجمهورية ، ولكنها أيدي الإنجليز . جاء اللص ، جاء اللص ، النجدة أيها الشرطي !

— وأي أعلام هذه التي صبغت بالأحمر والأزرق ، إنها ؛ أيها الخلق ، أعلام الجمهورية المغرصة المخادعة !

لم يكتف عشقي بهذه القصة ، بل جعل معظم أبواب صحيفته « قرن بيستم » — أي القرن العشرين — هجوماً على دعاة الجمهورية ، ورسّمهم في أشكال كاريكاتورية ساخرة إذ صورهم في صورة رجل مسلح تبدو عليها سمات الغضب . وقد أمسك في يده اليمنى بندقية ، وفي يده اليسرى كيس نقود ، وبعد ذلك جعله يستظل بظل الأجنبي . وفي صورة كاريكاتورية أخرى ، صوّر الصحفي التي كانت تدافع عن النظام الجمهوري وتدعو له في شكل حيوانات

مؤذية ومنفرة : فصور « ناهيد » في صورة أفعى ، وصور «تجرد» في شكل بومة ، ورسم «كوشش» على هيئة فأر ، «وستاره» على نمط كلب و « گلشن » في صورة بغل ، و« جارچی » في هيئة قط ا . (١)

وأمام هذا الهجوم الشديد والصريح ، أقدم دعاة النظام الجمهوري على إغتياله والخلاص منه ، لعلهم ينجحون في دعواهم ، وتحویل ليران من ملكية إلى جمهورية يرأسها قائد الجيش في ذلك الوقت وهو رضا خان ؛ لذا امتدت أصابع الاتهام مشيرة إلى تواطؤ قائد الجيش في هذه الجريمة !

* * *

ملك الشعراء بهار والدعوة إلى الجمهورية :

كان مقتل عشقي سبباً في شدة اشتعال هذا الخلاف بين أنصار الجمهورية وخصومهم ، وأدرك الخصوم أن رضا وأعوانه قد يلجئون إلى أي وسيلة لتصفية المعارضين ، ولكنهم مع هذا واصلوا طريق الكفاح والنضال في المجلس النيابي وعلى صفحات المجلات والصحف ، ومن الدين واصلوا الدعوة بعد عشقي الشاعر محمد تقی بهار ؛ ومما قاله في هذا الصدد :

جمهوري ... مایه ننگ است
این صحبت اصلاح وطن نیست که جنگست
از کار قشون حال خوش از ما چه توقع
کاین فرقه برین گله شبان نیست پلنگست

١ - المرجع السابق ، ص : ٣٦٤ .

بی علمی و آوازه . جمهوری ایران
این حرف درین مملکت امروز جنگست
اموال تو برده است بیخما و تو خوابی
آنکس که پی حفظ تو دستش بتفنگست

۵- آزادی . و مشروطیت افتاده بزحمت .
این گوهر پر شعله در کام نهنگست
در پرده " جمهوری کوبنده در
ما بیخبر و دشمن طماع زرننگ است
افسانه " جمهوری ما ملت کودک
عیناً مثل ملعبه " شهر فرنگ است
در کیسه " ناهید بود اعلی وزیر و سیم
زینرو کلماتش همگی رنگ رنگ است (۱)

و ترجمتها :

— الجمهورية ... أساس المعرفة والفضيحة ، والحديث عنها ليس
لصالح الوطن ، بل إنه يثير الخصام والعراك .
— أي فإل يمكن أن تتوقعه من الجيش ، ما دامت هذه الفرقة ليست
راعية لهذا القطيع ، بل نموراً مفترسة ؟
— الحديث عن الجمهورية في هذه البلاد دون تخطيط وعلم ، ليس إلا
هراء أجوف في هذه الأيام .

۱ - دیوان بهار ، ج ۱ ، ص ۲۸۷ ، ۲۸۸ .

— فأولئك الذين أمسكوا بينادقهم على أمل حراستك ، قد سلبوك أموالك ،
وأنت في سباتك !

هـ — لقد ألم الوهن والضعف بالحرية والحياة النيابية ، وأصبح
هذا الجوهر البراق في فم التماسيح .

— يدق باب خيمة الجمهورية في ... ، ونحن في غفلة ، بينما العدو متمسم
بالطمع والمراوغة .

— إن خرافة الجمهورية بالنسبة لأمتنا الصغيرة ، ستجعلها ميداناً تلعب
فيه دول الفرنجة ! .

— لقد كانت خزائن ناهيد^(١) مملوءة بالياقوت والذهب والفضة .
ولهذا كانت كلماتها ذات ألوان متعددة .

عقدت جلسات في المجلس النيابي لمناقشة موضوع الجمهورية
وكانت الأكثرية تطالب بهذا النظام الجديد ، ولكن الأقلية وتساندها
في ذلك جموع كثيرة من الشعب الإيراني ترفض الدعوة إلى الجمهورية .
وفي إحدى الجلسات وقف ملك الشعراء محمد تقي بهار ،
وألقى كلمة المعارضة مفنداً آراء الداعين لإحلال الجمهورية محل
الملكية . وبعد أن فرغ من إلقاء خطابه ، أبلغ معارضوه أنصارهم
في الخارج بمضمون الخطاب ، وبضرورة الإجهاز على بهار بمجرد
خروجه من المجلس ، كما أعد « درگاهي » مدير الشرطة في
طهران العدة للتكيد بمن يقفون حجر عثرة في سبيل تغيير نظام
الحكم في إيران ، كذلك معاقبة المتحدث باسم الأقلية (أي ملك

١ — نجم الزهرة ، واسم جريدة كانت تدعو للنظام الجمهوري ،
واتهمها بهار بالعمالة واخذ الرشوة من أجل الترويج لهذه الدعوة المغرضة
في رأيه .

الشعراء بهار) . ولهذا وقف أعضاء الشرطة والمخبرون السريون ،
وأعوانهم في حالة ترقب ، انتظاراً لخروج بهار ، والفتك به .

وفي نفس اللحظة المتوقعة لخروج بهار ، خرج شخص آخر
اسمه « واعظ القزويني » وكان في طول بهار وشكله العام ،
ويرتدي عمامة مثل بهار ، وكان هذا الشخص يتولى
تحرير جريدة الرعد بمدينة قزوین ، وكما كان مؤيداً لموقف الحكومة
وقد جاء مخصباً لحضور جلسة المجلس . عند خروجه ظن
رجال الشرطة والموكلون باغتيال بهار أن الضحية المطلوبة قد
وصلت ، فسارعوا بالإطاحة به وأطلقوا عليه أعيرتهم النارية ،
وصاحوا قائلين : هكذا تحطم قلم بهار !

ولكن هكذا أنقذ الله ملك الشعراء بهار من بطشهم ، فما كان
منه إلا أن صور هذه الليلة في قصيدة أطلق عليها «يك شب شوم»
أي «ليلة شوم»^(١) ، جاء فيها :

خصم در كثر وقانون طلبان در قلت
بقیاس كه تنی پنج به پنجاه زدند
چارده تن بفضای فلك آزادی
نیمشب همچو مه چارده خرگاه زدند
خواستند اهرمان تا ز کمینگاه مرا
خون بریزند از اینوره ویراه زدند
ناگهان واعظ قزوین بکمینگاه رسید
بر سرش ریخته وزندگیش تاه زدند

١ - لمعرفة تفاصيل هذه الليلة ، يرجع الى تقديم القصيدة في الجزء
الاول من ديوان بهار ، ص ٣٩٨ .

۵- خبر آمد بمهادیو که شد کشته بهار
 زین خبر دیوچگان خنده بقیه‌ها زدند
 بار دیگر خبر افتاد که زنده است بهار
 ز ان تغابن نفس سرد باکراه زدند
 رهزنان راه زنند از پی نان پاره وزر
 لیکن این راهزنان راه پی جاه زدند

بر تو ای واعظ مسکین دل من سوخت از آتک
 خونیان بر تو چنان ضربت جانکاه زدند
 کشته وجه شبه گشتی و این بی بصران
 بدل من رخت از جمله اشباه زدند

۱۰- آن سگان بودند آماده آزدن ماه
 عف عفی کرده و پنهان همه شب آه زدند^(۱)

وترجمتها :

— کان الخصوصم أكثيرة ، أما المطالبون بتطبيق القانون فكانوا أقلية ،
 وإذا قارنا بين الفريقين فإن النسبة تكون خمسة إلى خمسين .
 — كنا أربعة عشر فرداً نخلق في فلك الحرية ، فأضأنا الليل وكأنا
 أربعة عشر بدرأ .

۱ - المرجع السابق ، ص ۲۹۹ - ۴۰۰ .

- ولكن الشياطين قد نصبوا لي كميناً ، رغبة في سفك دمي ،
ولذا انتشروا في كل مكان ! .

- وفجأة وصل واعظ القزويني إلى حيث الكمين ، فحطموا
رأسه ، وقضوا على حياته .

هـ- زفت البشرى إلى كبير الشياطين بأن بهار قد قتل ؛ فهلل صغار
الشياطين ، وتملكهم السرور .

- ولكن نُخبِّروا مرة أخرى بأن بهار ما زال على قيد الحياة ،
فأصابهم الإحباط وتملكهم الضيق والغمة .

- إن اللصوص يقطعون الطريق من أجل كسرة خبز أو من أجل
الذهب ، ولكن هؤلاء اللصوص يقطعونه من أجل الجاه والمنصب .

- كم تألم قلبي بسببك يا واعظ المسكين ، وذلك لأن القتلة قد
ضربوك ضربة قاتلة .

- لقد قتلك ما بيننا من وجه شبه ، ولهذا قطع أولئك الذين عدموا
الإبصار والبصيرة الطريق عليك بدلا مني !

١٠- لقد أعد هؤلاء الكلاب العدة لإيذاء البدر ، ولكنه عف عنهم ،
واحتجب في تلك الليلة !

ولم يكن عشقي وبهار هما الشاعران اللذان هاجما الدعوة إلى
الجمهورية وحدهما ، فقد شاركهما في ذلك شعراء آخرون منهم
فرخي اليزدي حيث سخر من الأحكام العرفية التي كان رضا خان قد
أعلنها كوسيلة للسيطرة والسطوة ، والقضاء على مناوئيه ومعارضيه ، فقال :

با مشت ولكد معنى آمريت چيست
با نفى بلد ناجى امنيت كيست
با زور مرا مگو كه امنيت هست
باناله زمن مشنوكه امنيت نيست

وترجمتها :

- أي قيمة للأمن مع اللكم والركل ؟
ومن ذا يجد الأمن والأمان مع وجود النفي ؟
- لا نحاول إقناعي زوراً وبهتاناً بأن الأمن موجود ،
بل اسمع مني ضارحاً بأنه لا وجود لأي أمن !

خلع احمد شاه ، وتنصيب رضا شاه :

ظل الخلاف محتدماً بين دعاة الجمهورية ، وهم الأكثرية في مجلس النواب ، وبين معارضيهم داخل المجلس وخارجه ، وذلك طوال عامين تقريباً . وأخيراً يتدخل رضاخان ، ويطلب من مؤيديه وأنصاره الكف عن الدعوة إلى النظام الجمهوري ، وذلك بعد أن نجح في طرح فكرة التغيير ، وأنه لم يعد من اللائق أن يظل أحمد شاه القاجاري المنفي منذ عامين إلى أوروبا على رأس الدولة ، بل من الضروري إسناد منصب الرئاسة إلى شخصية قوية تستطيع أن تسوس البلاد ، وتقودها إلى الأفضل بعد أن تردت جميع مظاهر الحياة في ظل حكم القاجاريين .

١ - ديوان فرخي اليزدي ، ص : ١١٧ .

وبطبيعة الحال كانت هذه الشخصية القوية متمثلة في رضا خان قائد الجيش ، وعلى هذا فلا سبيل لإصلاح أحوال البلاد إلا إذا تم إقصاء أحمد شاه عن الحكم ، وتولية رضا خان ، ليكون أسرة ملكية جديدة ، هي الأسرة البهلوية . وفعلا اجتمع المجلس النيابي في الخامس والعشرين من جمادي الأولى عام ١٣٤٤ هـ (١٩٢٥) م وأقر لإنهاء حكم الأسرة القاجارية ، وتنصيب رضا شاه ، الذي تم تتويجه بعد ذلك خلال العام التالي (١٩٢٦ م) ، وقد صحب هذا التتويج إقامة احتفالات رسمية تليت فيها الخطب والتهاني ، ونظمت فيها القصائد التي تشيد بالشاه الجديد ، وبشجاعته وحكمته ، وتفاؤل البعض بما سيحققه هذا التغيير من تقدم ورفاهية بعد طول كفاح ضد ظلم حكام الدولة القاجارية .

ولا شك أن بعض هذه القصائد التي تليت ، والخطب التي قرئت كان عمادها الرهبة والخوف من بطش الشاه الجديد وبطانته العسكرية ، ومن بين الشعراء الذين نظموا مهنئين على الرغم من مواقفهم السابقة واللاحقة ضد رضا ملك الشعراء محمد تقي بهار وغيره من الشعراء المعاصرين ، ولكننا سنضرب صفحاً عن ذكر هذه التهاني التي قيلت في معظمها كما قلت تجنباً للبطش ومراعاة للنظام الجديد ، ولننظر في الجانب الآخر ، وأعني به جانب المعارضين لهذا التغيير ، والذي عبروا عنه في معارضاتهم ، سواء أكانت معارضة صريحة أو معارضة ضمنية .

من الشعراء الذين عارضوا تنصيب رضا شاه ، وإنهاء حكم الدولة القاجارية الشاعر ايرج ميرزا القاجاري ، فقد أغضبه أن ينهى حكم أسرته ، ويتولى الأمر رضا شاه ، وقد جاء تعليقه ساخراً كعادته ، وإن تجنب المباشرة خوفاً من بطش رضا ورجاله :

« دربارهٔ خلع أحمد شاه و جانشینی پهلوی »

خوب داند حساب خویش جهان
این محاسب بسی ذکی باشد
أحمد از تخت چون فرود آید
پهلوی جایش متکی باشد
به حساب جمل هم از شماری
«أحمد» و «پهلوی» یکی باشد^(۱)

و ترجمتها :

« بخصوص خلع أحمد شاه و تنصیب اِپهلوی مکانه »

— إن الدنيا تعرف حساباتها معرفة جيدة ، فهي محاسب غاية في
الخصافة والذكاء .
— عندما سقط أحمد من على كرسي الحكم ، انكأ مكانه البهلوي .
— وإن تتبع طريقة حساب الجمل ، فستجد أن « أحمد » و « پهلوی »
قيمتها واحدة .^(۲)

لعله يريد القول ، يامن تتطلعون إلى تحقيق الآمال العريقة
بتولي رضا شاه و عزل أحمد شاه ، لا داعي لهذا التفاؤل ، فكلاهما
واحد ، ولا فرق بين هذا وذاك ، ولا أمل يرجى من كليهما !

۱ — دیوان ایرج میرزا ، ص : ۱۷۵ .

۲ — حساب کل من (أحمد) و (پهلوي) بحساب الجمل هو : ۵۳ .

وقد وافق ايرج ميرزا في موقفه هذا، الأديب المشهور « صادق هدايت » حيث قال في مقدمة روايته الشهيرة « البومة العمياء » ؛ بما ترجمته :

« وفي إيران أسفرت سنين الكفاح الطويلة (١٨٩٦-١٩٢١ م) والمعاناة والألم عن لا شيء ، وذهبت هدراً دماء الأبطال الذين سقطوا مبقوري البطون ، مقطوعي الرؤوس ، وعلقوا على أعواد المشائق في تبريز وطهران ، وفي كل مدينة ثارت من أجل الحكم الديمقراطي ، وضد الحكم الديكتاتوري القاجاري من ناحية ، والتدخل الروسي القيصري والبريطاني من ناحية أخرى . لقد ولد المخاض الطويل النبيل هباءً ، وانزوى الأبطال ، وأهيل عليهم رماد النسيان في المنفى والسجون ... »^(١)

ومن الشعراء الذين تعرضوا بالنقد لتنصيب رضا شاه الشاعر الصحفي فرخي اليزدي ، الذي لم يستطع مواصلة الحياة في إيران تحت حكم رضا شاه ، فآثر اللجوء إلى ألمانيا ، لكي يستطيع أن يعبر

١ صادق هدايت : البومة العمياء (الترجمة العربية للدكتور ابراهيم شتا) ص : ٩ ، ١٠ ، وهدايت كاتب إيراني مشهور ، وقد كان على معرفة باللغة البهلوية القديمة كما كان يجيد اللغة الفرنسية ، وقد توفي في حوالي عام ١٩٥١ م ، وقد كتب قصصاً قصيرة ، ومسرحيات وروايات من أهمها : بوف كور (البومة العمياء) ، حاجي آقا ، زنده بكور (حي بالقبر) ، سه قطره خون (ثلاث قطرات من الدم) ، علوية خانم ، بروين دختر ساسان (بروين ابنة ساسان) ، ومن الملاحظ أنه كان يترك أبطال رواياته يتحدثون بلغاتهم الخاصة ، حسب أماكن وجودهم ، وطبقاً لوضعهم الاجتماعي .
انظر : لغت . تامه ، فرهنگ ادبيات فارسي دري ، از صبا . تانيماء ، مقدمة البومة العمياء (الترجمة العربية) ، وغيرها من الكتب .

عن آرائه بحرية ودون ضغط أو إرهاب . وقد ورد خبر طريف
في مقدمة ديوانه الذي نشره حسين مكّي ، ملخصه :

بمجرد وصول فرخي اليزدي إلى برلين ، لم يكف لحظة عن
موافقه النضالية ضد رضا شاه ، فكتب عدة مقالات في مجلة
« بيكار » هاجم حكومة إيران والشاه رضا . فلذا بسفير إيران لدى
ألمانيا يسعى لدى المسؤولين هناك لتقديم رئيس تحرير مجلة بيكار
وكذلك محرريها إلى المحاكمة بحجة أن المجلة بمقالاتها العدائية إنما
تتدخل في الأمور الداخلية للإمبراطورية الإيرانية ، وتعتدي على
شخص الشاه وتسبب ذاته الملكية .

استدعي فرخي اليزدي إلى هذه المحاكمة ، وإذ به يقدم من
الوثائق ، ويدلي من البيانات ما يدمغ الشاه وحكومته ، وتستمر
المحاكمة ، وتقدم الجريدة ما يثبت صحة ما تقوله عن الحكومة ،
وأخيراً يصدر الحكم من المحكمة الألمانية بإدانة الشاه رضا بهلوي ،
وبراءة مدير مجلة « بيكار »^(١) .

واستمر فرخي في تهجمه على رضا شاه ، إلى أن اتصل به
بعض رجال البلاط الإيراني ، وطلبوا منه العودة إلى إيران وعوده
بأن الشاه لن يتعرض له بالاعتقال ، وخذع فرخي في وعودهم ،
وعاد ، ولكنه اعتقل فور عودته وأودع السجن حتى مات فيه ،
وقد صور حاله في سجنه ، فقال :

١ - مقدمة ديوان فرخي بقلم حسين مكّي ، ص : ٤٢ ، رسالة الماجستير
للزميل الدكتور أحمد الخولي ، مكتبة كلية الآداب - جامعة عين شمس .

شب غم روز من ، و ماه محن سال منست
 روزگار بستگه از دست تو اینحال منست
 بسکه دلتنگ ازین زندگی تلخ شدم
 مردن اکنون بخدا غایت آمال منست
 دوست با هر که شدم دشمن جانم گردید
 چکنم ، اینهمه از شومی اقبال منست
 درمیان همه مرغان چمن فصل بهار
 آنکه بشکسته شد از سنگ ستم بال منست^(۱)

وترجمتها :

- لیل الأحزان یومی ، وشهر المحن عامی ، وأصبح زماني زمن
 الاعتقال علی یدیک .
- کم أصابني الضيق والضمجر من حیاتي المرة الصعبة ، لذا
 فلأنني أقسم بالله أن الموت أصبح غاية آمالي .
- لقد وثقت فی من عادائي^(۲) ، فماذا أفعل ؟ إن هذا من سوء حظي
 وتعثر إقبالي !
- إنني الطائر الوحيد بین طیور الخمیلة فی فصل الربیع ، الذي
 تحطم جناحاه بفعل أحجار الظلم والجبروت !

۱ — دیوان فرخی ، ج ۷۵ : ۰
 ۲ — أي وثق فیمن خدعوه ، وطلبوا منه العودة، فكان جزاؤه الاعتقال!

ومن الشعراء الذين عارضوا رضا شاه بعد تنصيبه كذلك ، محمد تقي بهار ملك الشعراء ، لذا اعتقل أكثر من مرة في عهده ، كما نُفي خارج العاصمة أيضاً ، وفي إحدى المرات التي اعتقل فيها نظم منظومة أطلق عليها اسم «كارنامه زندان» أي «سجل السجن» صور فيها كيف ألقي القبض عليه ، وكيف دفع به إلى السجن على الرغم من مرضه ، ثم وصف لنا السجن ورفاقه فيه ... إلى غير ذلك من الأحداث التي تعرض لها حتى أفرج عنه ونفي إلى مدينة أصفهان ، ولم يسمح له بالعودة إلى بيته في العاصمة طهران إلا بعد فترة طويلة (١) .

ومن الطريف أن بهار أورد في هذه المنظومة قصة إقصاء أحمد شاه وما فعله رضا خان حتى اعتلى العرش ، واستخدم في هذه القصة رموز الشطرنج ، حيث شبه إيران برقعة الشطرنج ، وعلى الرقعة استطاع أحد العساكر (رضا) أن يقول : مات الملك (أي أحمد شاه) ، وذلك بعد أن تمكن من قتل وزرائه وعساكره وبقيّة حراسه من فيلة وغيرها . ولعلها تكون نهاية طريفة لهذا الفصل !

اینچنین بود احمد قاجار
شاه مشروطی بود وکم آزار
دادمش من بنوبهار بسی
پند چون در شاهوار بسی
گفتم آتش که تنگ چشم بود
دل مردم ازو بخشم بود
چون دل خلق شد بخشم از شاه
زودش ازگاه افکنند بچاه

١ - سنعرض لهذه المنظومة بشيء من التفصيل في الفصل الاول من الباب الثالث .

۵- چون رعیت زشه شود رنجه
گرددش سست زور سرپنجه

یارعایا شوند بر وی چیر
یاسپاهی بر او شوند دلیر
نشید و ملول گشت از من
دید بر من بدیده دشمن
خلق از او یک بیک نفور شدند
دور بودند ، باز دور شدند

روز میجست خصم فرزانه
تا کند بازی درین خانه

۱۰- دید چون خلق را ز شاه بری
بازی کرد بهر شاه بری

رخ نهان کرد واسب بازی کرد
باشه آغاز پیل بازی کرد

زد وزیران شاه را بزمین
ساخت از خود پیاده فرزین

مات شد شاه ما در اول دست
و آن پیاده بجای شاه نشست

دل شه بود خوش بسیم وزرش
وز رعیت نداشت دل خبرش

۱۵- گفت در غرب اگر کلم کارم
بیه که در شرق تاج بگذارم

لا جرم رفت خاسر ومغلوب
اخترش هم بغرب كرد غروب^(١)

وترجمتها :

- هكذا كان أحمد شاه ، ملكاً دستورياً ، ولكنه كان عديم الحيلة !
- كم وجهتُ له النصيح في « نوبهار »^(٢) وكانت نصائح كالدر الشهواني .
- فقلت له : إن الملك الضيق الأفق عديم البصيرة ، سرعان ما يضيق الناس به ويتبرمون .
- وإذا ضاق الناس ذرعاً بأحد الملوك ، سرعان ما يسقطونه عن عرشه ، ويلقون به إلى الهاوية .
- وإذا ما تبرمت الرعية من السلطان ، فإن الضعف يحيق بها والهوان .
- فلما أن ثور الرعية ضده ، وإما أن ينقلب الجيش عليه .
- ولكنه لم يمثل للنصح ، بل اعتراه الضيق مني ، وبدأ ينظر لي نظرة العدو .
- وإذا بالخلق ينفرون منه واحداً واحداً ، وينفضون عنه ، ويتركونه وحيداً .

١ - كارتنامة زندان ، ديوان ملك الشعير بهار ، ج ٢ ، ص : ٩٢ ، ٩٣ .
٢ - جريدة كان يصدرها ملك الشعراء بهار .

— وفجأة ظهر خصم حصيف ذكي ، ظهر حتى يلاعبه وهو في هذه « الخانسة » .

١٠—عندما رأى الخلق ينفرون منه ويبرءون ، بدأ اللعب لسكي يجهز على الملك .

— أخفى « الطابية » وأسرع « بالحصان » ، ثم عاجل الملك « بالفيل » .
— فطرح وزراء الملك أرضاً ، ورقى نفسه من « عسكري » إلى « وزير » .

— وفي أول خطوة أعلن « مات الملك » وهكذا جلس « العسكري مكان الملك » .

— كان قلب ملكنا (أحمد شاه) متعلقاً بالفضة والذهب ، ولم يكن يعرف شيئاً عن الرعية .

١٥— فقال: إن أبع الخضر في الغرب ، يكن هذا أفضل من أن أتولى الملك في الشرق .

— ولا جرم أن رحل خاسراً مهزوماً ، وأفل نجمه بتوجهه إلى الغرب !

★ ★ ★

هكذا ندرك أن رضا خان كان يقف وراء الدعوة إلى قيام حكم جمهوري في إيران خلال السنوات (١٩٢٣-١٩٢٥ م) ، وعندما أدرك أن الدعوة قد أثمرت ، وأن الإيرانيين قد تقبلوا فكرة تغيير الهيئة الحاكمة ، عدل عن الدعوة إلى النظام الجمهوري ، واكتفى بأن يكون التغيير قاصراً على تغيير الأسرة الحاكمة ، ولتكن أسرته البهلوية هي الأسرة الحاكمة الجديدة !

البَابُ الثَّانِي

من القضايا الاجتماعية

الفَصْلُ الْأَوَّلُ

الانتصاف للطبقات الكادحة

الفصل الأول

الانتصاف للطبقات الكادحة

التعسف الاجتماعي :

لقد أدركنا أثناء دراسة الباب الأول مقدار الاضطراب السياسي الذي كانت تعيشه إيران خلال النصف الأول من القرن الحادي ، وقد واكب هذا الاضطراب السياسي ظلم اجتماعي ، سواء في ظل الدولة القاجارية ، أو تحت حكم رضا شاه البهلوي ، وأمام هذه الحياة الاجتماعية المعجزة في كثير من مظاهرها ، انطلقت ألسنة الشعراء لكي تصب جام غضبها وانتقادها على الطبقات المرفهة وعلى رأسها الملك ورجال البلاط والمتصلون بالقوى الاستعمارية التي تعبت في إيران فساداً ، فيزداد حال الأغنياء غنى ، ويتضاعف فقر الفقراء والكادحين ، كل هذا يحدث على الرغم من تطلع البعض إلى الثورة الدستورية على أنها ستحقق الرفاهية والمساواة لجميع الإيرانيين ، وقد أشار إلى ذلك فرخي اليزدي ؛ حيث قال :

شد دوره تساوی در این دیار شوم
فرق است دور میانه شاه وگدا هنوز

طوفان انقلاب رسد ای خدا ولیک
ما در محیط کشمکش ناخدا هنوز^(۱)

وترجمتها :

— حل عهد المساواة ، بوما يزال في هذه الديار التعيسة فرق شاسع
بين الشاه والشحاذ

— يا إلهي ! لقد جاء طوفان الثورة ، ولكتنا ما زلنا غرقى في محيط
الصراع على الربان !

ولعل الشاعر فرخى قد أنشد هذين البيتين أيام احتدام النقاش بين
رضا خان وأنصاره من جانب وبين خصومهم من جانب آخر على كيفية
نظام الحكم المرتقب ، ومن الذي يسوس البلاد ، وهل يظل البيت القاجاري ،
أم يتولى رضا زمام الأمور ، وكان الشاعر يقول : دعونا من هذا ومن
ذاك واهتموا بمصالح الطبقات الكادحة ، وارفعوا عنهم ما يقاسونه
من ظلم وتفرقة اجتماعية واضحة ، فهؤلاء الكادحون هم السدين
ساندوا الثورة الدستورية ، فأين المصلح الذي يحقق لهم العدالة الاجتماعية
التي ثاروا من أجلها ؟

ومن الذين وجهوا سهام نقدهم إلى الطبقات المرفهة الشاعر ابرج
ميرزا ، وقد صورهم جميعاً كاللصوص الذين يسرقون ، لا لكسي
يعيشوا كما يضطر إلى ذلك بعض اللصوص من الطبقات الفقيرة ، وإنما
يسرق هؤلاء الأغنياء والوزراء ورجال البلاط من أجل المزيد من

١ - ديوان فرخى اليزدي ، ص : ١١٥ .

الثروات والضياع ، ورغبة في منصب أو جاه ؛ ثم عرج في حديثه
إلى الطبقات المعذمة وما تعانیه من شدائد وكوارث من أجل كسرة
خبز ومما قاله :

بزرگان وطن از حماقه
نباشد بر وطن يك جو علاقة
يكي از انگلستان پند گیرد
يكي با روس ها پیوند گیرد
به مغز جمه این فکر خسیس است
که ایران مال روس وانگلیس است
بزرگان در میان ما چنینند
آز آنها کمتران کمتر ازینند

۵ - بزرگانند دزد اختیاری
ولی این دسته دزد اضطراری
بغیر از نوکری راهی ندارند
رالا در بساط آهی ندارند
نهی دستان گرفتار معاشند
برای شام شب اندر تلاشند
از آن گویند گاهی لفظ قانون
که حرف آخر قانون بود « نون »
اگر داخل شوند اندر سیاست
برای شغل و کارست و ریاست

۱۰ - رعایا بجملگی بیچارگانند
که از فقر و فنا آوارگانند

ز ظلم مالك بن دين هلاكند
به زير باي صاحب ملك خاكند (١)

وترجمتها :

— إن عظماء الوطن بما هم فيه من حماقة ، لا تربطهم بالوطن أي
علاقة

— فبعضهم يستمد النصح من الإنجليز ، وبعضهم الآخر حريص
على صلته بالروس !

— إذ يسيطر على أذهانهم فكر وضع ، مؤداه أن إيران ملك
للروس والإنجليز .

— وهكذا أصبح عظماءنا فيما بيننا ، أخط شأناً وأقل مكانة من
صغارنا !

٥ — إن هؤلاء العظماء ليسوا إلا لصوصاً بمحض اختيارهم ، بينما
احترف الآخرون اللصوصية مضطرين !

— إنهم لا يعرفون طريقاً غير الخدمة والعبودية ، وإلا تملكهم
الآهات والحسرات على الأعتاب والبلاط .

— أما الفقراء فهم أسرى المعاش ، لذا فهم في سعي وكد من أجل
طعام العشاء

— إنهم يتلفظون في بعض الأوقات بكلمة قانون ، وذلك لأن آخر
حرف في كلمة قانون هو « نون » (٢)

١ — ديوان ايرج ميرزا ، ص : ١١٥ .

٢ — نون : بالفارسية الدارجة تعني « الخبز » ، حيث إن الكلمة الصحيحة
هي « نان » ولكن الفرس يتلفظون الالف التي تكتب قبل النون أو الميم وأوا
مضموماً ما قبلها .

— وإن انخرطوا في عالم السياسة ، فمن أجل العمل والتطلع إلى
الرئاسة

١٠ — إن الشعب كله بؤساء ومساكين ، فقد شردهم الفقر والفناء
وأصبحوا مقهورين

— لقد ألم بهم الهلاك من ظلم الإقطاعي المارق ، كما أصبحوا ثرى
تطوّه نعال الرأسمالي !

★ ★ ★

وقد شارك أشرف الجيلاني ايرج ميرزا في اتهامه الوزراء بالسرقة
واللصوصية في حين عدم الفقراء ما يستر أجسادهم ، ويسد رمقهم :

بعض وزرا مسلکشان راهزنی شد

سری علی شد

گشته علما غرقه در این لای و بجن وای

ای وای وطن وای

سوزد جگر از ماتم خلیخال خدایا

محشر شده آیا ؟

يك جامه ندارند رعیت به بدن وای

ای وای وطن وای^(١)

١ — اشرف : نسیم الشمال ، نقلا عن از صبا تانیم ، ج ٢ ، ص : ٧٣

وترجمتها :

— إن بعض الوزراء يسلكون مسلك اللصوصية ، سواء أكان ذلك في السر أو العلانية .

— كما غرق العلماء في هذا المعترك ، وذلك الخضم ، فواحسرتاه على الوطن ! واحسرتاه !

— أما المكلمون المساكين ، فهم غرقى الأحزان والمأتم ، إلهي ! هل جاء يوم الحشر ؟

— لا يملك أحد من الرعية أي ثياب ، فواحسرتاه على الوطن ! واحسرتاه !

وإذا كن ايرج ميرزا قد صور الشعب الإيراني أغنياء وفقراء بصورة لم يفاضل فيها كثيراً بين طبقة وأخرى ، فإن الشاعرة الإيرانية « پروين اعتصامي » قد نظمت قطعة شعرية ضممتها حواراً طريفاً بين قطرتي دم ، سقطت إحداهما من يد السلطان ، بينما سقطت الثانية من قدم خطاب ، فتوجهت قطرة دم سلطان بدعوة إلى قطرة دم الخطاب للاتحاد معاً ، ولكن قطرة دم الخطاب ترفض العرض بإباء وعزة نفس قائلة لها : من الأفضل لي أن أنحد مع دمة يتم ، أو مع قطرة دم لعليل ، لأن الفرق بيني وبينك جد عظيم ، فأنت قطرة دم بسلطان تكونت من أشهى طعام وأغلاه ، أما أنا فلست إلا قطرة من دم خطاب مسكين يتعب ويكد من أجل كسرة خبز ، فكيف يمكننا أن نلتقي ؟ ثم دعت الشاعرة المكندودين للحفاظ على حقوقهم والقضاء على جلاديهم .

ومما جاء في هذا الحوار الشيق هذه الأبيات :

مناظره

شنیده اید میان دو قطره خون چه گذشت
 گه مناظره ، يك روز بر سر گذری
 یکی بگفت به آن دیگری ، تو خون که ای
 من اوفتاده‌ام اینجا، ز دست تاجوری
 بگفت ، من بچکیدم ز پای خار کنی
 ر رنج خار، که رفش بپا چو نیشتری
 جواب داد ز يك چشمه‌ایم هر دو، چه غم
 چکیده ایم اگر هر يك از تن دگری

۵ - ز ما دو قطره كوچك چه كار خه اهد خاست
 بیا شویم یكی قطره بزرگتری
 براه سعی و عمل ، با هم اتفاق کنیم
 که ایمنند چنین رهروان ز هر خطری
 بخنده گفت ، میان من و تو فرق بسی است
 توئی ز دست شیی، من ز پای کارگری
 برای همراهی و اتحاد باچو منی
 خوش است اشك یتیمی و خون رنجبری
 تو از فراغ دل و عشرت آمدی بوجود
 من از خمیدن پشتی و زحمت کمری

۱۰ - ترا به مطبخ شه ، پخته شد همیشه طعام
 مرا به آتش آهی و آب چشم تری
 تو از فروغ می ناب ، سرخ رنگ شدی
 من از نکوهش بخاری و سوزش جگرتری
 * * *

ز قید بندگی ، این بستگان شوند آزاد
 اگر بشوق رهائی ، زند بال و پری
 یتیم و پیره زن ، اینقدر خون دل نخورند
 اگر بخانه غارتگری فتد شرری
 بحکم ناحق هر سفله ، خلق را نکشند
 اگر ز قتل پدر، پرشی کند پسری

۱۵ - درخت جور و ستم، هیچ برگ و بار نداشت
 اگر که دست مجازات، میزدش تبری
 اگر که بد منشی را کشند بر سر دار
 بجای او ننشیند بزور ازو بتری^(۱)

۱ - دیوان بروین اعتصامی ، جساب بنجم ۱۹۶۲ م ، ص : ۲۴۴ ،
 و بروین ابنة الاديب المشهور اعتصام الملك ، وقد ولدت عام ۱۲۸۵ هـ . ش
 (۱۹۰۷ م) ، وتلقت تعليمها المدرسي بالمدرسة الامريكية بطهران ثم عملت
 بالتدريس فيها بعد تخرجها ، أما عن ثقافتها الفارسية والعربية ، فقد تولاهما
 أبوها وبعض المعلمين الذين وفرهم لها في البيت ، كما كان والدها يشجعها على
 النظم ، حيث يقدم لها بعض الترجمات عن حكايات لافونتين ويطلب منها أن
 تنظمها شعرا . وقد كان والدها من أوائل الايرانيين الذين نادوا بتعليم
 المرأة الايرانية وتحريرها من كل القيود التي تباعد بينها وبين الحياة
 الاجتماعية ، ومن المعروف أن يوسف اعتصامي ترجم كتاب « تحرير المرأة »
 لقاسم أمين ، وأراد أن يعبر عن ايمانه بهذه الدعوة ، فعلم ابنته وسمح لها
 بالعمل . ماتت بروين في ريعان شبابها وذلك عام ۱۹۴۱ أي ولها من العمر
 أربعة وثلاثون عاما فقط . وقد خلفت لنا ديوانا شعريا نشر خمس مرات
 حتى الآن . (لمعرفة المزيد عن الشاعرة يرجع الى ديوانها، والى الكتاب الذي
 كتبه مؤلف هذا الكتاب باللغة العربية وعنوانه : شاعرة ايران : بروين
 اعتصامي : صوت المرأة الشرقية في العصر الحديث . دار حراء بالقاهرة
 ۱۹۷۷) .

وترجمتها :

مناظرة

— أسمعتم ماذا حدث بين قطرتي دم ، عندما كانا يتناظران ذات يوم على قارعة الطريق ؟

— إذ قالت لإحدهما للأخرى : دم من أنت ؟ لقد سقطت أنا من يد سلطان !

— قالت (الأخرى) : لقد نزلت من قدم خطاب ، حيث انغمدت في قدمه الأشواك وكأنها خنجر !

— فأجابت : كلانا من نبيج واحد ، فلم الهم والحزن إذا كانت إحدانا من جسد وأخرانا من جسد ثان ،

هـ — ولكن أي عمل يمكن أن يتأني من قطرتين صغيرتين متفرقتين ، تعالي نتحد ونكون قطرة عظيمة !

— تعالي نتفق معاً في طريق السعى والعمل ، وبهذا نستطيع مواصلة الحياة دون التعرض لأي خطر !

— فضحكت قائلة : كم من فروق بيني وبينك ، أنت من يد سلطان ، وأنا من قدم عامل

— من الأفضل لي أن أتحد مع دمعة يتم ، أو أن أزامن قطرة دم عليل

— لقد أقبلت إلى الوجود من فراغ القلب والرفاهية ، أما أنا فممن انحناء الظهر وتحمل المشقة .

١٠ — دواماً أعدوا لك الطعام بمطبخ السلطان ، أما أنا فعلى نار الآهة ، ودمعة العين .

— لقد اكتسبتِ لونك من إشراقة الحذر الصافية ، أما أنا فمن
وخز الشوك وحرقة الكبد .



— سيتحرر هؤلاء المكبلون بقيود العبودية ، إن يحركوا أجنحتهم
شوقاً إلى الخلاص !

— ولن يتحمل اليتيم والعجوز هذا القدر من الألم ، إن يضرموا
الناز في منزل المغير .

— ولن يقتل الخلق بأمر السفلة الجائرين ، إن يسأل الابن عن
قاتل أبيه .

١٥ — وما أثمرت ولا أورقت شجرة الظلم والجور مطلقاً ، إن
تضربها يد المجازاة بالفأس .

— إن يصلب سيء الطوية على المقصلة ، فلن يخلفه من يفوقه قسوة
وجبروتا !!



وإذا كانت بروين قد انتصفت للحطاب على الملك ، ودعت
الكادحين للحفاظ على حقوقهم بالتصدي لكل طاغية ، فقد دعا
الشاعر ليرج ميرزا إلى التعاون بين صاحب العمل والعمال ، فصاحب
العمل لن يستطيع أن يواصل العمل بدون مجهود العامل ، كما أن العامل
يحتاج إلى صاحب العمل لكي يحصل عن طريق العمل لديه على قوته وقوة
أولاده ، وهكذا تكون العلاقة بينهما علاقة تكامل وتعاون لصالح
الطرفين ، وعلى هذا يجب أن يحسن صاحب العمل معاملة العمال ،

وَأَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ نَظْرَةً إِقْلَالٍ ، وَأَلَا يَتَعَالَى عَلَى الْكَادِحِينَ ، فَيَدُونُهُمْ
لَنْ يَسْتَطِيعَ أَنْ يَجْمَعَ مَا يَكْتَزُهُ مِنْ ذَهَبٍ وَأَمْوَالٍ :

کارگر و کارفرما

شنیدم کار فرمایی نظر کرد
ز روی کبر و نخوت کارگر را
روان کارگر ازوی بیازرد
که بس کوتاه دانست آن نظر را
بگفت ای گنجور، این نخوت از چیست
چو مزد رنج بخشی رنجبر را
من از آن رنج برگشتم که دیگر
نبینم روی کبر گنجور را

ه - تو از من زور خواهی، و من ز تو زر
چه منت داشت باید یکدگر را
تو بر من می دهی گر بدره زر
منت تاب روان ، نور بصر را
نخواهم چون شراب کس بخواری
خورم با کان دل خون جگر را
ز من زور وز تو زر، این بآن دز
کجا باقیست جا عجب و بطر را
فشانم از جبین گوهر درین خاک
ستانم از تو پاداش هنر را

۱۰ - بکس چون رایگان چیزی نبخشند
چه کبرست این خداوندان زر را
چرا بر یکدگر منت گذارند
چو محتاجند مردم یکدگر را (۱)

وترجمتها :

العامل وصاحب العمل

- سمعت أن أحد أصحاب العمل ، قد نظر إلى أحد العمال نظرة
ملؤها الكبر والتعالي
- فتأملت روح العامل ، حيث أدرك ما تحمله هذه النظرة من
امتهان له وازدراء .
- ثم قال : يا صاحب الكنوز ! لمَ هذا التعالي ؟ أبهذه الطريقة
تكافئ العامل على تحمله المشاق ؟
- إنني أتحمل كل هذه المهوم والآلام ، حتى لا أرى مرة
أخرى تكبر أي ثري وصاحب كنوز !
ه - أنت تأخذ مني العافية ، وأنا آخذ منك المال ، فأني فضل
لأحدنا على الآخر بعد ذلك ؟
- فإن كنت تدفع لي بعض مالك ، فإنني أقدم لك معاناة الروح
ونور العين .

۱ - ديوان ایرج میرزا ، ص : ۱۶۴ ، ۱۶۵ .

- إنني لا أرغب في أن أطعم شيئاً بذلة ، وإنما أحصل على ما أبتغيه ممزوجاً بدماء كبدي
- وهكذا أبذل العافية من جانبي ، وبذل المال من جانبك ، أي واحدة بواحدة ؛ فماذا يوجب العجب والتكبر ؟
- كم يتساقط الدر من جيبني على هذا التراب ، ولهذا آخذ منك أجر ما أفعل .
- ١٠ — إن أبواب الكنوز والأموال لا يدفعون شيئاً بلا مقابل ؛ فلم هذا الكبر والتعالي ؟
- وإذا كان كل إنسان في احتياج للآخرين ، فلمَ يمتن إنسان على آخر ؟

★ ★ ★

الثورة ضد الظلم والظالمين :

اندلعت نار الثورة الروسية (١٩١٧ م) والمحركة محتدمة بسين الطبقات الكادحة الإيرانية وبين جلاذيتهم من الطبقة الحاكمة وأعوانهم وقد وجد بعض الشعراء في مبادئ الثورة الروسية من انتصاف للعمال والفلاحين ما يتفق ودعوتهم لتحرير المكشودين لذا رحب بعض الشعراء بهذه الثورة الروسية ، واقتبسوا بعض رموزها في حديثهم عن الطبقات الكادحة وما تعانيه ، ونادوا بمواجهة أصحاب رؤوس الأموال والإقطاعيين ، ومن الذين تحدثوا عن هذه الثورة في دواوينهم الشاعر محمد تقي بهار ، حيث قال بعد موت نيكولا الثاني القيصر الروسي المعزول :

مبین تو زار وزیون مردمان غوغا را
 تکه رزچوئی غوغا بکشت زار ، تزار
 نقاط مسکو و پطر ، از تزار برگشتند
 دو نقطه چونکه یکی گشت شد تزار نزار
 بیاد ، اصل و تبار و قتل ، نسل و نتاج
 نه تاج ماند و نه تخت و نه صنفه ماند و نه بار
 دو مار بودند آری تزار و فرزندش
 زمانه بین که بر آورد از این دوما دمار^(۱)

و ترجمتها :

— لا تنظر بعین الاستهانة والاستقلال إلى العامة ، فقد تمكنت
 ثورة العامة من قتل ضعفهم وكذا القيصر .
 — لقد استردوا كلاً من موسكو وبطرسبرج من القيصر ، وما أن
 توحدت هاتان المدينتان حتى انهار القيصر .
 — وذهب أدراج الرياح كل القياصرة وذووهم ، وفقدوا التاج
 والعرش ، ولم تبق لهم أي صنفه أو قيمة .
 — لقد كان القيصر وابنه مجرد شعبانين ، ولم ينتج عن همدین
 الشعبانین إلا الخراب والدمار

ولعل حديث بهار وغيره من الشعراء عن الثورة الروسية ، كان
 الهدف منه التحريض على الثورة ضد البيت القاجاري والقضاء على المفساد
 والآثام التي يرتكبها أفرادها ضد الطبقات الكادحة ؛ لذا نرى الشاعر

۱ - دیوان بهار ، ج ۱ ، ص ۳۱۲ .

فرخي اليزدي يدعو الشعب الإيراني للإطاحة بهؤلاء الطغاة ،
مستخدماً المنجل والمطرقة (وهما رمزا الثورة الروسية) :

از ره داد ز بيدادگران بايد کُشت
اهل بيدادگر اينست و گر آن ، بايد کُشت
آنکه خوش پوشد و خوش نوشد و بيکار بود
چون خورد حاصل رنج دگران بايد کُشت
مسکنت را ز دم داس درو بايد کرد
فقر را با چکش کارگران بايد کُشت
بی خبر تا کی بود از دل دهقان مالک
خبر اينست کز آن بی خبران بايد کُشت
هر چه گفته‌يم و نوشتيم چه آدم نشدند
زين سپس اول از اين گاو و خران بايد کُشت^(۱)

وترجمتها :

— کم يقتضي العدل أن يُقتل الظالمون ، وسواء أكان الظالمون
من هؤلاء أو هؤلاء ، فمن الواجب أن يُقتلوا !
— أولئك الذين يلبسون أفخر الثياب ، ويطعمون أشهى طعام ،
كيف ينهبون حصاد كد الآخرين دون عمل يبذلونه ، من الواجب
أن يقتلوا !
— يجب أن تبحث المسكنة بحد المنجل ، كما يجب أن يسفك دم الفقير
بمطرقة العامل .

۱ - ديوان فرخي اليزدي ، ص : ۷۸ .

— إلام يظل الإقطاعي غافلا عن آلام الفلاح؟ وخلاصة القول أن
يقتل هؤلاء الغافلون !

كم قلنا ، وكم كتبنا دون أن يصيروا آدميين
لذا يجب سفك دماء هؤلاء الثيران وأولئك الحمير !



ولذا كان بهار وفرخي قد أشارا في شعرهما إلى الثورة الروسية ،
وما أحدثته من تغيير في النظام الاجتماعي ، والقضاء على الطبقات
المرفهة اللاهية العابثة ، ورد الحقوق إلى أصحابها من العمال والفلاحين ،
فهناك من الشعراء من لم يكن لهم أدنى صلة بالثورة الروسية أو
بالاتحاد السوفيتي ، ونادوا بالإصلاح الاجتماعي ، وضرورة الإطاحة
بكل مراكز الطغيان من رأسمالية مجحفة ، وإقطاع مستبد .
في هذا المجال أن نستشهد بما جاء في شعر بروين اعتصامي ، حيث
وجهت الحديث في إحدى مقطوعاتها الشعرية إلى أحد الكادحين
تطالبه بالثورة والقضاء على كل من بغوا عليه وسلبوه حقوقه ؛ وما
جاء في هذه القطعة :

ای رنجبر

تا بکمی جان کنند اندر آفتاب ای رنجبر
ریختن از بهر نان از چهره آب ای رنجبر
زینهمه خواری که بینی ز آفتاب و خاک و باد
چیست مزدت جز نکوهش یا عتاب ای رنجبر
از حقوق پایمال خویش کن پرسشی
چند میترسی ز هر خان و جناب ای رنجبر

جملهٔ آنان را که چون زالو مکنندت خون بریز
وندران خون دست و پائی کن خضاب ای رنجبر

۵ - دیو آرز و خود پرستی را بگیر و حبس کن
تا شود چهر حقیقت بی حجاب ای رنجبر
گر که اطفال تو بی شامند شبها ، باک نیست
خواجه تیهو میکند هر شب کباب ای رنجبر
گر چراغت را نبخشیده است گردون روشنی
غم بخور میتابد امشب ماهتاب ای رنجبر
در خور دانش امیرانند و فرزندانشان
تو چه خواهی فهم کردن از کتاب ای رنجبر
مردم آنانند کز حکم و سیاست آگهند
کارگر کارش غم است واضطراب ای رنجبر

۱۰ - هر که پوشد جامهٔ نیکو بزرگ ولایت اوست
رو تو صدها وصله داری بر ثیاب ای رنجبر
هر چه بنویسند حکام اندرین محضر رواست
کس نخواهد خواستن زیشان حساب ای رنجبر^(۱)

وترجمتها :

ایها الکادح

- إلى متى تضحي بروحك تحت وهج الشمس أيها الكادح؟
وإلى متى ترقيق ماء وجهك أملا في كسرة خبز أيها الكادح؟

۱ - دیوان بروین اعتصامی ، ص : ۸۲ ، ۸۳ .

— مع كل هذه الذلة وتلك المهانة التي تراها من الشمس والتراب والرياح ، لا جزاء لك إلا التوبيخ والعقاب ؛ أيها الكادح !

— سل عن حقوقك المغتصبة ، فإلى متى يعتريك الخوف من كل سلطان وصاحب منزلة ؛ أيها الكادح ؟

— واسفك كزال^(١) دم كل من امتصوا دماءك ، ثم خضب بهذا الدم يديك وقدميك ؛ أيها الكادح !

ه — وألق القبض على كل شيطان للطمع ، وعلى كل متكبر ، ثم وألق بهم رهن السجون ، حتى يظهر وجه الحقيقة بلا قناع ؛ أيها الكادح ؟

— إذا قضى أولادك العديد من الليالي بلا عشاء ، فأني أهمية لذلك ما دام السيد قد أنخم في كل ليلة بالشواء ؛ أيها الكادح !

— وإذا كان قنديلك قد عدم الضوء والضياء دهرأ مديداً ، فلا تحزن ، إذ الليلة يسطع ضوء القمر ؛ أيها الكادح !

— في رواق العلم يتواجد الأمراء وأولادهم ، فماذا تريد أن تفهمه أنت من الكتاب ؛ أيها الكادح !

— أولئك الذين يحترفون الحكم والسياسة ، قد جعلوا حياة العامل غمأ واضطراباً ، أيها الكادح !

١٠ — لا يلبس فاخر الثياب إلا العظماء والأثرياء ، أما أنت فقد علت ثيابك مئاث الرقاع ؛ أيها الكادح !

١ — زال : والد رستم بطل أبطال ايزان خلال العصور الاسطورية ، وكان بطلاً هو الآخر ، حيث حارب هو وابنه لنصرة الشعب الايراني ضد اعداء شعبهما من الطورانيين .

— كل ما يسطره الحكام في هذا الدفتر نافذ ، ما دام أحد لا يحاسبهم ، أيها الكادح !

وهكذا تجرأت الشاعرة بروين اعتصامي وطالبت بضرورة محاسبة الحكام ، حتى يدركوا أن الشعوب لهم بالمرصاد ، تجازيهم خيراً إن فعلوا الخير ، وشرّاً إن ارتكبوا الشر ، وزادوا من حماقتهم مع شعوبهم ، وهؤلاء الحمقى لا تجدي معهم إلا الثورة عليهم والإطاحة بهم ، ولا شك أن جرأة بروين تعد - كما يرى المستشرق بيرتلس - أمراً يستحق الاهتمام والتسجيل ، فقد جاء الكلام متسماً بالشجاعة ، وما سمع قط مثله من امرأة قبل ذلك الوقت^(١)

التكافل الاجتماعي :

· إذا كانت النماذج السابقة قد ارتبطت بالظلم الاجتماعي الذي ساد النظام الطبقي الإيراني خلال النصف الأول من القرن العشرين ، وما تبع هذا الظلم من دعوة إلى الثورة ضد الظالمين ، فهناك أشعار تغنى بها ناظموها لكي يحثوا أهل الغنى والعز على الإحساس بمشاعر الفقراء والمساكين ، حتى يقدموا لهم العون ، ويمدوا لهم يد المساعدة من منطلق الشعور الإنساني المحض ، دون قوانين تفرض عليهم تقديم المساعدة ، ودون ثورة تقضي على أموالهم وممتلكاتهم وتؤمهم لصالح هؤلاء المعوزين .

Bertels. Otcherk Ostari Persidoskoy Literaturi, Leningrad, — ١
1928, p. 163 .

ولا شك أن دواوين جميع الشعراء خلال النصف الأول من هذا القرن قد حفلت بالقصائد والقطع التي قيلت في هذا الصدد ، حتى لا يكاد يخاو ديوان أي شاعر من الدعوة إلى التكافل الاجتماعي بصورة الاختافة لذا سنذكر نموذجين فقط أحدهما ملك الشعراء محمد تقي بهار ، والآخر للشاعرة بروين اعتصامي ، لنوضح بهما اهتمام الشعر بالدعوة إلى التكافل الاجتماعي .

أما عن النموذج الأول ، فقد نظمته ملك الشعراء بهار عام ١٣٠٥ هـ . (١٩٢٦ م) وذلك بمناسبة اشتداد الصقيع والبرد في شتاء هذا العام فوجه حديثه للقادرين لكي يتذكروا الأيتام والعجائز والمساكين الذين حرموا المسكن والملبس ، وعدموا القدرة على مواجهة تلك العاصفة الثلجية ، وقد بدأ بهار مسمطه بالحديث عن العاصفة وما أحدثته من جو كثيب في العاصمة طهران ، ووسط هذا الجو المكفر المظلم يبدو على المسرح جدار متهدم وينام بجواره طفل يتيم و كلب مسن هزيل ، نأما وقد تعانقا وكأنهما حبيبان التقيا بعد طول غياب ، ولكنهما التقيا في الحقيقة بعد طول بحث عن كسرة خبز أو عظمة غطتها الثلوج .
ثم قال :

« شب زمستان »

هر دو محروم از سعادت ، هر دو محکوم فنا
پیش طوفان طبیعت ، پرکاهی بی بها
هر دو را نقص قوازم خرد کرده زیر پا
سگ فقیر و بینوا ، کودک فقیر و بینوا
هر دو یکسانند با یک امتیاز
اینکه سگ را پوستینی هست باز
گشته خالی کوچه و بازار از آیند و روند
بر گدا کرده نگاه استارگان با زهر خند

باد هر دم داده دشنامش به آواز بلند
جای خاکش برف افشانده بفرق مستمند

لیک زنگ نیمشب با صد خروش
بر توانگر گفته هر دم نوش نوش

ای توانگر در غم بیچارگان بودن خوشست
در جهان بر بینوایان مهربان بودن خوشست
در پی جلب قلوب این و آن بودن خوشست
چند بیرحمی ، بفکر مردمان بودن خوشست

چند روزی ترك عادت بهتر است
این عمل از هر عبادت بهتر است

.

ای غنی از جنبش وجوش گدایان ، الخدر
ای نواداران ز یأس بینوایان ، الخدر
ای زبرستان ز خشم خرده پایان ، الخدر
ای توانگر زینهمه ظلم نمایان ، الخدر

لطف کن تا خلق ساکت بگنوند
بر تو با خشم و حسادت ننگرند

وترجمتها :

« ليلة الشقاء »

کلاهما محروم من السعادة ، کلاهما محکوم علیه بالفناء
کلاهما عديم القيمة أمام طوفان الطبيعة
کلاهما وطئته القوانين المجحفة بالنعال

الكلب فقير بائس ، الصغير فقير بائس
لأنهما على قدم المساواة ، وإن تميز أحدهما على الآخر
لأن تميز الكلب بالفرو الذي يغطي جسده !

لقد خلت الشوارع والأسواق من الراحين والغادين
وإذا بالنجوم تنظر إلى المسكين نظرة كلها سموم وازدراء
وأخذت الرياح تسبه في كل لحظة ، وتلعنه بصوت جهوري
دون حياء
ثم ألقت على مفرقه البرد والثلوج بدلا من الغبار والتراب
ولكن عندما دقت الساعة معلنة منتصف الليل
فإذا بها تقول للغني : إشرَب بالهناء

أيها الغني ، ما أجمل التفكير في هموم الفقراء !
وما أجمل العطف في الدنيا على التعساء
وما أجمل استمالة قلب هذا ، وقلب ذاك !
وما أجمل أن يفكر الخلق فيمن عدم الأهل والأقرباء !
من الأفضل أن يتخلى الإنسان عن طباعه بضعة أيام
فهذا العمل يفضل كل عبادة !

أيها الغني ، احذر ثورة المساكين !
أيها السعداء ، احذروا يأس البائسين !
أيها العظماء ، احذروا غضبة المكذوبين !
أيها الثري ، احذر كل هؤلاء المظلومين !
وتلطف ، حتى يمر بك الخلق صامتين
دون أن يرمقوك حاقدين حاسدين !

إذا كان بهار قد صور في منظومته حالة طفل يتيم فقد العائل والمأوى ،
فقد أكثر برون الحديث في ديوانها عن كل من يحتاجون إلى التكافل
الاجتماعي سواء أكانوا أيتاماً أم عجائز أم شيوخاً أم أرامل ، وبطلة
القصة التي نعرض لها عجوز قضت سنوات شبابها تعمل بالغزل والنسيج ،
وعندما تقدمت بها السنون تطلعت إلى الراحة والسكينة ، ولكنها
عدم المعين والعائل ، فاضطرت إلى مواصلة العمل على الرغم من
ضعفها وتعثرها . وقد قالت تصور حالها :

« اندوه فقر »

با دوک خویش ، پر زنی گفتم وقت کار
'کاوخ ! ز پنبه ریشتم موی شد سفید
از بس که بر تو خم شدم و چشم دوختم
کم نور گشت دیده ام و قامت خمید
ابر آمد و گرفت سر کلبه مرا
بر من گریست زار که فصل شتا رسید
جز من که دستم از همه چیز جهان تهیست
هر کس که بود ، برگ زمستان خود خرید
۵ - نور از کجا به روزن بیچارگان فتد
چون گشت آفتاب جهانباب ناپدید
از رنج پاره دوختن وزحمت رفو
خونابه دلم ز سر انگشتها چکید
یک جای وصله در همه جامه ام نماند
زین روی وصله کردم ، از آن رو ز هم درید
دیروز خواستم چو بسوزن کنم نخ
لرزید بند دستم و چشمم دگر ندید

من بس گرسنه خفتم و شبها مشام من
بوی طعام خانه^۱ همسایگان شنید

۱۰ - در باغِ دهر بهر تماشای غنچه ای
بر پای من بهر قدمی خارها خلید
سیلابهای حادثه بسیار دیده ام
سیلِ سرشک زان سبب از دیده ام دوید
دولت چه شد که چهره ز درماندگان بناقت
اقبال از چه راه ز بیچارگان رمید
پروین ، توانگران غم مسکین نمیخورند
بیهوده اش مکوب که سرد ست این حدید^(۱)

وترجمتها :

« موم القفر »

- قالت عجوز لمغزلها وقت العمل : لقد جللت الدنيا مفرقي
بالبياض لكثرة ماغزلت من قطن .
- ما أكثر ما أحنت عليك ظهري ، ، وأجهدت عيني ، حتى نجا
نور بصري ، وانحنت قامتي !
- جاءت السحب ، وأجهش سقف كوني بالبكاء ، فقد حل فصل
الشتاء !
- لا تخلو يد غير يدي من كل متاع الحياة ، فقد اشترى كل شخص
في الوجود لنفسه أودية الشتاء .

۱ - دیوان پروین اعتصامی ، ص : ۸۱ ، ۸۲

٥ - من أين يسقط ضياء على نافذة المساكين ، بعد أن تتوارى الشمس
المشرقة ؟

- كم سالت دماء قلبي من الأنامل ، وذلك لكثرة ما رفوت ورقعت !
- لم يبق في أروتي كلها مكان يستحق أن يوصل ، لأن ما وصلته
قد تمزق مرات ومرات .

- أمس أردت أن أضع الحيط في الإبرة ، فارتعدت يدي وكف
بصري .

- كثيراً ما نمت جائعة ، ومشامي في كل ليلة تشم رائحة الطعام
بمنزل الجيران .

١٠ - إذا مررت بحديقة الدهر كي أشاهد البراعم والأزهار ،
ونزت الأشواك قلمي في كل خطوة .

- كم تنهمر الدموع من عيني سيلاً ، لكثرة ما رأنا من أحداث
وخطوب !

- لم أصبح الحظ يشيح بوجهه بعيداً عن المساكين ؟ ولم يسارع
الإقبال بالفرار بعيداً عن البائسين ؟

- بروين ! إن الأغنياء لن يشاطروا المسكين همومه ، فلا تدقي هذا
الحديد البارد عبثاً !

لقد وفقت بروين في تصوير المحن والآلام التي تعيشها هذه
العجور المسكينات . ولعلها تخاطب الأغنياء والقادرين لكي يتولوا
الشيوخ والعجائز بالرعاية ، ويوفروا لهم الدور التي ترعاهم صحياً
 واجتماعياً ، وأن يتذكروهم الوطن في مرحلة ضعفهم بعد أن أفنوا

شبابهم وعافيتهم في خدمة الوطن والمواطنين ، كما أحسنت برويس
اختيار المهنة التي تحترفها هذه العجوز ، وهي صناعة النسيج ، ومن
المعروف أن النسيج كان ذا شهرة كبيرة في إيران منذ القدم ، ولكن
سوء الأحوال الاقتصادية والاجتماعية ، جعل هذه الصناعة في تخلف
مما جعل النسيج والغزلون ينعون خطهم كما سبق أن أشرنا في
التمهيد (١) .

* * *

١٠٠ - انظر ص : ٢٣ من هذا الكتاب .

الفصل الثاني

الاهتمام بالعلم والعمل

الفصل الثاني

الاهتمام بالعلم والعمل

أشرنا في التمهيد إلى أن الجهل والبطالة والتواكل ، كانت من الأمراض الاجتماعية التي أوصلت إيران إلى ما كانت تعانيه من تخلف وضعف ، وأمام ما عانته إيران على أيدي القوات الروسية والبريطانية وما حل بالمواطنين من ظلم الحكام وذويهم ، ظهر العديد من المصلحين الاجتماعيين الذين حاولوا تنبيه الأذهان إلى هذه الأمراض الاجتماعية أملاً في النهوض بإيران ، واستعادة ما فقدته من عافية وتقدم واعتقد هؤلاء المصلحون أنه لا سبيل لتقدم إيران إلا عبر طريقتين ، الأولى العلم والثاني العمل .

أولاً : الاهتمام بالعلم والتعليم :

حاول البعض ممن تصدوا بالنقد لما يعانيه الإيرانيون من مفاسد اجتماعية عقد صلة بين ما هم من تخلف وبين ما يعانيه المواطنون من تفشي الجهل فقال فرخي اليزدي :

نادانی و جهل تا که مارا کیش است
بد بخت ما همیشه بیش از پیش است

١٦١ . من قضايا الشعر الفارسي - ١١

هر چند ادارات خرابند همه
 بی شبهه خرابی معارف بیش است (۱)

وترجمتها :

— طالما كان الجهل والجهالة مذهبنا ، فإننا ستزداد مع الأيام سوءاً
 ونخلفاً !

— لقد خربت جميع الإدارات ، ولكن خراب العلوم والمعارف كان
 أكثر وأكثر !

وقد شاركت الشاعرة بروین اعتصامي ، الشاعر فرخي في أن ما
 أصاب إيران مرجعه إلى جهل الإيرانيين ، واسترخاصهم في هذا الجهل
 عمراً مديداً ، وعلى هذا فلا خلاص لإيران مما تعانيه إلا بيقظة أبنائها
 وطرحهم أحمال الجهل عن أكتافهم :

ز آتش جهل ، سوخت خرمن ما
 گنه برق و آفتاب نبود
 سال و مه رفت و ما همی نختیم
 خواب ما مرگ بود ، خواب نبود (۲)

وترجمتها :

— احترق بيدرنا بنار الجهل ، ولا ذنب للبرق أو الشمس .

۱ — دیوان فرخي ، ص : ۱۷۰ .

۲ — دیوان بروین اعتصامي ، ص : ۲۰۹ .

— لقد انقضت السنون والشهور ونحن في سبات عميق ، وكأن نومنا
ليس إلا موتاً واندثاراً !

وإذا كان الجهل وراء هذا التخلف فلا بد وأن ترتفع الأصوات
داعية الشعب الإيراني للتعلم ونبد الجهل ، وقد قال ملك الشعراء بهار :

در جهل مباش و دانش انديش
کز جهل نرفت کاری از بیش
زهار بفکر کار خود باش
بیگانه چنین مباش از خویش
با داروی فکر تا توانی
میکوش برهم دل ریش^(۱)

وترجمتها :

— لا تتردد في الجهل ، وفكر في العلم ، فعن طريق الجهل لن ينجز
أي عمل .

— تدبر أمورك مسترشداً بالفكر والعلم ، ولا تكن هكذا غريباً عن
نفسك

— واجتهد ما أمكنك في مداواة قلبك الجريح ؛ « مرهم » الفكر ،
ودواء العلم .

١ - ديوان ملك الشعراء بهار ، ج ١ ، ص : ١٦٣ .

وإذا تسليح الإنسان بالعلم استطاع أن يخلق في أجواء الفضاء
الرجبة ، فالعلم للإنسان بمثابة الجناحين للطائر ، فإذا كان الطائر لا
يستطيع أن يرتفع إلا بتحريك جناحيه ، فإن الإنسان لن يتمكن من
الرفعة والرقى إلا إذا ارتقى سلم العلم والمعرفة :

مايه هر سعادتى علم است
بخداى عليم بي انباز
كى ترقى كند كسى بى علم
مرغ بى بال كى كند پرواز
علم تحصيل كن كه سلم علم
از نشيت برد بسوى فراز (١)

وترجمتها :

- أقسم بالله العلام الأوحد ، أن العلم أساس كل سعادة !
- ومتى ترقى لإنسان بلا علم ؟ ومتى ارتفع طائر بلا جناح ؟
- اجتهد في تحصيل العلم والمعرفة ، حتى يرفعك سلم العلم من أسفل
إلى أعلى !

وإذا كان العلم هو الوسيلة للرفعة والرقى ، فعلى الإنسان ألا
يركن إلى جاه ، أو مكانة أسرة ، بل عليه أن يتدرع بسلاح العلم
وبمحنة المعرفة ، ومما قاله إيرج ميرزا في هذا المجال :

١ — العيب الممالك فرهاني (أميرى) نقلا عن أدبيات معاصر : رشيد
ياسمى ، ص ٢٢ .

تکیه بر حس مکن ، در طلب علم برآی
 این درختیست که هر فصل دهر بر تو ثمر
 کوش از علم به خود تکیه گهی ساز کنی
 چون ببندد حسن از خدمت تو ساز سفر
 درس را باید زان پیش که ریش آید خواند
 نشیدی که بود درس صغر نقش حجر ؟
 دانش و حسن به هم نور بود
 وه از آن صاحب حسنی که بود دانشور
 ۵ - علم اگر خواهی با مردم عالم بنشین
 گل چو گل کرد خوش بو چو به گل شد همبر
 هنری مرد به بد بختی و سختی نزید
 ور زید یک دو سه روزی نبود افزونتر^(۱)

و ترجمتها :

- لا ترکن إلی حسنک وجمالک ، وأقبل علی طلب العلم ، فهو شجرة تجني ثمارها في كل الفصول
- واجتهد في أن يكون متكوك العلم ، وإذا ما تخلف حسنك وجاهك عن خدمتك ، فاهجرهما وارحل
- عليك بتحصيل العلوم قبل أن تنبت ذقنك ، ألم تسمع بأن الدرس في الصغر كالنقش على الحجر ؟
- إذا اجتمع الجاه والعلم ، فهما نور على نور ، وأجمل بصاحب جاه إذا ما أصبح عالماً !

۱ - دیوان ایرج میرزا ، ص : ۲۲ .

هـ - إن ترغب في العلم ، جالس العلماء ، فإن خالط الطين الورود
 صار طيب الرائحة كجلسائه

- إن الرجل الفاضل لا يعيش في ضنك وتعاسة مطلقاً ، وإن يعيش ،
 فلن يتجاوز ذلك يومين أو ثلاثة !

وقد وجه الشاعر محمد تقي بهار رسالة على لسان إيران إلى جميع
 أبنائها. ومن بين ما قاله الشاعر ، ضرورة الإقبال على التعليم ، فهو
 الوسيلة الأولى لرقى الأوطان ، وعودة إيران إلى سابق مجدها ، ولكن
 الشاعر طالب أبناء الوطن بأن يكونوا شريكين في انجاساتهم ، وألا
 ينخرطوا في تيار التفرنج ، الذي بدأت إيران تعاني من آثاره الضارة
 على الشخصية الإيرانية ، لا مانع من الاستفادة من علوم الغرب والأخذ
 منها بقدر ما يفيد الشرق دون أن يفقد الشرق أصالته ، وكم عانت
 إيران من الغرب !!

بهوش باش كه ايران تو را پیام دهد
 ترا پیام بصد عز واحترام دهد
 ترا چگوید ، گوید كه خير بينی اگر
 بكار بندی بندی كه باب ومام دهد
 ز درس حكمت وآداب رفتگان مگسل
 كه اين گسستگی خوارى مدام دهد
 بعلم خویش بكن تکیه وبعزم درست
 كه علم وعزم ترا عزت ومقام دهد

هـ - ز درس پارسی وتازی احتراز مکن
 كه اين دو قوت ملی علی الدوام دهد

مباش غره بتقليد غربيان كه بشرق
اگر دهد هنر شرقي احترام دهد
تو شرقي و بشرق اندرون كمالاتي است
ولي چه سود كه غربت فريب تام دهد
ز غرب علم فراگير وده بمعهه شرق
كه فعل هاضمة اش باتن انضمام دهد (۱)

وترجمتها :

- انتبه ، فايران تبعث إليك برسالة ، إنها ترسلها لك بكل إعزاز واحترام .
- ماذا تقول لك ؟ إنها تقول : كم سيتحقق لك الخير إن تلتزم بنصح والدك .
- لا تنقطع عن دراسة آداب السالفين وعلومهم ، لأن هذا الانقطاع يلحق بك الذلة والمهانة .
- اعتمد على علمك ، وكن صادق العزم ، فالعلم والعزم يحققان لك المكانة والعزة .
- ه - لا تتخل عن دراسة الفارسية والعربية ، فهما الأساس الراسخ للوطنية على الدوام .
- لا تتخذ بتقليد أهل الغرب ، ذككم يكون الشرقي مبعجلاً إذا تسلىح بفضائل الشرق .

۱ - ديوان بهار ج ۱ ، ص ۵۶۶ - ۵۷۰ .

- أنت شرقي ، وبسمات الشرق تصل إلى الكمال ، وأي فائدة
تجنيتها إذا خدعت بالاتجاه إلى الغرب ؟
— خذ علوم الغرب ، ولكن اضممها بمعدة الشرقي ، وبعد هضمها
تصبح جزءاً من كيائك .

ومن المعروف أن ظاهرة التفرنج وإعطاء الظهر للشرق ، قد
بدأت تظهر بوضوح لدى بعض الإيرانيين في العصر الحديث وبخاصة
بعد نجاح ثورة كمال أتاتورك في تركيا. وساعد على ذلك سفر البعض إلى
أوروبا للدراسة أو السياحة، فعادوا مبهورين بحضارة الغرب وتقدمه، وبدأوا
يتناولون على الثقافة الإسلامية — الإيرانية والعربية - ، وأراد هؤلاء
المتفرنجون تغيير بعض مقومات الحضارة الإيرانية واستبدالها بحضارة
الغرب بكل أنماطها المادية والمعنوية ، ولكن هذه الدعوة لم تلتق
خلال النصف الأول من القرن العشرين باستجابة تذكر ، وتصدى لها
كبار العلماء والأدباء ، ولم يتقبل العامة معظم أفكار هؤلاء المتفرنجين
مما حدا بهم إلى اتهام العامة بالجهل وعدم الإدراك وانعدام البصيرة .
فأوجد هذا جفوة بين بعض المتعلمين وبين العامة ، حيث اتهمهم العامة
بالعجب والتكبر والغرور ، واتهم هؤلاء المتفرنجون العامة ومن وقفوا
معهم من ذوي الفكر والبصيرة ، وأهل العلم والأدب ، بالتخلف عن
ركب المدنية ، وعدم مواكبة التقدم الحضاري الحديث ^(١) .

وفي وسط هذا العراك تبرز بروين اعتصامي الشاعرة والمصلحة
الاجتماعية إلى السطح كي تدعو هؤلاء المتكبرين للنزول إلى العامة
والأخذ بأيديهم ، وألا يعيشوا في أبراجهم العاجية بعيداً عن مشاكل

١ — ستكون هذه الدعوة محور الحديث في الفصل الثاني من الباب
الثالث .

الجماهير وعواطفهم وأحاسيسهم ، وألا يركنوا إلى التكبر والغرور .
وقد أوردت حواراً بين عالم متكبر وجاهل ، بدأه العالم بالتعالي والتسامي
على الجاهل ، مما حدا بالجاهل إلى أن يصارح العالم بأن العلم يكسب
صاحبه الفضيلة ، وإذا كانت فضيلة العلم العجب والغرور ، فهو
يحمد الله على حرمانه من هذه الفضيلة ؛ ومما جاء في هذا الحوار :

« یاد پروت »

عالی طعنه زد به نادانی
که بهر موی من دو صد هنر است
چون توئی را به نیم جو نخرند
مرد نادان ز چاربا بتر است
نه تن این ، بر دل تو بار بلاست
نه سر این ، بر تن تو دردسر است
بر شاخ هنر چگونگی نخوری
تو که کارت همیشه خواب و خور است

۵ - نسزد زندگی وبی خبری
مرده است آنکه چون تو بیخبر است
گر تو هفتاد قرن عمر کنی
هستیت هیچ فرصت هدر است
نه شما را ز دهر منظوری است
نه کسی را سوی شما نظر است
همه خلق ، دوستان منند
مگسائند هر کجا شکر است
همچو مرغ هوا سبک بهرم
که مرا علم ، همچو بال و پر است

۱۰ - وقت تدبیر ، دانشم یار است
روز میدان ، فضیلم سپهر است
هم ز جهل تو سوخت حاصل تو
عمر چون پنبه، جهل چون شرر است
تو ز گفتار من بسی بتری
آنچه گفتم هنوز مختصر است

* * *

گفت ما را سر مناقشه نیست
این چه پر گوئی و چه شور و شر است
بی سبب گرد جنگ و کینه مگرد
که نه هر جنگجوی را ظفر است

۱۵ - هیچگاه شمع بی فتیله نسوخت
تا عمل نیست ، علم بی اثر است
خویش را خیره بی نظیر مدان
ما در دهر را بسی پسر است
خویشتن خواه را چه معرفتست
شاخهٔ عجب را چه برگ و بر است
در تو برقی ز نور دانش نیست
همه باد بروت بی ثمر است
اگر این است فضل اهل هنر
خنکا آن کسی که بی هنر است (۱)

۱ - دیوان بروین اعتصامی ، ص : ۸۶ ، ۸۷ .

وترجمتها :

« رياح الغرور »

- طعن أحد العلماء جاهلاً ، إذ قال له : إن في كل شعرة مني مائتي نوع من الفضل !
- أما أنت فلا يشتري من علي شاكلتك بنصف دانق ، إذ أن الرجل الجاهل أسوأ من الحيوان .
- ليس هذا جسداً ، بل تحمل على قلبك أحمالاً من الهموم ، وليست هذه رأساً ، بل إن ما تحمله على جسدك ليس إلا صداعاً وألماً
- كيف تليق بالفضل والعزة ، وليس لك من عمل إلا النوم والأكل على الدوام !
- ٥ - لا تتفق الحياة والجهل ، فكل جاهل مثلك في عداد الموتى .
- حتى ولو عمرت سبعين قرناً من الزمان ، فستظل عديم القيمة ، هادراً لكل فرصة .
- إنك لا تحظى بنظرة من الدهر ، كما لا تستحق الاهتمام من أي شخص !
- أما أنا فأنخلق جميعهم يلتفون حولي ، إنهم كالذباب ، يتجمعون حولي أنا الشبيه بالسكر .
- لأنني أخلق في أجواء الفضاء كالمطائر ، إذ العلم بالنسبة لي كالجناتحين للمطائر .
- ١٠ - إذا حل وقت التدبير ، كان العالم رقيقاً ، وإذا ما اندلع أوار الحرب كان الفضل مجني .

— بالجهل تشعل النار في بيدرك ، إذ العمر كقطعة من القطن ، أما
الجهل فنار متقدة .

— أنت أسوأ من كل ما قلته ، إذ لم أقل حتى الآن إلا القليل .

★ ★ ★

— قال إننا لسنا في حوار أو مناظرة ، فلم كل هذه الثثرة ، وهذا
الانفعال ؟

— لا ثر بلا داع غبار الحرب والحقد ، فالظفر ليس من نصيب كل
محارب .

١٥ — ما اشتعلت شمعة بدون فتيل مطلقاً ، وإن لم يقترن العلم بالعمل
فلا جدوى منه !

— لا تعتبر نفسك عبثاً بلا نظير ، فلأم الدهر أبناء عديدون

— أي علم لدى المغرور ؟ وأي ثمار لغصن العجب ؟

— لا بريق لنور العلم لديك ، بل كل ما لديك غرور غير مثمر !

— إذا كان هذا فضل أهل العلم ، فهنيئاً لمن لم يحظ بهذا الفضل !

★ ★ ★

الإشادة بالمعلم :

إذا كانت إيران — ومعها جميع أقطار الشرق كله — في حاجة
ماسة للعلم والتعليم ، وأنه الطريق الأساسي لبناء الأوطان واستعادة
أجناد الشرق القديمة على أسس علمية حديثة ، فقد برز دور المعلم
وضرورة الاهتمام به . والإشادة بما يبذله فداءً لوطنه ومواطنيه ،

وقد تحدث جميع شعراء هذه الفترة عن المعلم وأشادوا به ، ونادوا
بتكريمه ، ومنهم الشاعر « يغمائي » حيث قال :

بدین کشور کسی نهد متگزار است
که دهقان است یا آموزگار است

اگر دهقان ، توان از نان ببخشد
معلم ، روح نباشد جان ببخشد !

تن نادان بود با مرده یکسان
معلم ، در چنین تن می دمد جان !

ز سعی اوستاد این جسم خاکی
فزون ز اختر شود در تابناکی !

* * *

۵ - بود آموزگاری ، سخت کاری !
تو میدانی که خود آموزگاری !

بباید طشت خون نخت جگر کرد
که طفلی را الفبائی زبر کرد !

رسد جان بر لب بیچاره استاد
که تا حرفی بشاگردی دهد یاد؟^(۱)

۱ - نقلا عن تذكرة شعراي معاصر ايران ، ج ۱ ، ص ۴۵۱ - ۴۵۲ ،
وكان حبيب يغمائي شاعرا وكاتبا ومحققا ، وقصاصا ، ولد عام ۱۲۸۰ ش
(۱۹۰۱ م) وبعد أن أنهى تعليمه عمل بالحكومة ثم أسندت اليه مهمة
التدريس في المعاهد العالية ودار الفنون ، كما تولى رئاسة تحرير المجلة
الرسمية للدولة وهي (آموزش وبرورش) « أي التعليم والتربية » ، ثم أصدر
المجلة الأدبية « يغما » وهي من المجلات ذات الدراسات الأدبية الجادة
والأبحاث اللغوية المتخصصة ، وما زالت المجلة تصدر حتى اليوم .

وترجمتها :

- إذا كان هناك إنسان يتفانى في عمله في هذا الوطن ، فسيكون إما الفلاح أو المعلم !
- إذا كان الفلاح يهبنا الخبز ، فالمعلم يهبنا الروح ويمنحنا الحياة .
- الجسد الجاهل يتساوى مع الميت ، ولكن المعلم سرعان ما ينفض الروح في هذا الجسد .
- وبفضل مجهود المعلم وسعيه ، يصبح الجسد الترابي أكثر إشراقاً من الكواكب والنجوم



- ٥ — إن مهنة التعاليم أمر بالغ الصعوبة ، ولكن أنعرف ماذا تعني مهنة التعليم ؟
- إنها التضحية بالمزيد من دماء الكبد ، حتى يحفظ طفل واحد « ألف باء »
- كما أن روح الأستاذ المسكين تكاد تودع شفثيه ، حتى يعلم أحد التلاميذ لفظاً واحداً !

وأمام اعتراف إيران — ومثلها في ذلك سائر بلاد العالم — بمكانة المعلم ، وما يقوم به من دور عظيم في رقي الأمة . وتعليم أبنائها سائر العلوم والمعارف الإنسانية ، فقد استحدثت إيران عيداً تحتفل فيه بالمعلم وتكرمه ، وأصبح هذا العيد مناسبة قومية تتكرر في كل عام ، حيث يُكرم المعلمون الممتازون ، وتلقى القصاصد في الإشادة

بالمعلم ودوره المستمد من رسالة الأنبياء عليهم السلام . ومن الذين
شاركوا في هذه المناسبة الشاعر والأديب « سرمد » وبما قاله :

(روز معلم)

گر بر تو فاش قدر معلم نیست
پوشیده بر من متعلم نیست
قدر معلم از متعلم پرس
کاینسان بحق چو من متکلم نیست
بشنو ز من که قائمه عالم
بی علم و بی معلم قائم نیست
عرش خدای کرسی تعلیم است
یعنی کس برتبه عالم نیست
۵ - زان شد نبی نبی که معلم شد
هرگز نبی نشد که معلم نیست
« روز معلم » اعظم ایام است
کان خود بروزگار اعظم نیست
« روز معلم » اول ایجاد است
این نکته گر چه بر تو ملایم نیست
تعلیم اگر نباشد در عالم
عالم بجز محیط مظالم نیست
آنجا که علم نبود ظالم هست
آنجا که علم باشد ظالم نیست
۱۰ - و آنجا که جهل هست ستم هم هست
جز جاهل و ستمگر حاکم نیست

چون علم مجتمع بکمال آید
کس اهل ظلم و کس متظلم نیست
عیش معلم است نعيم علم
در قسمتش معیشت ناعم نیست (۱)

وترجمتها :

(يوم المعلم)

— إن كنت لا تعرف قدر المعلم ، فقدره ليس خافياً عليّ أنا المتعلم .
— سل المتعلم عن قدر المعلم ، ولكنه لن يوفيه حقه ، مثلما أوفيه !
— لتسمع عني ! إن أساس هذا العالم لا يستقيم إذا انعدم العلم والمعلم .
— كرسي التعليم هو العرش الإلهي ، أي لا وجود لمن يحظى بمرتبة
« عالم » في هذه الدنيا .

۵ — كان نبي القرآن معلماً ، إذ لا وجود م يكن معلماً !
— « يوم المعلم » أعظم الأيام ، وليس بين الأيام ما يدانيه في العظمة .

۱ — نقلاً عن تذكرة شعراي معاصر ایران ، ج ۱ ، ص ۲۴۰ — ۲۴۲
وصادق سرمد من الشعراء المبرزين في هذه الفترة التاريخية التي نتعرض
لدراستها ، من منظوماته الشعرية « خورشيد آئينه فلك ، بانيز كبود ، مهتاب
وشهاب ، ويدر طالع » وقد ولد عام ۱۲۸۶ ش (۱۹۰۷ م) بمدينة طهران ،
وانهى دراسته الادبية ثم الحقوقية ثم التحق بوزارة العدل ، بعد ذلك انخرط
في سلك السياسة حيث اصدر جريدة اطلق عليها اسم « صدای ایران » . والى
جانب اعماله هذه ذكر انه كان حاضر البديهة سريعاً في نظم القصائد الطوال .
وتعتبر قصائده التي تحدث فيها عن العلم ومكانته (ثلاث قصائد) من
القصائد التي لا نظير لها في اللغة الفارسية كلها . لمعرفة المزيد ، ارجع الى
تذكرة شعراي معاصر ایران تأليف سيد عبد الحميد خلخالي ج ۱ ص ۲۲۴
وما بعدها .

— « يوم المعلم » أول يوم في الوجود لإنها حقيقة حتى ولو كنت غير متقبل لها !

— إذا انعدم التعليم من العالم ، أصبح العالم محيطاً من المظالم .

— فحيثما انعدم العلم ؛ وجد الظالم ، ولكن لا وجود لظالم مع انتشار العلم .

١٠ — وحيثما وجد الجهل ؛ تفشى الظلم ، ولن يكون الحاكم إلا جاهلاً ظالماً .

— وإذا بلغ العلم في أي مجتمع حد الكمال ، فلا وجود فيه لظالم أو متظلم .

— حياة المعلم نعيم العلم ، وإن كان نصيبه من الحياة شظف العيش !!

★ ★ ★

لقد صدق الشاعر حيث يعيش أهل العلم في بلاد الشرق عيشة لا تتفق وما يبذلونه من عطاء ، ولن تتقدم أي أمة إلا إذا كرم المعلم .
وبدلت المزيد من أجل رفع مستوى التعليم !

★ ★ ★

ثانيا : الاهتمام بالعمل

واكبت الدعوة إلى العلم والتعليم ، دعوة أخرى بضرورة بذل الجهد والعرق حتى تستطيع إيران أن تسترد سابق مجدها ، ولا يمكن أن يتم ذلك دون المشاركة من جميع الإيرانيين ، وذلك بطرح أثمان التراخي والتكاسل ، وارتداء أردية العمل المتواصل ، ومهما كان نوع العمل الذي يمارس ؛ فهو يبني لبنة في صرح التقدم والرفاهية التي

ينشدها الجميع . وقد تحدث معظم الشعراء عن الاهتمام بالعمل وبالعمال ، وبضرورة تحمل الشدائد في هذا المضمار حتى ترتفع هامات الإيرانيين ، وألا يكونوا عالة على الأجانب ولا طريق لمجاهتهم إلا بالعمل الشاق والمتواصل ، ومن الذين تحدثوا في هذا المجال الشاعر سرمد حيث قال :

مرد دانا کار گیتی را نگیرد سرسری
 سر فرازی بایدت میباید از سر بگذری
 سخت جانی باید اندر زیر بار حادثات
 با حوادث برنیاید سستی وتن پروری
 در قبال زورمندان زورمندی لازم است
 ورنه طعمه اقویا گردی بجرم لاغری
 سروری تانگیرد خواجهات دربندگی
 برتری جو تا نجوید بر تو ناکس برتری

ه - ليس للإنسان إلا ما سعى كفتند از آن
 تاتو نان در سایه سعی وثبات خود خوری
 من ندانم از کجائی و کجا خواهی شدن
 اینقدر دانم که میبایست راهی بسپری
 اختران همچون زمین سرگشته اند اندر هوا
 توجه میخواهی جرم مشتری نیک اخترى
 آدمیرا از بهائم فرق عقل ودانش است
 ورنه تو در خواب و خور هم رتبه گاو و خری^(۱)

۱ - رشید یاسمی : ادبیات معاصر ، ص : ۵۶ .

وترجمتها :

- لا يأخذ العاقل أمور الدنيا هراء وعبثاً ، وأنت يلزمك حسن التفكير
إن كنت تنشُد الرفعة .
- يجب التضحية والفداء أمام أحداث الزمان ، لا أن تضعف أمام
الأحداث وتروم السلام .
- لا مجابهة مع الأقوياء إلا باستخدام القوة ، وإلا أصبحت بجزيرة
ضعفك لقمة سائغة للأقوياء !
- لتنشُد الرفعة حتى لا تصبح عبداً لأي سيد ، وابحث عن العزة
حتى لا يتطلع أحد إلى أن يكون لك سيداً .
- هـ — لقد قالوا : ليس للإنسان إلا ما سعى ، لذا وجب عليك السعي
بكل ما تستطيع بقوة وثبات !
- إنني لا أعرف من أين أتيت ، وإلى أين ستمضي ، وكل ما
أعرفه هو ضرورة عبورك طريق الحياة !
- الأفلاك مثلها مثل الأرض ساجدة في الفضاء ، فلماذا تسأل المشنري
حسن الطالع ؟
- ما يميز الإنسان عن البهائم العقل والعلم ، ولكن إن تستسلم للنوم
والأكل ، فأنت في مرتبة الثور والحمار .



لقد حرص الشاعر على حث مواطنيه على السعي المتواصل ، فعلى
قدر سعي الإنسان يكون الجزاء في الدنيا والآخرة ، وإذا كانت إيران
مرتعةً للقوتين العُظميين في ذلك الوقت وهما إنجلترا وروسيا ، فإنها

لن تستطيع أن تجابه قوتها إلا بقوة ذاتية نابغة من عمل أبنائها وتغانيهم في أعمالهم لإعادة بناء الوطن بناء قوياً متماسكاً ، كما حرص الشاعر على نبذ فكرة التفاؤل والتشاؤم استناداً لما تقوله النجوم ، ومن المعروف أن عادة التنجيم كانت منتشرة في كل بلدان الشرق ومنها إيران ، لذا يدعو الشاعر مواطنيه أن يكونوا واقعيين ، وأن يركنوا إلى أعمالهم لا إلى الطالع والتنجيم والحظ وما شابه ذلك من الأمور التي تدعو إلى التواكل والتكاسل ، وما يجرانه على الشرق من تخلف وانحطاط ، أما إذا كان اعتماد الإنسان على عمله وعلمه ، فإنه يستطيع أن يحقق كل ما يصبو إليه من تقدم وسمو لنفسه ولوطنه ، ويكفي الإنسان أن يتفلسف بحكمة الله في خلق الإنسان على الهيئة التي أوجده عليها ، فكل عضو من أعضاء الجسد البشري مكلفاً بعمل ، فإذا ما أحسن العبد استخدام هذه الأعضاء استخداماً أمثل ، كان الخير عميقاً والنفع عظيماً ، وقد أشارت بروين إلى هذه الحكمة الإلهية والنعمة الربانية ، عندما جلس فقير معدم على قارعة الطريق يستجدي الناس ، ويسألهم العطف عليه لما يعيش فيه من فقر ومسغبة وحرمان ، فإذا بهاتف يعنفه على مسلكه هذا ويقول له :

گفتش اندر گوش دل ، رب ودود
گر نبودی کاردان ، جرم تو بود
ما ترا بی توشه نفرستاده ایم
آنچه می بایست دادن ، داده ایم
دست دادیم که تا کاری کنی
درهمی گر هست ، دیناری کنی
پای دادیم که باش پایجای
وا رهانی خویش را از تنگنای

۵ - چشم دادم تادلت ایمن کند
 بر تو راه زندگی، روشن کند
 ما کس را ناشتا نگذاشتیم
 این بنا از بهر خلق افراشتیم
 این توانائی که در بازوی تست
 شاهد بخت است و در پهلوی تست
 گنجها بخشیدمت ، این ناسپاس
 که نگنجد هیچکس را در قیاس
 عقل و رای و عزم و همت، گنج تست
 بهترین گنجور ، سعی و رنج تست

۱۰ - عارفان ، چون دولت از ما خواستند
 دست و بازوی توانا خواستند

و ترجمتها :

- حدثه الله الودود في أذن قلبه، قائلا : إن لم تكن موفقاً ، فالجرم
 جرمك !
 - نحن لم نرسلك مجرداً من كل زاد ، فقد منحناك كل ما يجب منحه .
 - منحناك يداً حتى تعمل ، فإن وجد درهم ، أصبح في مقدورك أن
 تجعله ديناراً .
 - ومنحك قدماً كي تنقل من مكان إلى مكان ، ولتخلص نفسك
 من كل شدة أو ضيق .

۱ - دیوان پروین اعتصامی ، ص : ۱۲۴ - ۱۲۵ .

٥ - ومنحنالك العين حتى يشعر قلبك بالأمان ، وحتى يبدو طريق الحياة واضحاً أمامك .

- إننا لم نترك إنساناً جائعاً ، وقد رفعنا هذا البناء من أجل الخلق .
- هذه القوة الكامنة في ساعدك ، وكذلك مسا في كتفك ، شاهد حظك .

- أيها الجاحد ، لقد منحتك من الكنوز والنعم ما لم يستطع شخص قط إحصاءها .

- فليكن كنزك ما في حوزتك من عقل ورأي وعزم وهمة ، وأفضل كثر لديك سعيك وكذلك .

١٠ - حين طلب العارفون الإقبال والتوفيق والحظ منا ، طلبوا يداً قوية وساعداً فتيماً !

هذه القدرات الكامنة في الجسد البشري ، لم يمنحها الله لعباده كي يعملوها حبيسة ، بل طالبهم بأن يحرروها ، ويوظفوها في أعمال وأفعال تعود بالنفع على الإنسان والبشرية ، وتفيد منها أوطانهم ، ولا شك أن دعوة بروين تتفق وجوهر الدين الإسلامي الذي يعتبر العمل عبادة ، ولم يكن الإسلام داعياً للتواكل كما يتهمه أعداؤه ، بل دين عمل وسعي وكد ونشاط !

· وإذا ما صاحب العمل طموح إلى حياة أفضل ، فإن العامل الطموح يستطيع أن يبلغ أقصى درجات الرقي والتقدم ، فالطموح يرفع صاحبه إلى مصاف العظماء ، كما فعل مع الإسكندر الأكبر :

اهتمام وشوق اگر ياور شود مرد خامل ذكر نام آور شود
 كودكى نقاش بشناسم كه داشت آرزو تا قائد كشور شود
 چونكه قائد گشت لشكر گردد كرد تابگيى بر سران سرور شود
 پس عجب نى گر ز گشت روزگار مردك نقاش اسكندر شود
 علم بايد تاجهان بگيرد نظام كار بايد تاجهان چون زر شود^(۱)

وترجمتها :

- إذا تضاfer السعي والطموح معاً ، فإنهما يجعلان الإنسان المغمور
 ذائع الصيت مشهوراً .
- لأنني أعرف طفلاً صغيراً كان يعمل رساماً ، ولكنه كان يتطلع
 دائماً إلى أن يكون قائداً لوطنه
- وعندما أصبح قائداً ، جمع الجند حوله حتى يكون إمبراطوراً
 على كل ملوك الأرض !
- ولكن لا تعجب من دورة الزمن ، حيث جعلت من هذا الرسام
 الصغير الإسكندر .
- العلم ضروري للحياة حتى يستتب النظام ، والعمل ضرورة كي
 يحيل الدنيا منجماً للذهب !

ما أحوج الشرقي إلى هذا الطموح المواكب للعمل والسعي بجد
 ونشاط ، حتى يتخلص من التخلف الذي يزرع تحت نيره قدرنا ،
 ولكن ليس المقصود من الذهب في البيت الأخير ذلك المعدن المعروف

۱ - ديوان ملك الشعراء محمد تقى بهار ، ج ۲ ، ص ۴۵۵ .

بهذا الاسم ، وإنما يعني الشاعر توفير الخير كل الخير للعاملين ، وهذا المعنى وضحه « بهار » في قطعة طريفة تصور شيخاً قد أشرف على الموت ، فجمع أولاده وأوصاهم بالحفاظ على ما سيرثونه من أرض ، حيث يوجد بها كنز لم يتمكن من العثور عليه ، فعليهم البحث عنه . فانهمكوا في عمل متواصل بحثاً عن الكنز ، ولكنهم لم يجدوا هذا الكنز ، وإنما أنتجت الأرض من الثمار أضعافاً مضاعفة نتيجة لما بذلوه من رعاية وعناية بأرضهم :

رنج و گنج

برو کار میکن ، مگو چیست کار
 که سر مایه جاودانی است کار
 نگر تا که دهقان دانا چه گفت
 بفرزندگان ، چون همی خواست خفت
 که میراث خود را بدارید دوست
 که گنجی ز پیشینیان اندراوست
 من آنرا ندانستم اندر کجاست
 پژویدن ویافتن با شماسست

۵ - چو شد مهر مه کشتگه برکنید
 همه جای آن زیر وبالا کنید
 نمائید ناکنده جائی زباغ
 بگیری از آن گنج هر جا سراغ
 پدر 'مرد و پوران بامید گنج
 بکاویدن دشت بردند رنج

بگاو آهن وپیل کندن زود
هم اینجا ، هم آنجا وهرجا که بود
قضارا در آن سال از آن خوب شخم
:هر تخم برخاست هفتاد تخم

۱۰ - نشد گنج پیدا ولی رنجشان
چنان چون پدر گفت شد گنجشان

وترجمتها :

« الكد والكنز »

- امض منكباً على العمل دون أن تسأل عن نوع العمل ، فالعمل - أياً كان - هو رأس مال الخلود .
- وانظر ماذا قال فلاح حصين لأبنائه ، عندما كان في الترع الأخير :
- حافظوا على ما ترونه من أرض ، ففيها كنز أخفاه السالفون .
- لأنني لم أعرف مكانه ، فواصلوا البحث والعمل أنتم حتى تجدوه
- هـ — انقضت الأيام والليالي وهم يبحثون ، وقلوب الأرض عليها ومنخفضها .
- لم يتركوا مكاناً بالبستان دون أن يحفروه ، وما تركوا بقعة دون بحث عن الكنز .
- مات الوالد ، والأمل يحدو أولاده ، لذا شقوا الصحراء متحمليين كل مشقة وتعب .

۱ - ديوان ملك الشعراء بهار ، ج ۲ ، ص : ۳۳۰ .

— حرثوا الأرض ورووها بكل الآلات والمعدات ، وواصلوا عملهم هنا وهناك .

— فكافأهم القضاء في ذلك العام جزاء سعيهم المتواصل ، بأن أنتجت كل بذرة سبعين ثمرة .

١٠ — لم يجدوا كنزاً ، ولكن كدّهم
كان — كما قال الوالد — كنزهم

لا شك أن الأشعار التي قيلت عن العمل والترغيب فيه كثيره سواء في النصف الأول من القرن العشرين ، وهو موضوع كتابنا هذا ، وسواء في أي عصر من العصور السابقة أو الحديثة ، فما دام للبشرية وجود ، فالعمل واجب وشرف يجب أن يحرص عليه الإنسان ؛ ولهذا أنهى هذا الفصل بذكر عدة أبيات من نظم الشاعر « سميعي » تحدث فيها عن استغلال الطاقات الكامنة في الجسد الإنساني فيما يعود بالنفع من الأعمال ، وأن الإنسان مطالب بالعمل خدمة لنفسه ولوطنه ولل البشرية كلها ، وأن الخير كل الخير فيما يقوم به الإنسان من عمل لا فيما يثرثر ويرغي ويزبد ... إلى آخر ما تضمنته الأبيات التالية من معان وأفكار .

از دوش خلق اگر نتوانی گرفت بار
باری بدوش خلق مده بار خود قرار

خود کار کن زخمر من کس خوشه برمچین
خود رنج بر ، ز نعمت کس توشه برمذار

این پنجه دلاور و بازوی زورمند
در پیکرتو ساخته اند از برای کار

باید که پنجه ات نشود رنجه از عمل
باید که بازویت نشود خسته از فشار

۵ - مردم برای خدمت یکدیگرند و هست
آسایش و بقای جهان را بر آن مدار
در سایهٔ وظیفه و سعی و عمل بود
مرد را و سیله‌ای طلبد بهر افشخار
از کاهلی بوقت عمل اجتناب کن
عمر عزیز را مده از دست زینهار
تنها سخنوری نکند کار را تمام
از حد لفظ چند قدم بیشتر گزار
دعوی مکن حقیقی از یافتی بگوی
صورت بهل و گر بودت معنی* بیار

۱۰ - مردم اگر بُدند تو خود خوب شو که گل
گل باشد از چه جای کند در میان خار

۱ - نقلا عن تذکرة شعراي معاصر : خلخالي ج ۱ ، ص ۲۵۸ ، وکان
ادیب السلطنة سمیعی المتخلص فی شعره باسم « عطا » من کبار الکتاب
والشعراء فی العصر الحدیث ، من آثاره النثریة : جان کلام - اثین نکارش
- دوازده منشی بیشا هنکی ، ومن آثاره الشعریة (آرؤی بشر) وقد نظمها
بالفارسیة والعربیة معا ، وله أيضا جامعة الحيوانات الی جانب العديد من
المقالات التي تناول فیها بالبحث والتمحیص قواعد اللغة الفارسیة وسائر
العلوم الادبیة واللغویة . كانت ولادته فی عام ۱۸۷۳ م ، أما وفاته فكانت
فی عام ۱۹۵۳ م . (انظر تذکرة شعراي معاصر ایران ج ۱ ص ۱۵۶ وما
بعدها) .

وترجمتها :

- إذا لم تستطع أن تخفف من أعباء الخلق ، فلا تلق بأعبائك على ظهورهم .
- أنجز عملك بنفسك ولا تقطف ثمرة من حصاد غيرك ، وتحمل الألم والمشقة ولا تطمع فيما ينعم به الآخرون .
- لقد وهبك الله هذه القبضة الكاسرة وذلك الساعد القوي من أجل العمل .
- لا يجب أن تكيل قبضتك من أي عمل ، كما لا يضعف ساعدك أمام أي مجهود .
- هـ - أوجد الله البشر ليكون كل منهم في خدمة الآخرين . لا من أجل الرفاهية والخلود في الدنيا .
- إذا كان للرجل أن يفتخر ، فليكن بما لديه من سعي وعمل ومجهود !
- تجنب الكسل والتراخي وقت العمل ، ولا تفقد عمرك الغالي هباءً وهدرًا !
- بالكلام وحده لا ينجز أي عمل ، لذا يجب أن تتخطى الأقوال إلى الأفعال .
- لا تكن مدعيًا ، بل انطق بالحقيقة أنتى تجدها ، وتخل عن الصورة واحرص على المعنى متى تحقق لك .
- ١٠ - إذا كان الجميع على سوء ، فلتكن أنت خيرًا ، فالوردة تظل وردة مهما جاورت أشواكا !



ولا شك أن الحديث عن العمل ، وثيق الصلة بالحديث عن العمال
والفلاحين والاهتمام بمشاكلهم والعمل على رفع شأنهم ، والدفاع عن
مصالحهم تجاه الرأسماليين والإقطاعيين . ولكننا نكتفي بما ذكرناه في
هذا الخصوص أثناء الحديث عن الانتصاف للطبقات الكادحة في
الفصل الأول من هذا الباب .

الفصل الثالث

تحرير المرأة

الفصل الثالث

تحرير المرأة

تمهيد :

كانت المرأة الإيرانية في أوائل القرن العشرين - مثلها في ذلك مثل المرأة في جميع أمصار الشرق - تعيش وراء الحجب والأستار محرومة من حقها في التعليم والمشاركة في بناء مجتمعتها ، وقد صور صاحب كتاب « انقلاب مشروطيت » حالهن بقوله : « .. لما كانت نساء إيران هن الضعيفات في المجتمع ، فهن أكثر من حاق بهن الظلم ، حتى أن ما أصابهن من عنت ليفوق كل تصور ، ودواماً كان ينظر إلى المرأة بعين التحقير ، كما أنها لم تشارك على الإطلاق في الحياة الاجتماعية ، وقد حرمت من الحقوق العامة ، وعدمت الرعاية والمساواة ، كما أغفلت في مجال التربية والتعليم ... » ^(١)

ولكن النظرة إليهن بدأت تتغير تدريجياً ووجد من طالبوا بانصاف المرأة ومساواتها بالرجل ، وذلك نتيجة لانفتاح إيران على الغرب وسفر العديد من البعثات التعليمية إلى أوروبا ، وإطلاع أعضاء هذه البعثات على مشاركة المرأة

١ - مهدي ملكزاده : تاريخ انقلاب مشروطيت ايران ج ١ ، ص : ١٠٢

الأوربية في الحياة العامة ، وكذلك اطلاق بعض مثقفي إيران على دعوة قاسم أمين لتحرير المرأة والتي نادى بها في مصر ، ثم انتقلت منها إلى سائر أقطار الشرق ، فما أن كتب قاسم أمين كتابه « تحرير المرأة » ونشره في القاهرة عام ١٨٩٩ م ، حتى سارع أديب كبير في إيران يُدعى يوسف اعتصامي بترجمة هذا الكتاب إلى الفارسية ونشره في العام التالي - أي في عام ١٩٠٠ م - بمدينة تبريز الإيرانية وذلك تحت عنوان « تربيت نسوان » . (١)

وما لا جدال فيه أن كتاب تربيت نسوان - إلى جانب العديد من المقالات التي نشرت في الصحف الإيرانية في ذلك الوقت - أوجد قضية شغلت الرأي العام في ذلك الوقت ، وقد اصطُح على تسميتها باسم « قضية تحرير المرأة » . وقد شارك في هذه القضية عدد من الشعراء الذين دافعوا عن المرأة الإيرانية بخاصة ، والمرأة الشرقية على وجه العموم ، ودعوا إلى إطلاق سراحها لكي تؤم مكاتب الدراسة ثم تكون شريكة بعد ذلك للرجل في بناء الوطن ، والعمل سوياً على تقدمه .

الشعراء وتحرير المرأة :

من الشعراء الذين عنوا بالدعوة لتحرير المرأة الشاعر إيرج ميرزا ، وقد أتاحت له الفرصة لزيارة أوروبا ، وقارن بين الدور الذي تلعبه المرأة الأوربية في مجتمعاتها ، وبين ما تعيش فيه المرأة الإيرانية من تخلف وجهل ؛ ومن بين ما قاله الشاعر إيرج ميرزا هذه الأبيات :

خدايا تا کی این مردان بهخوابند
زنان تا کی گرفتار حجابند

٦ - لمعرفة المزيد عن هذا الموضوع ، يرجع إلى دراسات في الادب المقارن للمؤلف ، نشر دار النهضة العربية ، بيروت ١٩٧٨ و ١٩٨٠ .

چرا در پرده باشد طلعت یار
خدایا زین معما پرده برادر
مگر زن در میان ما بشر نیست ؟
مگر زن در تمیز خیر و شر نیست ؟
چو زن نخواهد که گیرد با تو پیوند
نه چادر مانعش گردد و نه روپند
۵ - زنان را عصمت و عفت ضرورست
نه چادر لازم و نه چاقچور است

اگر زن را بیاموزند ناموس
زند بی پرده بر بام فلک کوس
چو زن تعلیم دید و دانش آموخت
روان جان به نور پیش افروخت
به هیچ افسون ز عصمت برنگردد
به دریا گر بیفتد سر نگرده
زن رفته کلز دیده فاکولته
اگر آید به بیش تو دکولته

۱۰ - چو در وی عفت و آزرم بینی
تو هم در وی به چشم شرم بینی
تمنای غلط از وی محال است
خیال بد در او کردن خیال است

در اقطار دگر زن یار مرد ست
در این محنت سراسر بار مرد ست

به هر جا زن بود هم پیشه با مرد
درین جا مرد باید جان کند فرد (۱)

وترجمتها :

- إلهي ! إلام يظل هؤلاء الرجال في نوم وغفلة ؟ وإلام تظل النساء أسيرات الحجاب ؟
- ولماذا يظل وجه الحبيب خلف الأستار والحجب ؟ فاكشف يا إلهي سر هذا اللغز !
- أليست المرأة بشراً بيننا ؟ أليست المرأة قادرة على التمييز بين الخير والشر ؟
- إن ترغب المرأة في الاتصال بك ، فلن تمنعها العباءة أو الحجاب !
- هـ - كم يلزم المرأة العصمة والعفة ، ولا تلزمها العباءة أو السروال !
-
- إن تعلموا المرأة الرسوم والآداب ، تمكنت من طرق أبواب الفلك بلا عياءة .
- عندما رأت المرأة التعليم ، ونهلت منه ، أضاعت روحها المشرقة بنور المعرفة .
- ولن تحيد عن العصمة تحت أي خرافة، حتى ولو تسقط في أي بحر ؛
فلن تبطل أطرافها !

۱ - ديوان ایرج میرزا ، منظومة « عارف نامه » ، ص ۷۹ وما بعدها .

— إن كانت المرأة قد أمت الجامعة وذهبت إلى الكلية ، فماذا يحدث لو جاءت أمامك بثياب عصرية ؟

١٠ — فإن تر فيها العفة والحياء ، فإنك ستنتظر إليها بعين الحجل والاحتشام .

— وسيكون توقع الخطأ منها ضرباً من المحال ، كما سيكون انتظار الخطيئة منها محض خيال !

.

— إن المرأة شريكة للرجل في الأقطار الأخرى ، أما هنا فالرجل وحده أسير الهموم والمحن .

— كما أن المرأة تعمل بجوار الرجل في كل مكان ، ولكن على الرجل هنا أن يضحى وحده بالروح .



إذا كان إيرج قد طالب بطرح الحجاب جانباً ، فقد دعا إلى حجاب آخر لحمته العصمة وسداه العفة ، وهذا الحجاب أقوى وأمن من الغلالة السوداء التي عرفت باسم الحجاب ، كما كان حريصاً على الدعوة لأن تتسلح المرأة الشرقية بسلاح التعليم الذي يساعدها على معرفة طريقها ، والتمييز بين الخير والشر ، فإذا ما وفرنا هذا السلاح للمرأة الشرقية ، فلا خوف بعد ذلك من خروجها إلى الحياة العامة كسي تشارك الرجل في القيام بالمهام والأعمال التي تعود على الوطن بالنفع والتقدم .

هذه الدعوة ، إذا كانت قد وجدت من ينصرها ، فقد كان هناك الكثيرون ممن لا يوافقون عليها ويتهمون دعائها بالخروج عن جادة الدين والخضوع لتقاليد الغرب ... ومن الذين وقفوا موقف المعارضة صاحب كتاب « حقوق المرأة في الإسلام والعالم » ويدعى يحيى نوري ، ومن بين ما قاله :

إذا كان هدف النساء من الدعوة للتحرير هو الحصول على الاستقلال الاقتصادي وحق العمل والتجارة ، فقد كفّل الإسلام لهن هذه الحقوق .

وإذا كان غرضهن مساواة الرجل والمرأة أمام القانون ، فإن الإسلام قد ساوى بين البشر جميعاً ، كما ساوى بين الأسود الحبشي والأبيض القرشي .

وإذا كان غرضهن توفير حق التربية والتعليم للمرأة ، فإن الإسلام قد جعل هذا الحق فريضة على كل مسلم ومسلمة ...

إلى غير ذلك من الحجج التي ساقها المؤلف ، ثم الرد على كل حجة مفنداً لها. ومثبتاً عدم صحتها ، وفي النهاية يقرر أن هذه الدعوة ليست نابعة من وجدان المجتمع الإسلامي ، وإنما مردّها إلى رغبة النساء الشرقيات في التقليد الأعمى لنساء الغرب . (١)

ووجد من بين الشعراء من ساندوا هذا الموقف ، ووجهوا الدعوة للفتيات بأن يحافظن على الحجاب وما يمثله من حفاظ على الخلق

١ - يحيى نوري : حقوق زن در اسلام وجهان ، جاب سوم ، ايران ١٣٤٧ ش ، ص ١٥٨ - ١٦٣ .

القويم ، وأن المرأة مكانها البيت في النهاية ، وإذا كانت تتعلم ، فإنها تتعلم كي تكون أماً موفقة في تربية أبنائها ، وزوجة مخلصه تعمل في خدمة زوجها ، ولا داعي لخروجها إلى معترك الحياة المليء بالاضطراب والشرور ، ومن الذين تحدثوا عن هذه المعاني شعراً ، الأديب الكبير سعيد نفيسي وقد عبر عن رأيه هذا في قطعة شعرية بعنوان ؛ « فتيات اليوم أمهات الغد » ؛ ولعله قالها في بداية حياته الأدبية لأنه كما يقول معظم مؤرخي الأدب لم يكتب شعراً بعد عام ١٩٣٥ م ، وحتى وفاته في عام ١٩٦٦ م .

دختران امروز ماداران فردا

ای دخترکان ماه رخسار	وقت است اگر بهوش باشید
پند من بیدل دل افکار	بر دل بنهید و گوش باشید
غافل نشوید موقع کار	گر نیش خورید نوش باشید
ای پردگیان نغز دلدار	کوشید که پرده پوش باشید

آنکه شويد محرم راز

غره مشوید بر رخ خوب	کان نیز چو گل بس نیاید
چیز خلق نکوی و خوی مطلوب	خوبان زمانه را نشاید
بینید زمانه را پر آشوب	وین ظلم و ستم که رخ نماید
جز سعی شما وصبر آیوب	از عهده هیچکس نیاید

کارام کند زمانه را بار

ای دخترکان رافت اموز	در دانش و مردمی بکوشید
در کینه چو برق خانمان سوز	با دشمن خود دمی بجوشید

بر قامت دلبر دل افروز جز جامه تربیت نبوشید
تاکی چو عجز کان بهر دوز از جور زمانه میخروشید
کاین رنج نبودن ز آغاز (۱)

وترجمتها :

(فتيات اليوم امهات الغد)

— أيتها الفتيات الشبهات بالبدور ، آن الأوان لكي تركنّ إلى العقل
والتفكير !

— إصغين جيداً إلى نصيحتي الغالية ، واحفظنها من صميم قلوبكن .

— لا تغفلن عن رسالتكن الحقيقية ، ومهما تحملتن في سبيلها من
مشاق ، فتحلين بالبرقة والدوق .

— أيتها المحجبات الرقيات ، اجتهدن في الحفاظ على الحجاب
حتى تكُنَّ محرماً للأسرار

— لا تتخذن من الجمال باعثاً على الغرور والخيلاء ، فهذا الجمال
كالوردة لا يدوم طويلاً .

١ — نقلا عن ادبيات معاصر : رشيد ياسمي ، ص ٥٧ - ٥٨ ، والاديب
الكبير سعيد نفيسي من كبار رجال الادب الفارسي خلال القرن الحالي « ولد
عام ١٨٩٦ م . وبعد أن أنهى تعليمه المتوسط سافر الى أوروبا لاستكمال
دراسته الجامعية الطبية ، وقد قضى هناك تسع سنوات دون أن يكمل تعليمه
الطبي لتعلقه بالادب أكثر من تعلقه بالطب ، فعاد الى إيران ، واهتم بالتحقيقات
الصحفية ، ونشر كتب التراث بعد تحقيقها ، كما كتب عدة قصص الى جانب
ما نظم من شعر في بداية حياته الادبية ، فقد ذكر انه لم ينظم شعرا بعد عام
١٩٣٥ ، وذلك لانه شغل بالتدريس في كليتي الحقوق والآداب ، وبكتابة المقالات
الصحفية وتاليف الكتب ، حتى وصل عدد ما ألف وترجم ونشر الى أكثر من
ومائة وخمسين كتاباً وقصة . وقد توفي نفيسي عام ١٩٦٦ .

- لا يجوز للفتيات أن يتجملن في هذه الأيام إلا بالخلق الطيب والطبع الحسن
- احذرن هذا الزمان المليء بالشُرور ، وتجنبن هذه المظالم المتفشية .
- لن يستطيع أي شخص أن يحقق لكن الراحة في هذا الزمان .
- إلا سعيكن وتذرعكن بصبر كصبر أيوب !
- أيتها الفتيات ، تحلين بالركة ، واجتهدن في تحصيل العلم والأخلاق الحسنة .
- اجعلن هذه الشرور التي تقوض دعائم الأسرة ناراً تحرق عدوكن.
- احرصن على أن تكون أرديتكن أيتها الحسان ، متفقة مع الخلق والأدب .
- وذلك حتى لا تتعرضن للمشاق والمتاعب منذ البداية ، ثم تلهجن بالشكوى ،
- وذلك عندما تتقدم بكن السنون !



وعلى الرغم من أصوات المعارضين فقد واصلت القضية مسيرتها وواصل المدافعون عن المرأة إقناع أولي الأمر بتحرير المرأة وإتاحة الفرصة أمامها لكي تنهل من بحار العلم والمعرفة إلى أن صدر قانون برفع الحجاب وذلك في عام ١٩٣٥ م ، وأقيم احتفال كبير بهذه المناسبة حضره كبار رجال الدولة ، وشارك الشعراء في هذه المناسبة القومية ، وكان من بينهم ملك الشعراء محمد تقي بهار الذي ألقى قصيدة ، أقتطف منها هذه الأبيات :

ای زن

جوان بخت و جهان آرائی ایزن
جمال وزینت دنیائی ایزن
صدف خانه است و صاحبخانه غواص
تو در وی گوهر یکتائی ایزن
تو یکتا گوهری در درج خانه
وزان بهتر که گوهر زائی ایزن
تو در عین لطافت زورمندی
تو هم گوهر تو هم دریائی ایزن

۵ - چو مغز اندر سر و چون هوش در مغز
بجا ولایق و شایائی ایزن
تعالی الله که در باغ نکوئی
چو کل پاکیزه و زیبائی ایزن
خطا گفتم ز گل نیکوتری تو
که هم زیبا و هم دانائی ایزن
ترا حاجت بآرایش نباشد
که خود پا تا بسر آرائی ایزن
نبودی زندگی گر زن نبودی
وجود خلق را مبدائی ایزن

۱۰ - بنای نیکبختی را بگیتی
تو هم معمار و هم بنائی ایزن
بهشت واقعی جائی است گر مهر
تو با فرزندگان آنجائی ایزن

تواضع را چو خیزی پیش شوهر
 همایون شاخه طوبائی ایزن
 دریغا گر تو با این هوش و ادراک
 بجهل از این فزونتر پائی ایزن
 دریغا کز حساب خود وطن را
 به نیمه تن فلج فرمائی ایزن

.

۱۵ - سوی علم و هنر پشتاب و کن شکر
 که در این دوره والائی ایزن
 حجاب شرم و عفت بیشتر کن
 کنون کازاد ، ره پیمائی ایزن
 بکار علم و عفت کوش امروز
 که مام مردم فردائی ایزن^(۱)

و ترجمتها :

أيتها المرأة

- أنت الحظ المواتي وروثق الوجود ، أيتها المرأة ، أنت الجمال وزينة
 الدنيا ، أيتها المرأة !
 - الدار كالصدف ، ورب البيت كالغواص ، أما أنت فالدر اليتيم
 أيتها المرأة !

۱ - دیوان ملك الشعر محمد تقی بهار ، ج ۱ ، ص : ۶۴۴ - ۶۴۷ .

— أنت وحدك الدر المصون بالدار ، بل أفضل من الدر ، إذ منك
يتولد الدر ، أيتها المرأة
— أنت مع لطفك ورقتك غاية في القوة ، إذ أنت الجوهر ، كما أنك
البحر كذلك ، أيتها المرأة !

٥ — أنت كالعقل في الرأس ، وكالذكاء في العقل ، لذا فأنت جديرة
بالوجود في أي مكان أيتها المرأة !

— تعالى الله ! كم أنت الورد الطاهرة في حديقة الحسن والجمال أيتها
المرأة !

— لقد أخطأت ! إنك أجمل من الورد ، فقد جمعت بين الجمال
ورجاجة العقل ، أيتها المرأة !

— لست في حاجة للزينة والأصباغ ، لأنك مثال للجمال من الرأس
إلى القدم ، أيتها المرأة !

— إذا لم يكن للمرأة وجود ، فما كان للحياة أي وجود ، فأنت
الأساس في وجود الخلق ، أيتها المرأة !

١٠ — أنت المعمر والمشيّد لصرح السعادة في الدنيا ، أيتها المرأة !

— مقرك الجنة ^(١) ، وقد حزت هذه المكانة بما تحيطين به أبناءك من
حب وحذب ، أيتها المرأة . !

١ — اشارة الى الحديث النبوي الشريف « الجنة تحت اقدام الامهات »

- كما زدت تواضعاً أمام زوجك ، كما زاد غصنك توفيقاً في
الجنة ، أيتها المرأة !

- ومن الأسف ان تظلي مع رجاحة عقلك وحسن إدراكك ،
تردين في غياهب الجهل ، أيتها المرأة !

- ومن الأسف كذلك ، أن يظل نصف الوطن مشلولاً معطلاً أيتها المرأة !

.

١٥ - سارعي الخطى نحو العلم والفضل ، والهتجي بالشكر إذ بلغت
العلا والرفعة في هذه المرحلة ، أيتها المرأة !

- لقد تمتعت بحريتك ، فامضي في طريقك متشحة أكثر من ذي قبل
بحجاب من الحياء والعفة ؛ أيتها المرأة !

اليوم ، اجتهدى في مضمار العلم والعفة
ففي الغد ، تصبحين أمّاً للجميع ؛ أيتها المرأة !

★ ★ ★

لاحظنا أن أول من نادوا بتحرير المرأة كانوا من الرجال ، فهل
وقفت المرأة مكتوفة اليدين أمام هذه القضية التي تهمها بالدرجة الأولى ؟

مشاركة المرأة الإيرانية في هذا المجال :

إذا تركنا الدور الكبير الذي بذله المصلحون من الرجال ، وسألنا
عن الدور الذي لعبته المرأة الإيرانية في ترسيخ دعائم هذه الدعوة ،
فسنجد العديدات من الرائدات اللاتي شاركن في هذه الدعوة بعد

أن أتاحت لمن فرصة التعليم بالداخل أو الخارج ، فوجدن في دعوة الرجال تشجيعاً لمن للتعبير عن آرائهن في مسألة هامة بالنسبة لمن ، وهنا انطلقت ملاحظات الشاعرات منهن للمشاركة في هذه الدعوة .

من الأصوات التي ارتفعت في ذلك الوقت صوت السيدة « بدري تندري » التي كانت تتخلص باسم « فاني » ، فقد قالت في قطعة عنوانها « آزادی زنان » أي « حرية النساء » :

(آزادی زنان)

در این کشور چرا ناقص بودی آزادی نسوان
اروبا گوی آزادی زنان بردند از میدان

شود از نور خورشید تمدن بهره‌ور گیتی
چرا در ظلمت قرن توحش باقی است ایران

بود عضو فلج زن تابکی از راه نادانی
بکار خویشتن تا چند ماند این چنین حیران

اگر علم وادب آموختن بر مرد وزن فرض است
نگردد از چه در ایران حقوق مرد وزن یکسان

ه - بی آدم بمعنی گر بود اعضای يك پیکر
چرا مردان بخود بالند از تحقیر زن اینسان

اساس ضعف این کشور ز جهل مادران باشد
کجا طفل هنرور پروراند مادر نادان

سزد گز عمر باقیمانده را از جان و دل (فانی)
 دمی از دست یکسر در ره آزادی نسوان (۱)
 * * *

وترجمتها :

(حرية النساء)

- لم اتسمت حرية النساء بالنقص في هذا الوطن ، وقد رفعت
 أوروبا كرة حرية النساء من الميدان ؟
- لقد أضيئت الدنيا بنور شمس المدنية ، ولكن لم بقيت لإيران
 وسط ظلمة قرون الحمجية ؟
- المرأة عضو فعال ، فلماذا تظل بسبب الجهل في حيرة من أمرها ؟
- إذا كان تعلم العلم والأدب فريضة على الرجل والمرأة ، فلم لم
 تتساو حقوق المرأة والرجل في إيران ؟
- هـ — وإذا كان بنو آدم أعضاء جنس واحد ، فلم يتفاخر الرجال
 بتحقيقهم للنساء ؟
- أساس ضعف هذا الوطن مرجعه جهل الأمهات ، إذ كيف تربى
 الأم الجاهلة طفلا فاضلا ؟
- فلتبدلي البقية الباقية من العمر بكل حماس يا « فاني » ، في سبيل
 الدعوة إلى حرية النساء .

* * *

ومن الأصوات النسائية التي ارتفعت في هذه الفترة ، وطالبت
 بتحرير المرأة كذلك ، الشاعرة « توران بهرامى » في مثنوي عنوانه
 « أينها المرأة » :

١ — زنان سخنور ، ج ٢ ، ص ٢٦ (الطبعة الثانية) تأليف علي أكبر
 مشير سليمي ، وقد ولدت بانو بدري المتخلصة باسم فاني عام ١٩٠٦ م في
 طهران وتعلّمت الفارسية والعربية والفرنسية ، كما كانت تجيد العزف والرسم ،
 وقد نظمت ما يزيد عن ألفي بيت من الشعر ، ونشرت بعضه في الصحف
 والمجلات . وألفت كتابا بعنوان : « مكانة المرأة في الدنيا » وقد زارت كلا
 من سورية والعراق وتركيا واليونان ومصر وإيطاليا وسويسرا وفرنسا
 وألمانيا ...

«ای زن»

تو ای زن قدرت بسیار داری
پس از ایزد تو هم پرودگاری
ولی ای آنکه مردان پروریدی
از این پرورده جز خاری چه دیدی
تو پروریدی و او دیوانه ات کرد
اسیر و پای بند خانهات کرد
ترا با حيله اندر دام کردند
ضعيف و ناتوانت نام کردند

۵ - فروريز اين حصار جاودانرا
زپا بگسل دگر بند گرانرا
اسير دست مردان تا كي وچند؟
خدا را جنبشي تا چند در بند؟
بنای اذری را بشکن ای زن
پای هر بی خود را میسفن
چو ابراهیم ایزن بت شکن باش
پی احراز حق خویش باش
شب تارت بزودی روز گردد
حقیقت عاقبت پیروز گردد (۱)

۱ - المرجع السابق ج ۲ ص : ۹۷ .

وترجمتها :

« أيتها المرأة »

- أيتها المرأة إنك عظيمة المقدرة ، فأنت المربية بعد الله مباشرة .
- ولكنك يا من رببت الرجال ، لم تجدي ممن رببت إلا الإذلال .
- لقد رببته وأصبح شيطانك ، وسرعان ما حولك أسيرة دارك .
- لقد ألقوك بالمكر والحيلة وسط الشباك ، وأطلقوا عليك اسم الضعيفة والمتخاذلة .
- هـ — فحطمي هذا لخصار الدائم ، وفكي عن قدميك ذلك القيد الثقيل الآخر .
- إلام تظلين أسيرة قبضة الرجال ؟ وبالله ، إلام تظلين مقيدة الحركة ؟
- حطمي أيتها المرأة معبد النار ، واطرحي كل أصنامك أرضاً .
- حطمي الصنم أيتها المرأة متمثلة بإبراهيم ، واجتهدي في سبيل الحصول على حقوقك .
- ليلك المظلم سرعان ما يضيء نهاره ، وفي النهاية تسطع الحقيقة واضحة .



ولكن أهم صوت عبر عن مطالب المرأة الإيرانية في النصف الأول من القرن العشرين ، كان صوت الشاعرة الكبيرة القدر « پروين اعتصامي » ، وقد جاء ديوانها في معظمه معبراً عن هذه الأحاسيس التي تعتمل في نفوس نساء إيران ، وتعبّر عن تطلّعهم نحو حياة أفضل من تلك الحياة التي عاشت فيها المرأة الشرقية عامة في

القرون الماضية . وما قالته پروین قطعة بعنوان « ملاك الأنس » جاء فيها :

« فرشته انس »

در آن سرای که زن نیست ، شفقت نیست
در آن وجود که دل مُرد ، مُرده است روان
بهیچ مبحث و دیباجه ای ، قضا نوشت
برای مُرد کمال ، و برای زن نقصان
زن از نخست بود رکن خانه هستی
که ساخت خانه بی پای بست و بی بنیان
زن از براه متاعب نمیگذاخت چو شمع
نمیشناخت کس این تیر را پایان

۵ - چو مهر ، گر که نیتافت ، زن بکوه وجود
نداشت گوهری عشق ، گوهر اندر کان
فرشته بود زن ، آنساعتی که چهره نمود
فرشته بین ، که برو طعنه میزند شیطان
اگر فلاطن و سقراط ، بوده اند بزرگ
بزرگ تر بوده ، پرستار خردی ایشان
بگواهواره مادر ، بکودکی بس خفت
سپس بمکتب حکمت ، حکیم شد لقمان
چه پهلوان و چه سالک ، چه زاهد و چه فقیه
شدند یکسره ، شاگرد ابن دبیرستان

۱۰ - حدیث مهر ، کجا خواند طفل بی مادر
نظام و امن ، کجا یافت ملک بی سلطان

همیشه دختر امروز ، مادر فرداست
ز مادرست میسر ، بزرگی پسران
زن نکوی ، نه بانوی خانه تنها بود
طیب بود وپرستار و شحنه و دربان
زنی که گوهر تعلیم و تربیت نخرید
فروخت گوهر عمر عزیز را ارزان
چو بگرویم بکرباس خود ، چه غم داریم
که حله^۱ حلب ارزان شدست یا که گران
از آن حریر که بیگانه بود نساجش
هزار بار برازنده تر بود خلقان
چه حله ایست گرانتز ز حلیت دانش
چه دیبه ایست نکوتر ز دیبه^۲ عرفان
هرآن گروه که پیچیده شد بدو^۳ خرد
بکار خانه^۴ همت ، حریر گشت و کتان
نه بانوست که خود را بزرگ می شمرد
بگوشواره و طوق و بیاره مرجان
چو آب ورننگ فضیلت بچهره نیست چه سود
زرننگ جامه^۵ زربفت و زیور رخشان

برای گردن و دست زن نکسو ، پروین
سزاست گوهر دانش ، نه گوهر الوان^(۱)

وترجمتها :

ملاك الانس

- إن عدم ذلك القصر المرأة ، فقد الأنس والشفقة ، وإذا مات القلب
في ذلك الوجود ماتت الروح .
- لم يقرر القضاء بأي مبحث ولا بأية ديباجة ، أن الكمال سمته
الرجل ، وأن النقص صفة المرأة .
- المرأة منذ البداية ركن منزل الوجود ، ومن ذا شيد داراً بلا أساس
وبلا بنيان .
- إن لم تذب المرأة كالشمع في طريق المتاعب ، لما أدرك شخص
قط ما لهذا الطريق المظلم من نهاية .
- هـ - إن لم تشرق المرأة بعالم الوجود كالشمس ، لما حاز طاهر
العشق جوهرآ من ذلك المنجم .
- المرأة ملاك ، فحينما تبلو ، انظر فيها الملاك ، فما أكثر طعنات
الشیطان الموجهة إليها .
- إذا كان أفلاطون وسقراط عظيمين ، فأعظم منهما مربية طفولتهما.

۱ - دیوان پروین اعتصامی ، ص : ۱۸۷ - ۱۸۹ .

— كم رقد لقمان في مهد أمه طفلاً ، ثم ذهب إلى مكتب الحكمة ، فأصبح حكيماً .

— الجميع تلاميذ هذه المدرسة سواء في ذلك البطل والسالك ، الزاهد والفقيه .

١٠ — أين قرأ اليتيم حديث العطف والمحبة ؟ وأين وجد "ملك" بلا سلطان النظام والأمن ؟

— فتاة اليوم على الدوام أم الغد ، وعظمة الأبناء مبعثها الأم .

— المرأة العظيمة ليست ربة الدار وحدها ، بل هناك الطيبة والمرضة والحارسة والحنانية .

— المرأة التي لم تشر جوهر التعليم والتربية ، باعت جوهرها الغالي رخيصة .

— إن نقنع بثيابنا الخشنة ، فأني غم يعترينا إن كانت الأردنية الحلبية غالية أم رخيصة ؟

١٥ — إن الثوب الخلق أفضل ألف مرة من ذلك الحرير الأجنبي صانعه .

— وأي حلة أفضل من حلة العلم ؟ وأي ديباج أحسن من ديباج المعرفة ؟

— وذلك النسيج الذي يُغزل بمغزل العقل في مصنع الهمة ، هل يتساوى فيه الحرير مع الكتان ؟

— ليست فاضلة من تظن أنها تعظم بالقرط ، وبعقد من المرجان .

— إن عدم الوجه زينة الفضيلة ، فما جدوى الرداء الحريري المزركش ؟
وما فائدة الأصباغ والمساحيق ؟

٢٠ — كم يليق بجيد ومعصم المرأة ، يا بروين ، جوهر العلم ، لا جوهر
الأصباغ .

★ ★ ★

نلاحظ أن بروين لم تدع إلى حقوق تفتقدها المرأة فقط ، بل
ضمنت دعوتها تبصير بنات جنسها بواجبهن في المجتمع ، إذ أن الحياة
الحرية الكريمة حقوق وواجبات والمرأة التي لا تحافظ على حريتها
بالحفاظ على كرامتها وعفتها ، لا تستحق أن تحظى بأي حق في الحياة ،
والمرأة المهتمة بزینتها عليها أن تدرك أن الزينة ليست في أصباغ وجواهر ،
بل إن الزينة الحقيقية في اكتمال عقل المرأة بالفضل والتعليم .

أشرنا من قبل إلى أن قانون رفع الحجاب صدر في عام ١٩٣٥ م ،
وأن الاحتفالات أقيمت بمناسبة صدور هذا القانون ، وشارك الأدباء
في هذا الاحتفال بإلقاء الخطب وإنشاد القصائد ، فسارعت بروين
اعتصامي للمشاركة في هذه المناسبة التي طالما انتظرتها ودعت إليها ،
فأنشدت قطعة تصور فيها ما تحملته المرأة الإيرانية من هوان وعذاب
حتى صدر هذا القانون ، فرحبت به ، ولم تنس أمام هذه الفرحة
الغامرة أن تذكر أترابها بضرورة التمسك بالفضيلة والخلق ، وإذا
كانت الفتاة الإيرانية سترفع عن وجهها حجاباً من نسيج ، فهي مطالبة
بأن تضع عوضاً عنه حجاباً من عفة وأدب وخلق قويم :

زن در ایران

زن در ایران، پیش ازین گوئی ایرانی نبود
پیشه‌اش ، جز تیره روزی و پریشانی نبود

زندگی و مرگش اندر کنج عزلت میگذشت
زن چه بود آنروزها ، گر زانکه زندانی نبود

کس چو زن ، اندر سیاهی قرن‌ها منزل نکرد
کس چو زن، در معبد سالوس ، قربانی نبود

در عدالتخانه^۵ انصاف ، زن شاهد نداشت
در دبستان فضیلت ، زن دبستانی نبود

۵ — داد خواهی های زن میماند عمری بی جواب
آشکارا بود این بیداد ، پنهانی نبود

بس کسان را جامه و چوب شبانی بود، لیک
در نهاد جمله گرگی بود ، چوبانی نبود

از برای زن ، بمیدان فراخ زندگی
سرنوشت و قسمتی ، جز تنگ میدانی نبود

نور دانش را ز چشم زن نهان میداشتند
این ندانستن ، ز پستی و گرانجانی نبود

زن کجا بافنده میشد ، بی نخ و دودک هنر
خرمن و حاصل نبود ، آنجا که دهقانی نبود

۱۰ - میوه‌های دکه^۴ دانش فراوان بود ، لیک
بهر زن هرگز نصیبی زین فراوانی نبود

در قفس می آرمید و در قفس میداد جان
در گلستان ، نام ازین مرغ گلستانی نبود

.

بهر زن ، تقلید تیه فتنه و چاه بلاست
زیرك آنزن کو رهش این راه ظامانی نبود

آب ورننگ از علم میبایست ، شرط برتری
بازمرد یاره و لعل بدخشانی نبود

جلوه^۵ صد پرنیان ، چون يك قبای ساده نیست
عزت از شایستگی بود ، از هوسرانی نبود

۱۵ - ارزش پوشنده ، کفش و جامه را ارزنده کرد
قدر و پستی ، با گرانی و به ارزانی نبود

سادگی و پاکی و پرهیز ، يك يك گوهرند
گوهر تابنده ، تنها گوهر کانی نبود

از زر و زیور چه سود آنجا که نادان است زن
زیور و زر ، پرده پوش عیب نادانی نبود

عیبها را جامه^۶ پرهیز پوشانده است و بس
جامه^۷ عجب وهوی بهتر ز عریانی نبود

زن ، سبکساری نبیند تا گرانسنگ است و پاك
پاك را آسیبی از آلوده دامانی نبود

۲۰- زن چو گنجور است وعفت گنج وحرص وآز، دزد
 وای اگر آگه ز آئین نگهبانی نبود
 اهرمن بر سفره^۱ تقوی نمیشد میهمان
 زانکه میدانست کآنجا جای مهمانی نبود
 پا براه راست باید داشت، کاندرا راه کج
 توشه‌ای ورهنوردی، جز پشیمانی نبود
 چشم ودل را پرده میبایست، اما از عفاف
 چادر پوشیده، بنیاد مسلمانی نبود^(۱)

★ ★ ★

وترجمتها :

المراة في ايران

- كأن المرأة في إيران قبل هذا لم تكن إيرانية ، إذ لم يكن لها من نصيب سوى سوء الحظ والاضطراب .
- لقد كانت حياتها وكذا مماتها تتمان في ركن من العزلة ، فماذا كانت المرأة في تلك الأيام إن لم تكن أميرة سبجينة ؟
- لم يقض شخص قط - مثلما فعلت المرأة - قروناً عديدة في ظلمة ونسيان ، ولم يُقدّم لإنسان مطلقاً - كما قُدمت المرأة - قرباناً في معبد النفاق !
- لم تعط المرأة حق الشهادة في محكمة الإنصاف والعدل ، كما لم تكن المرأة تلميذه في مدرسة الفضيلة .

۱ - دیوان بروین اعتصامی ، الطبعة الخامسة ، ص ۱۵۳ - ۱۵۴ .

- ٥ - ظلت صبيحات المرأة بالمساواة دهر مديداً بلا إجابة على الرغم من وضوح هذا الظلم وعدم اختفائه .
- ما أكثر من ارتدوا ثياب الحراسة والرعاية ، ولكنهم كانوا جميعاً ذئاباً مفترسة وليسوا حراساً .
- لم يكن للمرأة من نصيب بميدان الحياة الرحب الواسع ، غير مكان غاية في الضيق .
- لقد أخفي نور العلم بعيداً عن عيني المرأة ، لذا لم يكن هذا الجهل وليد الخسة أو الرفعة .
- أتني للمرأة أن تنسج رداء الفضل دون أن تعطى المغزل والخيط ، فحيثما انعدم المزارع انعدم الحصاد !
- ١٠ - روضة العلم ثمارها متعددة وفيرة ، ولكن لم يكن للمرأة أي نصيب من هذا التعدد وتلك الكثرة .
- لقد كانت تولد في قفس ، كما تودع الحياة في قفس ، ولم يكن لطائر البستان هذا من ذكر داخل البستان مطلقاً !
-
- كان التقليد تيه الفتنة وبئر البلاء بالنسبة للمرأة ، وأين المرأة التي لم يكن هذا الطريق المظلم طريقها ؟
- يجب أن يكون شرط الرفعة ؛ التزين بالعلم ، لا بعقد الزمرد والياقوت البدخشاني .
- إن بريق مائة ثياب حريرية ؛ لا تتساوى مع بساطة ثياب واحدة خشنة ، ولكن السمو وليد اللياقة ، لا الجنون والاندفاع .

- ١٥ - قيمة الإنسان تخلع على ما يرثديه القيمة والتقدير ، وليسـت القيمة أو الخسة وليدتي الغلاء أو الرخص !
- البساطة والطهر والعفاف كلها جواهر قيمة ، إذ ليس الجواهر الـبراق هو المستخرج من المنجم وحده !
- ما فائدة الذهب والزينة إن كانت المرأة جاهلة ، فالزينة والذهب لا تخفيان عيب الجاهل .
- رداء العفة سائر لكل العيوب ، أما رداء العجب فليس أفضل من العري .
- لن ترى المرأة المهانة والذلة ما دامت طاهرة مبجلة ، فالطاهرة لن يصيبها بالمضرة أي دنس يلـم بأطراف ثوبها !
- ٢٠ - المرأة كصاحبة كـثر ، وكـثرها العفة ، أما لصـها فهو الخرص والطمع ، والويل لها إن جهات قانون الحراسة .
- ليس للشيطان أن يكون ضعيفاً على مائدة التقوى ، إذ يعرف أن لا مكان لضعافته على هذه المائدة .
- لا بد من السير في الطريق الدوي ، إذ لا حصاد للسير في الطريق المعوج غير الخجل والندم !
- كم يلزمنـا حجاب أمام العين والقلب ، ولكن من العفة . وما كان أساس أي مسلمة عبادة بالية !

★ ★ ★

كانت بروين اعتصامي موفقة في التعبير عن فرحتها بصـدور هذا القانون ، لقد عبرت عن ابتهاجها بالقرار ، وأسفها على ما أصاب المرأة الإيرانية قبل ذلك من إهمال وإجحاف

وظلم ، وحرمان من التعليم ومشاركة الرجل في الحياة بنعيمها وشقاؤها. ولكن على الرغم من هذه الفرحة الغامرة لم تنس أن تبصر بنسب جنسها بالتمسك بالأخلاق والفضيلة ، والتحلي بالعلم والعفة ، وضرورة السير بعيداً عن أي طريق معوج ، وأن يحافظن على طهرهن مهما كانت مغريات الحياة ، وهذا هو الدور الذي يجب أن تؤديه كل مصلحة اجتماعية ، وأن تنظر إلى أن كل دعوة للمساواة يجب أن تتضمن الحديث عن واجبات ، قبل أن تكون للمطالبة بحقوق فقط .



واصلت المرأة الإيرانية بعد قانون « رفع الحجاب » مسيرتها ، إذ لم تمض شهور على إصدار هذا القانون ، حتى قامت وزارة المعارف الإيرانية بإنشاء الجمعية النسائية (كانون بانوان) التي انتشرت فروعها في كل الأقاليم الإيرانية ، وقد تولت هذه الجمعية الدفاع عن مطالب المرأة الإيرانية ، حتى منحت المرأة في إيران حق التصويت في الانتخابات العامة ، ثم عضوية المجالس البلدية ، ثم حتى الترشيح لمجلسي النواب والشيوخ بعد ذلك .

وهكذا وجدت الدعوة إلى تحرير المرأة ونخروجها إلى الحياة العامة صداها وأثرها في توفير حياة اجتماعية أفضل للمرأة الإيرانية ، ولكل أفراد المجتمع الإيراني الذي لا غنى له عن دور المرأة وجهودها .

البَابُ الثَالِثُ

من القضايا الأدبية

الفَصْلُ الأوَّلُ

هل خلا الأدب الحديث من المنظومات الشعرية ؟

الفصل الأول

هل خلا الأدب الحديث من المنظومات الشعرية ؟

تقديم :

عندما يسمع أي مهتم بالآداب العالمية مصطلح « الأدب الفارسي » ؛ فسيتبادر إلى ذهنه على الفور تلك المنظومات الشعرية التي خلدت أصحابها ، وفتحت الطريق أمام الأدب الفارسي كي يحتل مكانه اللائق به بين الآداب العالمية الراقية . ومن المعروف أن الفرس نظموا العديد من هذه المنظومات والتي يعجز أي دارس للأدب الفارسي عن إحصاء عددها ، لأن معظم الشعراء الإيرانيين - إن لم يكن كلهم - عبر عصور الأدب الفارسي المتعاقبة ، قد خلفوا لنا منظومات شعرية تشهد على قريحة متقدمة وفكر ثاقب وخيال واسع رحب ، وقد تنوعت الأغراض التي أنشدت فيها هذه المنظومات ، حيث جاء بعضها في الحماسة كشاهنامه الفردوسي والتي يزيد عدد أبياتها على الستين ألف بيت ، وجاء بعضها الآخر في الغزل ويكفيها في هذا الصدد أن نشير إلى منظومات شاعر الرومانتيكية الأول نظامي الكنجوي ، حيث خلف لنا خمس منظومات بل خمسة كنوز كما يحلو للفرس وللجميع أن يسموها ، ويزيد عدد أبياتها على الخمسة والعشرين ألف بيت ، وأهم هذه الكنوز ، منظومتا ليلي والمجنون ، وخسرو وشيرين . كما نظم بعض الشعراء منظومات صوفية خالدة ، ونذكر على سبيل

الإستشاد منظومات فريد الدين العطار ، والتي يدّعي البعض بأنها تزيد على المائة منظومة وأهمها منطق الطير وإلهي نامه ومصبيت نامه ... إلى غير ذلك من المنظومات الفارسية التي أعطت الأدب الفارسي ما يتمتع به من شهرة وسمو وتقدير .

إذا كان هذا هو الحال خلال عصور الأدب الفارسي السابقة ، فهل حفل الأدب الحديث بمنظومات شعرية كذلك التي بقيت خالدة عن العصور السابقة ؟ وإذا كان الأدب الفارسي الحديث قد حفل بمنظومات شعرية ، فهل جاءت طويلة كما كانت المنظومات السابقة ؟ وأخيراً لمّ لمّ تنفّز هذه المنظومات الحديثة بما فازت به المنظومات السابقة من شهرة واهتمام ؟

للإجابة عن السؤال الأول نقرر أن الأدب الفارسي الحديث ، قد حظي خلال النصف الأول من القرن العشرين بعدد ليس بالكبير من المنظومات الشعرية ، أذكر منها على سبيل المثال :

منظومة « قيصر نامه » نظم الشاعر أديب بيشاوري ، وقد نظمها خلال الحرب العالمية الأولى ، حيث آلمه ما حل بإيران من خراب ودمار على أيدي جنود كل من روسيا وبريطانيا ، فنظم هذه المنظومة كي يعبر عن سخطه على الحرب وويلاتها ، وعلى المعتدين الذين استباحوا الحرمات في إيران .

منظومة « كارنامه زندان » نظم الشاعر محمد تقي بهار ، وقد نظمها عندما اعتقله رجال رضا شاه ، وفيها تحدث عن كيفية اعتقاله ، ثم كيف عومل في المعتقلات التي تقلب بينها ، وما حدث بعد الإفراج عنه ، حتى سمح له أخيراً بالعودة إلى داره مرة أخرى .

منظومات الشاعر لإبرج ميرزا ، وأهمها عارف نامه التي هاجم فيها الشاعر عارف القزويني ، لأنه أكثر من التناول والهجوم على البيت القاجاري الذي يتنسب إليه الشاعر لإبرج ، وكذلك منظومة « زهرة ومنوچهر » والتي نظمها على غرار « فينوس وأدونيس » للشاعر الإنجليزي الكبير ويليام شكسبير .

أما عن طول منظومات العصر الحديث ، فنقرر أنها جاءت أقصر بكثير عما كانت عليه المنظومات في العصور السابقة فقد تراوحت منظومتا لإبرج بين الأربعمئة والخمسمئة بيت فقط ، في حين توقف العدد في منظومة «كارنامه» زندان» للشاعر بهار عند ما يقرب من ألفين وسبعمئة بيت ، ولعل السبب في قصر المنظومات يرجع إلى طبيعة العصر . فلم يعد في مقدور أي شاعر أن يتفرغ تماماً للنظم وقرض الشعر حتى يخرج لنا منظومة في طول شاهنامه الفردوسي التي يزيد عدد أبياتها على الستين ألف بيت ، في حين كان الشاعر في العصور السابقة يتخذ من الشعر حرفة لا يعمل غيرها ، وعلى قدر ما ينظم ، يكون جزاؤه من الهبات والعطايا ، وكلنا يعرف قصة نظم الشاهنامه ، والوعد الذي قطعه السلطان محمود الغزنوي للفردوسي بأن يهبه ديناراً عن كل بيت ، وبالتالي حرص الفردوسي على الإطالة حتى تزيد عدد الدنانير التي سيحظى بها في النهاية . أما الشاعر في العصر الحديث فهو ينظم ليعبر عن ذاته أولاً ، وليمنع نفسه قبل أن يتمتع قراءه ومستمعيه ، وعلى هذا وجد من الحكمة ألا يطيل حتى لا يكون مملاً ، وحتى إذا أراد أن يسهب ، فلن يجد التفرغ الكامل لنظم هذه الآلاف العديدة من الأبيات !

وسبب آخر يقف وراء طول المنظومات السابقة وقصر المنظومات

الحديثة ، وهذا السبب يتمثل في طريقة النظم ، فقد كان الشعراء في العصور الماضية يخرجون بعيداً عن جوهر المنظومة بأن يكتبوا لها مقدمات طويلة تضم الحمد والثناء ونعت الرسول الكريم ومدح الخلفاء الأربعة ، ثم ذكر الممدوح الذي ستقدم إليه المنظومة ، ومحاولة التقرب منه أملاً في عطاء كبير ونوال عظيم ، ثم يسردون بعض الحكايات أثناء سرد القصة الأساسية ، فكان الشاعر ينهي حكاية ليدخل في حكاية ثانية وثالثة ورابعة وهكذا ، بعد ذلك يعود إلى القصة الأصلية وينظم بعض أحداثها ، ثم يعود إلى نظم الحكايات من جديد وهكذا (١) أما أهم المنظومات في العصر الحديث ، فقد أسقطت من حسابها تلك المقدمات المطولة ، كما أسقطت أيضاً تلك الحكايات التي كانت تتخلل الأحداث وتباعد بين القارئ وبين تتبع القصة الأساسية . وعلى هذا النمط الجديد نظم الشاعر إبرج ميرزا منظوماته ، حيث جاءت « عارف نامه » وزهره ومنوچهر بعيدتين عن أي مقدمات ، وخاليتين من أي حكايات تقطع أحداث المنظومة ، وتخرج بها إلى أحداث جانبية .

وعلى الرغم من نظم بهار المنظومته « كار نامه » زندان » على ذلك النمط القديم ، إلا أنه بتأثير من المعاصرة لم يسهب كثيراً في المقدمة حيث بلغت مائة بيت فقط ، في حين كانت مقدمات بعض المنظومات السابقة تزيد على الخمسمائة أو الستمائة بيت ، كما أنه لم يكثر من الاستطراد وسرد الحكايات أثناء عرض القصة الأساسية في المنظومة . ولهذا جاءت منظومته في حوالي ألفين وسبعمائة بيت ، وهو

١ - لمعرفة طريقة تأليف هذه المنظومات يمكن الرجوع الى الترجمة العربية للشاهنامه والتي ترجمها باختصار البنداري ، ونشرها الدكتور عزام ، وكذلك الترجمة العربية لمنطق الطير ، نظم فريد الدين العطار ، وترجمة مؤلف هذا الكتاب .

عدد قليل إذا ما قيس بطول المنظومات التي نظمها نظامي الكنجسوي والعتار وجلال الدين الرومي وجامي ، ناهيك عما نظمه الفردوسي في الشاهنامة .

أما عن السؤال الثالث والمتعلق بعدم تمتع المنظومات الحديثة بنفس التقدير والشهرة كما حظيت بذلك المنظومات السابقة . فالإجابة عليه تتعلق بموقف الشعر عامة في العصر الحديث ، وإخلائه المرتبة الأولى للشعر بأنماطه الجديدة المختلفة ، فلو نظرنا إلى الأدب العربي أو الأدب الإنجليزي وكذلك الأدب الفارسي ، فإننا سنجد الاهتمام قد انصب بالدرجة الأولى حول الإنتاج النثري من قصة وأقصوصة ومسرحية ومقالة وتحقيق ، وأخيراً يأتي دور الشعر . وعلى هذا جاء الاهتمام بهذه المنظومات الشعرية الحديثة أقل من أن يعطيها فرصة الذبوع والانتشار ، وبالتالي إحراز التقدير الذي كانت تفوز به أترابها في الأزمنة الماضية .



بعد هذه المقدمة ، يجمل بنا أن نعرض بإيجاز لمنظومتين إحداهما تمثل النمط القديم ، وهي « كارنامه زندان » للملك الشعراء محمد تقوي بهار ، والثانية تمثل النمط الحديث وهي « زهره ومنوچهر » للشاعر أمير ميرزا ، وقد فضلت الحديث عنهما - دون غيرهما من المنظومات - لأنهما إلى جانب الاختلاف في النمط ، تعبران تعبيراً صادقاً عن روح العصر، فمنظومة بهار تمثل كيف كانت تحكم إيران، وما كان يتعرض له الأدباء من سجن واعتقال وتشريد إذا وقفوا موقف المعارضة من الحاكم في ذلك الوقت ، بينما تمثل منظومة أميرج كيف تأثر الأدب الإيراني الحديث بالآداب الأوروبية ، فنقل عنها واقتبس منها ، كما أن

المنظومتين من نظم أكبر شاعرين عاشا ونظما خلال النصف الأول من القرن العشرين ، وعلى هذا يكون إنتاجهما صورة صادقة لما كان عليه الشعر خلال الفترة التي ندرسها .

منظومة هـ كارنامه زندان^(١)

نظم ملك الشعراء محمد تقي بهار

كثيراً ما كانت تحدث خلافات بين رضا شاه وبين المثقفين ، وكانت النتيجة إلقاء القبض على عدد من هؤلاء المثقفين والزج بهم في السجون والمعتقلات دون محاكمة ، أو إبعاد البعض منهم عن العاصمة طهران ، حتى يضعف دورهم التأثيري في جماهير العاصمة ، وإذا كانوا صحفيين أو كتاباً ، صادر صحفيهم ومنعهم من الكتابة^(٢) وقد حدث كل هذا مع الشاعر محمد تقي بهار إذ فوجيء في فجر أول يوم من العام الإيراني ١٣١٢ ش (الموافق ٢١ من مارس ١٩٣٣) - وهو يوم عيد كبير لدى الإيرانيين يعرف باسم النوروز - بقوات الأمن تقتحم منزله ، وتعتقله بأمر من مدير الأمن « محمد درگاهي » الذي كان بمثابة المساعد الأيمن لرضا شاه في التكنيل بكل منائيه والمعارضين على سياسته . ثم سيق بهار إلى الاعتقال حيث قضى فيه

١ - كانت هذه المنظومة موضوع رسالة ماجستير تقدمت بها الزميلة « رملة محمود غانم » الى كلية الآداب جامعة عين شمس ، وما زالت رسالتها تحت الطبع بمكتبة الكلية المذكورة ، وبمكتبة جامعة عين شمس ، وقصد ترجمت عنوان المنظومة باسم « خواطر سجين » ، وأرجو أن توفق الباحثة في نشرها حتى تتحقق الفائدة من هذا البحث .

٢ - عبد الحميد عرفاني : أحوال وأثار ملك الشعراء بهار ، ص ٣٠-٣١

خمسة شهور وبعدها أخل سبيله على أن يبعد عن العاصمة طهران وتحددت إقامته بمدينة أصفهان ، فعاش هناك منفياً قرابة العامين إلى أن وافق رضا شاه بعد ذلك على السماح له بالعودة إلى داره في طهران ، فكانت عودته لها في خلال منتصف عام ١٩٣٥ م .

وقد بدأ بهار في نظم هذه المنظومة في المعتقل حيث حرص على أن يصور الظروف التي اعتقل فيها وكيف نقل إلى المعتقل ، والطريقة التي عومل بها ومن التقى بهم داخل المعتقل ، ثم شرح لنا كيف قضى فترة النفي في أصفهان ، وأخيراً الظروف التي عاد فيها إلى داره في طهران^(١) . ولأنه بدأها في داخل السجن فقد أطلق عليها اسم « كارنامه زندان » أي : سجل السجن .

ولإيمان الشاعر بهار بالمكانة الكبيرة التي حظي بها الشعر الفارسي عبر العصور السالفة ، فقد حرص على أن تكون منظومته هذه تقليداً للمنظومات المشهورة السابقة وذلك في طريقة إخراجها ، حيث جعلها في عشر مقالات ، خصص المقتلئين الأولى والثانية بالمقدمة ، ثم عرض القصة في باقي المقالات ، وكان يورد بعد كل مقالة بعض الحكايات وأخيراً تأتي الخاتمة . ولم يكتف بهذا التأثير وحده ، بل إنه اختار عنوان المنظومة على غرار منظومة قديمة للشاعر « سنائي الغزنوي » عنوانها « كارنامه بلخ » أي « سجل بلخ » والتي ألفها في حدود عام ٥٠٨ هـ ، عندما عاش فترة بمدينة بلخ بخراسان ، وهي تتقلب بسين مدح للسلطان ورجال البلاط وهجاء لأعداء السلطان ، كما ورد فيها ذكر لبعض الشعراء . وقد جعلها الشاعر سجلاً لكل ما مر به بمدينة بلخ دون

١ - انظر تقديم المنظومة ص : ٢٠ من الجزء الثاني من ديوان ملك الشعراء بهار .

أن تكون ذات موضوع واحد بعينه ^(١) ، وقد اعترف بهار بأنه نظم
هذه المنظومة تحت تأثير إعجابه بسنائي ، فقد قص علينا قصة حلم
رأى فيه سنائي وحادثه ، وبعد انتهاء روايته للحلم قال :

چونکه یادم ز خواب خویش آمد
در سخن رهبریم پیش آمد
گفتم ایدون بود گزارش خواب
که ز تهران برون شوم بشتاب
پس برابر شوم « سنائی » را
نو کنم کهنه آشنائی را
یاری از استاد کل یابم
مدد از هادی سبل یابم

۵ - پس بهنجار آن بزرگ حکیم
اوستاد سخنوران قدیم
کردم این کارنامه را آغاز
تا کی بسر حدیث دراز

١ - انظر ، لغت نامه ، وذبیح الله صفا : تاریخ ادبیات ایران ج ٢
ص ٥٦٣ طهران ١٣٤٧ ش ، وقد طبعت المنظومة لأول مرة عام ١٣٣٤ هـ .
ش ، وذلك بإشراف وتصحيح آقای مدرسی رضوی مع مقدمة تعرف بها ،
ونشرها ضمن المجلد السادس من الدفتر الرابع من « فرهنگ ایران زمین »
ويقال ان هذه المنظومة تضم حوالي خمسمائة بيت من الشعر ، ولعلها أول
منظومة ينظمها سنائي الغزنوي ثم أعقبها بحديقة الحقيقة أشهر منظوماته ،
ثم بكتابه مرصاد العاد . وقد ذكر البعض بأن منظومة كار نامه زندان تعرف
أحيانا باسم « مطاييه نامه » وذلك لأنها تضمنت الكثير من الطرف والمداعبات
الشعرية التي حدثت بين الشاعر ومن التقى بهم في مدينة بلخ .

طیبتی شاعرانه سر کردم
ترش و شیرین بیکدیگر کردم
جد و هزلی بیکدیگر یارست
گر نه نیک است باب بازار است
نه هنر تیزی و سخنرانیست
که خیالات مرد زندانی است

۱۰ - جای فریاد و استغاثه و آه
فکر آشفته را گشادم راه
نام او « کارنامه زندان »
مایه عبرت خردمندان (۱)

وترجمتها :

- عندما ثبت إلى رشدي بعد النوم ، بدأت أسترجع حديث مرشدي وملهمي .
- فقلت : هكذا يكون تفسير الحلم وال المنام ، وهو الإسراع بمغادرة طهران .
- ولكي أكون جديراً بستانّي ، وأعيد الحياة من جديد إلى المعارف القديمة ،
- فقد طلبت العون من أستاذ الجميع ، وسألت المدد من هادي السبل .

۱ - دیوان ملك الشعراء بهار ، ج ۲ ، ص : ۳۱

هـ - وأخيراً ، وبترسم خطي هذا الحكيم العظيم أستاذ المتكلمين في العصر القديم ،

- بدأت العمل في هذا السجل ، فإلام سيطول هذا الحديث ؟

- وكم حرصت على أن يكون كلاماً طيباً ممتعاً ، ولكن اختلط فيه الغث بالسمين .

- وهكذا امتزج فيه الجلد والهزل معاً ، فإن لم يكن موفقاً ، فلتعتبره حديثاً سوقياً !

- إنه ليس حديثاً لإثبات فضل ، كما أنه ليس محاضرة ، بل مجرد خواطر رجل سجين ! ^(١)

١٠ - إنه حديث آهة واستغاثة ، وتعبيراً منطلقاً عما أكابده من فكر مضطرب

- لذا أسميته « سجل السجن » ليكون عبرة للعقلاء وذوي الإدراك .



والآن يجمل بنا أن نورد عرضاً عاماً للمنظومة ؛ لتعرف على أهم أفكارها ، وكيفية نظمها ، ومدى تأثيره بأسلوب الأقلمين وتمسكه به ..

١ - لهذا اثرت الزميلة رمة محمود بنانم في رسالتها للماجستير ترجمة عنوان المنظومة باسم « خواطر سجين » .

عرض عام للمنظومة :

بدأ الشاعر منظومته بالابتهاال إلى الله عز وجل ، وبيان عظمتة في مقابل الحديث عن نقص الإدراك لدى البشر وعجزهم ، وكأنه يقول لمن اعتقاه إن الله أكبر منكم جميعاً ، وهو كضيل بأن يقتصر منكم ، ويرد للمظلومين حقوقهم السلية ، ويبدو تعلق بهار بالقديم حيث يعتبر أن الصوفية في الزمن القديم هم الذين عرفوا الله حق المعرفة في حين يتخبط الجميع في الزمن الحاضر في عبادتهم ، ولا يعرفون كيف يولون الله حق العبودية له .

ثم ينتقل في المقالة الثانية للحديث عن خلق الدنيا ، وما يكتنف هذا الخلق من بيان قدرة الله عز وجل . وأن الله خلق الدنيا لكي يعمل الجميع ، ويقيدوا جميعاً من خيراتها دون ظلم أو استبداد . لذا يدعو إلى المودة والتراحم بين البشر جميعاً . ولا شك أن هذه الدعوة نابعة من قلب سجين تعرض للتعذيب والإرهاب ، لذا فإنه يخاطب أبناء البشر بأن يتخلوا عن هذه المظالم وذلك التعسف ، ولتكن العلاقة بينهم علاقات إنسانية عمادها المودة والتعاطف والمحبة . وبعد المقالة الثانية يعقبها بحديث عن المخدرات والخمور وضرورة التخلي عنهما حفاظاً على الصحة والعقول والأموال .

ومع بداية المقالة الثالثة يبدأ الشاعر في نظم قصة الاعتقال فيحدث في هذه المقالة عن سبب نظم الكتاب ، وهو في نفس الوقت حديث عن ظروف اعتقاله ، ومما قاله :

اول صبح و آخر اسفند
شد صدای در مرای بلند
بی اجازت ورود فرمودند
(این چه حرفست ؟) میهمان بودند !

من در افتاده سخت در بستر
مبتلای زکام و درد گمر
شب نوروز و کیسه خالی
خرج بسیار و همت عالی

۵ - بچه‌ها نلخت و نلخت کلفت‌ها
باغبان نلخت و بیشخدمت‌ها
همسر من اگر سکوت کند
اکتفا با کهن رخوت کند
نه اجازت که شغلی آغازم
نه کترین مملکت برون سازم
تا نپوسم بکنج خانه خموش
شده ام کاسپی کتاب فروش
لیک خواهد خدایگان زمین
تا شوم بی‌نشان و خانه‌نشین

۱۰ - لیك غافل که گردن احرار
در نیاید بچنبر اشرار
زین تکان‌ها ز جانخواهم رفت
زیر بار « رضا » نخواهم رفت
گر فروشم کتاب در بازار
به که خوانم قصیده در دربار
بعد معلوم شد که این حضرات
هر سه هستند عضو تأمینات

بسکه بودم ز وضع خویش نفور
زین خبر شاد گشتم و مسرور

۱۵ - لیک حال ز من دگر گون شد
چشمش از سوز گریه پر خون شد

کودکان دور بنده جمع شدند
همچو پروانه گرد شمع شدند

بسوی باغ رفتم از تالار
گفتم اینک منم ، چه باشد کار ؟

گفت تفتیشکی کنم اینجا
تا چه باشد نوشته های شما

هر چه انبار بود کاویدند
هر چه اشکاف بود گردیدند

۲۰ - جزوه های مفصل طبری
شده آراسته ز کارگری

شد پریشان زفرط افزونی
نصف در کیسه نصف در گونی

پس از آن گشت نوبت بنده
گفت آن مرد لنگ باخته

دو دقیقه است نیست طولانی
چه شود گر قدم برنجانی

که به بخشید با شما باری
در اداره است مختصر کاری (۱)

وترجمتها :

— في فجر آخر يوم من أيام اسفند^(۲) ، اشتد الطرق على باب الدار .
— وفجأة وبدون إذن دخلوا فارضين ضيافتهم ، فأني تصرف هذا ؟
— لقد كنت طريح الفراش مريضاً ببرد شديد وآلام في الظهر .
— كانت الليلة ليلة النيروز ، ولكنني خالي الوفاض ، وكم كنت
ذاهمة ولكن الإنفاق باهظ !

هـ — لذا كان الأطفال في عري وكذلك الخدم ، ولم يتخلف عمن
ذلك البستاني .

— وإذا كانت زوجتي قد لاذت بالصمت ، فلأنها اكتفت برتق
القديم من الرداء .

— لم يكن يُسمح لي بمزاولة أي عمل ، كما لم تكن تُتاح لي فرصة
للخروج من المملكة .

— وحتى لا أهلك وأنا قعيد الدار بلا عمل ؛ عملت على كسب قوتي
من بيع الكتب .

۱ — ديوان ملك الشعراء بهار ، ج ۲ ، ص : ۷ - ۱۱ .

۲ — آخر شهر من شهور السنة الايرانية ، وآخر يوم فيه يوافق ليلة
عيد النيروز الذي يوافق الحادي والعشرين من شهر مارس (آذار) من كل
عام .

— ولكن السادة في الأرض رغبوا في أن أظل عديم الحركة قابلاً في داري .

١٠ — ولكنهم غفلوا أن الأحرار ، لا يمكن أن يدوروا في فلك الأشرار .

— وأنني لن أحيّد عن مواقفي الثائرة ، ولن أَرْضِخ مطلقاً لربقة « رضا » .

— ومن الأفضل لي أن أبيع الكتب في الأسواق ، من أن أنشد قصيدة في البلاط !

— بعد ذلك عرفت أن هؤلاء السادة الثلاثة أعضاء من جهاز المخابرات.

— لقد كنت في ضيق شديد مما ترددت فيه أحوالي ، لذا عميت السرور من هذا الخبر .

١٥ — ولكن الأمر كان جَد مختلف بالنسبة لزوجتي ، إذ سرعان ما التهبت عيناها من حرقه البكاء .

وتخلق الأطفال من حولي ، وكأنهم فراشات تدور هائمة حول شمعة !

— وأخيراً ، توجهت من الطابق العلوي صوب الحديقة ، وقلت : ها أنذا ، ما الخبر ؟

— قال رئيسهم ^(١) مجرد تفتيش بسيط للمكان ، حتى نرى علام تكون كتاباتكم ..

١٠ — وكان يدعى « فخرائي » ، وهو عضو في إدارة المخابرات أثناء حكم رضا شاه . والساعد الايمن لرئيس الجهاز محمد دركاهي .

— لقد بحثوا في كل خزانة ، وقلبوا في كل صندوق .

٢٠ — حتى أن أجزاء تفسير الطبري التي أحسن تزيينها وزخرفتها ،

— قد بعثوها من فرط سرعتهم ، وألقوا بنصفها في جوال (١) ،
والنصف الآخر في المرحاض !

— بعد ذلك جاءني الدور ، حيث قال لي ذلك الرجل الأعرج ساخرأ

— دقيقتن فقط وليس أكثر من ذلك (٢) ، وماذا يحدث لو أتعبت
قدميك معنا بعض الوقت !

— إنهم يريدونك في الإدارة لعمل يسير !

★ ★ ★

بعد ذلك يصف الشاعر بهار كيف عومل بإهمال في إدارة
المخابرات ، وترك ساعة أو ساعتين دون أن يسأله أحد أي سؤال ، أو
يخبره بسبب إحضاره ، وكانوا يريدون بذلك تحطيم معنوياته قبل
استجوابه ، وبعد ذلك سيق لاستجواب سريع لم يستغرق كثيراً ، ثم
دفع به إلى المعتقل رقم « ٢ » وقد وصفه ، فقال :

پس ره نمره دو پیمودم

زانکه خود راه را بلد بودم

١ — كانوا قد أحضروا معهم عدة أجولة لكي يأخذوا معهم كل ما
يجدونه من كتب ومسودات ، لتنتقل إلى إدارة المخابرات لفحصها ، ولعرفة
هل ضمنها بهار هجوماً على رضا شاه وحكومته ، أم لا .

٢ — أي أننا نريدك في إدارة المخابرات لسؤال لمن يستغرق أكثر من
دقيقتين ثم تعود إلى دارك ، وإذا بالدقيقتين تمتدان إلى عامين ما بين اعتقال
ونفي ، حيث لم يسمح له بالعودة إلى داره إلا بعد عامين وشهرين .

ایستادم به پیش آن درگاه
چه دری ، لا إله إلا الله !
دخمه‌ئی تنگت و سوبسوی و نمور
واندر آن دخمه چند زنده بگور
هر یکی در کریچه‌ئی دلتنگت
بسته بر رویشان دری چون سنگت

۵ - داشت دهلیزی و بر آن دهلیز
بود بسته دری ز آهن نیز
بدرون رفتم از همان در ، من
که بُدم رفته باد دیگر ، من
پس نگه کردم اندر آن دالان
دیدم آنجا گروهی از یاران
هر يك استاده گوشه‌ای خسته
چند تن در برویشان بسته
شده هر يك بدیگری مأنوس
پنج شش سال هر یکی محبوس

۱۰ - چون شود مرد لشکری قاضی
شود انسان ز قاضیان راضی
کلبهٔ عهد پیش را دیدم
خوردم آنجا ناهار و خوابیدم
عرض و طولش چو تنگنای عدم
سه قدم طول بود در دو قدم

بهتر از زنده در چنین مرقد
آنکه مرده است و خفته زیر لحد (۱)

وترجمتها :

- ثم سيق بي نحو المعتقل رقم (إثنين) ، والذي أعرف الطريق إليه معرفة جيدة .
- ووقفت أمام باب هذا « البلاط » وأي باب هذا ، أستجير منه بالله وحده .
- سراديبه ضيقة وملتوية وكلها رطوبية ، ويعيش في هذه السراديب أعداد وفيرة من الأحياء ، وكأنهم من أهل القبور .
- كل منهم نزيل زنزانة ضيقة ، وقد أغلق عليهم باب ثقيل كالصخر .
- هـ - للمعتقل دهليز ، وعلى بداية الدهليز ، باب مغلق مصنوع من الفولاذ .
- فدخلت من نفس الباب الذي كنت قد خرجت منه في المرة السابقة (۲) .
- ثم نظرت داخل هذا الدهليز الضيق ، فرأيت مجموعة من أصدقائي .
- وقد وقف كل منهم متزويجاً في ركن وقد ألم به الوهن ، كما وقف بعضهم وقد غلقت الأبواب دونهم .

١ - ديوان ملك الشعراء بهار ، ج ٢ ، ص ١٢ ، ١٣

٢ - من المعروف أن بهار اعتقل مرتين قبل هذه المرة ، أي أن هذا الاعتقال كان الثالث منذ تولي رضا شاه الحكم عام ١٩٢٦ م .

— لقد أصبح كل منهم يأتس بوجود الآخرين ، حيث قضى كل واحد منهم في الحبس ما بين خمس أو ست سنين .

١٠ — إن يصبح رجل الجيش قاضياً ، فهل يمكن للإنسان أن يكون عن هذا القاضي راضياً ؟

— لقد رأيت هذه الزنازة من قبل ، فكم أكلت فيها ، وكذا نمت .

— أما عن مساحتها فضيقة كضيق العدم ، إذ أن طولها ثلاثة أقدام وعرضها قدمان !

— إن الميت الذي يرقد تحت الثرى أفضل من الحي الذي يقبع داخل هذه الزنازة !

ثم نُقل بهار إلى المعتقل رقم « واحد » وهو مكان أسوأ حالا من المعتقل رقم (إثنين) ، وهناك التقى بجماعة من رفاقه الأحرار الذين ألقى بهم النظام داخل ظلمات المعتقل ، لعدم تملقهم الشاه وموافقته في كل خطوة يخطوها ، وتهنئته على كل عمل يقدم عليه . ثم تطرق الشاعر بعد ذلك للحديث عن سبب بناء هذا المعتقل ، وذكر أنه بني أساساً للمجرمين الخارجين على القانون ، لكنه لا يضم في عهد رضا شاه غير الأحرار المناضلين ، ومع هذا فهم يعاملون معاملة لا تليق بالمجرمين ، بل إنها لا تتفق والحيوانات .

ثم يخرج الشاعر عن سياق الأحداث داخل المعتقل ، ويتذكر الليلة التي دبرت لمحاولة اغتياله بعد وقوفه في المجلس النيابي معترضاً على الدعوة إلى تغيير الحاكم وإسقاط حكم الدولة القاجارية ، وإسناد العرش لقائد الجيش رضا خان ، ولكن المتربصين لاغتياله

أخطوه وقتلوا شخصاً آخر اسمه « واعظ القزويني » لوجود شبه بينه وبين الشاعر ... (١)

ويستطرد الشاعر بعد ذلك فيسرد مجموعة حكايات بعضها أخلاقي يتصل بالمعاني الأخلاقية التي فقدت في هذا العصر وبخاصة لدى الشاه ورجاله ، ومن المعروف أن الخروج بعيداً عن أحداث القصة يمثل النمط القديم لسرد المنظومات الشعرية ، وقد ألزم بهار نفسه بهذا النمط القديم إحياءً له ، واحتراماً لأدب السابقين .

ثم يتحدث الشاعر عن نقله إلى معتقل آخر ملحق بإدارة المخابرات ، فكانت حجرته مطلة على شارع مزدحم يعج بالحركة ، كما كان في مواجهة هذا المعتقل بنك ، وهنا يشير إلى أنهم قد أودعوه ورفاقه المعتقل لكي يحافظوا عليهم ، كما يحافظ الشاه على أمواله بإيداعها البنوك ، وهنا يقابل بين رصيده في المعتقل ورصيد الشاه في البنوك ، فيقول :

بانك من بانك دانش وادبست
بانك او بانك فضه وذهبت
وارث اين بانك را تمام كند
بانك من تا ابد دوام كند
من واو چون رويم ازين مسكن
بانك مائد از او وبانك زمن
بانك من نور وبانك او نار است
نور من نام. ونار او عار است (٢)

١ - سبق الحديث عن هذه القصة خلال الفصل الثالث من الباب الاول .
٢ - ديوان ملك الشعراء بهار ج ٢٢ ، ص ٣١ .

وترجمتها :

- بنكي أساسه العلم والأدب ، أما بنكه فرصيده الفضة والذهب .
- وسرعان ما يُبذّر خليفته بنكه ، أما بنكي فخالد إلى الأبد .
- عندما يودع كلانا هذا العالم ، سيخلف كل منا بنكاً وراءه .
- وسيكون بنكي من نور ، أما بنكه فمن نار ، ونوري عزة ورفعة ، بينما ناره عار وخسة !

وبعد أن يصف الشاعر سجن المخبرات ، وما تكتنفه من صعب وما تحيط به من جلبة وضوضاء ، إذا به يسري عن نفسه بحديث عن ليلة من ليالي الشباب قضها مع امرأة جميلة لعوب ، وبعد أن قضى معها فترة أنس ، استسلما للنوم ، فإذا بشخيرها يمزق أستار الهدوء فلا يغمض له جفن ، وأخيراً يشبه هذا الشخير وما أحدثه من قلق وأرق بتلك الضوضاء التي تحيط بسجن المخبرات .

بعد ذلك يتحدث عن حلم رأى فيه الشاعر سنائي وتحادث معه ، وكان هذا الحلم هو الباعث له ليترسم خطى هذا الشاعر الكبير وينظم « كارنامه زندان » على غرار منظومة سنائي والمعروفة باسم « كارنامه بلخ »



وهكذا كان الشاعر ينتقل من فكرة إلى فكرة ومن خاطر إلى خاطر دون أن يلزم نفسه بالحديث عما حدث له بالسجن من تحقيق أو تعذيب ، وهكذا فعل في باقي مقالات المنظومة ، حيث كان يعرض أحياناً لبعض الأحداث داخل المعتقل في إشارات سريعة . ثم يطوف بفكره وخياله بين أفكار اجتماعية وأخرى أدبية ، فقد تحدث في

المقالة الرابعة عن صفات الأستاذ وعن فوائد العلوم ، كما نتحدث عن بعض المخادعين الذين يحفظون بعض المصطلحات ثم يتشددون بها عن جهالة في المجالس العامة حتى يعتقد الناس بأنهم على قدر كبير من الثقافة والمعرفة . ثم يتذكر بيته في طهران وما تحيط به من حديقة فيحاء ؛ فينخرط في وصفها وما كان يفعل في هذه الحديقة من عناية بالورود ورعاية للنباتات ، إلى غير ذلك من الأحاديث العامة والخاصة . وأخيراً يختم المقالة الرابعة بتوجيه لوم عنيف لحاشية الشاه ومضاليه ، فهو يحملهم نصيبهم من الأخطاء التي ترتكب في حق الوطن والمواطنين ، ومن بين ما قاله :

ایکه نزد شه آبرو داری
 ز چه دست از حیا بروداری
 شرم داری ز شه که گوئی راست
 ايعجب شرم از خدای کجاست ؟
 چون مجال سخن ز شه جوئی
 سخن از دوستان خود گسوئی
 تو بهر جا که پنجه بند کنی
 ناله خلق را بلند کنی
 ه - مرد نالان ونخته محتاج
 چون کند کار و چون گزارد باج
 هر تجارت که سود بیش آورد
 دولت آنرا بچنگ خویش آورد
 هر متاعی که سخت رایج بود
 يك بده بر خراج آن افزود
 خلق کشور همه فقیر و گدا
 همه نالان به پیشگاه خدا

مكاي خداوند قادر ذو المن
ريشه ظلم را ز بيخ بكن^(١)

وترجمتها :

- يا من تحظى بالمكانة لدى الشاه ، لماذا نفضت يدك من الحياء
والخجل ؟
- إن كنت تمنع عن قول الحق خجلا من الشاه ، أفلا تستحي من
الحق تعالى ؟
- وإذا أتيت لك فرصة الحديث مع الشاه ، فإذا بك تشي بأصدقائك !
- وفي كل وقت تشدد من قبضتك وقهرك ، حتى تعالت صيحات
الخلق وتأوهاتهم .
- هـ — كيف يطالب الفقير البائس المكدود بالتفاني في العمل ، ودفع
الضرائب ،
- وقد احتكرت الدولة كل تجارة رائجة تدر ربحاً طائلاً !
- كما أنها تفرض ضرائب إضافية على كل بضاعة رائجة .
- جميع المواطنين فقراء مكدودون ، لذا فهم يلهمجون بالشكوى إلى
الله تعالى .
- ويقولون : يا الله ، يا ذا الجلال والنعم ، لتجث شجرة الظلم
من جذورها !

★ ★ ★

١ — الديوان ، ج ٢ ، ص : ٤٣ ، ٤٤ .

وفي المقالة الخامسة ينتقل إلى حديث عن بعض الآراء الاجتماعية والسياسية ، فقد تحدث عن المرأة ، وآثر الاختلاط ، ثم تحدث عن محمود الغزنوي وعن بعض الحكام الآخرين ، وقد جاءت هذه المقالة أطول المقالات جميعها ، ولم تتضمن من الحديث عن السجن والمعاناة إلا حديثاً سريعاً عندما تكلم عن شهره الخامس خلف الأسوار ، وقد حل الصيف واشتد الحر داخل السجن الضيق والغاص بالعديد من السجناء ، سواء أكانوا سجناء سياسيين أو مجرمين اقترفوا جرائم يعاقب عليها القانون ، فوضع السياسي الحر مع المجرم القاتل دون تفرقة أو تمييز ، ومما قاله :

تیر و مرداد هم به بندہ گشت
مدت حبس من تمام نگشت
شد هوا گرم و گرم شد محبس
نخته گشتند مرغها به قفس
دمدم محبسی به حبس رود
لیک محبس فراختر نشود
حبسگاه موقی تنگ است
همه جا بین حبسیان جنگ است

ه - در اطاقی که پنج شش گز نیست
شصت ونه محبسی نماید زیست
همه عریان ز شدت تب و تاب
گرد هم در تنیده چون گرداب
پیر هفتاد ساله در ناله
همدمش طفل یازده ساله

آن یکی دزد و آندگر جاسوس
 و آندگر ، بار بوده نوکر روس
 آن یکی کرده بازنش دعوا
 آندگر قرض خود نکرده ادا
 ۱۰ - آن یکی هست مفلس ومفلوك
 سند تابعیتش مشکوك (۱)

وترجمتها :

- لقد مر بي كل من « تير » و « مرداد » (۲) ، ولم تنقض بعد فترة اعتقالي وسجني
- اشتد القيظ ، وزاد لهيب السجن ، وكادت الطيور تشوي داخل أقفاسها !
- وفي كل لحظة ، كان يفد علينا سجين جديد ، مع أن السجن شديد الضيق .
- ولضيق هذا السجن المؤقت كانت المشاحنات تثور على الدوام بين المساجين .
- ه - ففي حجرة لا تزيد مساحتها عن خمسة أقدام في ستة ، يتواجد تسعة وستون سجيناً .
- كانوا جميعاً عرايا من شدة القيظ واللهب ، وأخلوا يدورون حول أنفسهم وكأنهم في دوامة !

۱ - الديوان ج ۲ ، ص ۶۷ .

۲ - شهر تير يقابل شهري يونيو ويوليو ، وشهر مرداد يقابل شهري يوليو وأغسطس ، ومن المعروف أن طهران شديدة الحرارة في الصيف حيث تصل درجة الحرارة أحيانا الى ما يزيد على الخمس والأربعين درجة .

— فهذا شيخ في السبعين يئن ويتوجع ، ويجواره يرقد طفل في الحادية عشرة .

— وذاك لص ، وآخر جاسوس ، وثالث كان ذات مرة عبداً للروس !

— وذاك قد أقامت عليه زوجته دعوى ، وآخر لم يسدد ما عليه من ديون .

١٠ — وذاك مفلس معدم ، و « شيكاته » بلا رصيد .

★ ★ ★

وفي بداية المقالة السادسة يتحدث بهار عن إخراجهم من المعتقل ولا أقول إطلاق سراحه ، لأنهم بعد أن أخرجوه ، أرسلوه منفياً إلى مدينة أصفهان ، فقد صدرت أوامر البلاط بنفيه خارج طهران وأن يختار أي مدينة إيرانية لكي يعيش فيها عدا خراسان مسقط رأسه ، فاختار بهار أصفهان لوجود بعض أصدقائه هناك . وبعد وصوله إليها أحسن أصدقائه استقباله ، وساعده في إيجاد مسكن له بأطراف المدينة ، فأرسل في إحضار زوجته وأولاده . ولكن الشرطة كانت تفاجئه في كل وقت للتأكد مما يفعل ، وهل يكتب أشعاراً أو مقالات ضد الملك والحاشية ؟ وهل يلتقي بأشخاص غير مرغوب فيهم من قبل الشاه والحكومة ؟

وأثناء إقامة بهار في أصفهان كان يرسل أصدقائه في العاصمة طهران ، كي يتشفعوا له لدى الشاه حتى يسمح له بالعودة إلى داره ، ويزاول حياته التي حرم منها قرابة العامين ، ومما جاء في توسلاته :

من كه دبرينه نخادم وطنم
پادشاه ممالك سخنم

با اجانب نبوده‌ام دمساز
با اجامر نگشته‌ام همراز
کرده‌ام من بخلق خدمت‌ها
دیده‌ام خواری و مشقتها
بعد سی سال خدمت دایم
چار دوره وکالت دایم

۵ - هست دارائیم کتابی چند
نخانه و باغ و پنج شش فرزندی
نه نماز سوی سفارت بود
نه نیازم سوی وزارت بود
هر چه بودم بشهر ری موجود
رهن شد در بر رحیم جهود
باورت نیست از محله پارس
زان رحیم رحیم دله پارس
با اجازت دهد شه آفاق
که روم من بسوی هند و عراق

۱۰ - یا ازین ابتلا رها کندم
خط آزادگی عطا کندم
تا بکسب معاش پردازم
دفتر و نامه منتشر سازم (۱)

۱ - دیوان بهار ، ج ۲ ، ص ۷۹ ، ۸۰ .

وثرجمتها :

- كم كنت خادماً مخلصاً للوطن منذ عهد قديم ، كما أنني ملك مملكة الشعر والأدب .
- لم أكن رفيقاً أو صديقاً للأجانب ، كما لم أكن حميماً للأشرار .
- لقد أدبت خدمات جليلة للوطن ، ومع هذا رأيت الذلة والمهانة والمحن .
- بعد ثلاثين عاماً من الخدمة والعمل الدعوب ، والفوز بالنيابة في المجلس خلال أربع دورات ،
- ٥ — لا أملك إلا بضعة كتب ومنزلاً وحديقة وخمسة أو ستة أولاد .
- لأنني لم أركع أمام أي سفارة ، كما لم أتقدم بمظلمة أو استجداء إلى أي وزارة !
- لقد رهنـت كل ما أملك بمدينة « الري »^(٢) لدى « رحيم » اليهودي !
- فإن كنت لا تصدق ذلك ، فاسأل في المحلة ، وسل رحيم الرحيم الخسيس !
- فإما أن يسمح لي الشاه بالهجرة صوب الهند أو العراق ،
- ١٠ — وإما أن يحررني من تحمل هذا البلاء ، ويمنحني وثيقة عتقي ،
- حتى أواصل العمل فأكسب قوتي ، وأنشر الكتب وأصدر الصحف والمجلات .^(٣)

★ ★ ★

-
- ١ — الري : الاسم القديم لمدينة طهران ، وما زال القسم الجنوبي القديم من العاصمة الإيرانية يحمل نفس الاسم .
 - ٢ — من المعروف أن بهار أصدر عدة صحف أهمها : « نو بهار » و « دانشكده » .

وفي المقالة السابعة تحدث الشاعر عن السياسة والسياسيين وما يجب عليهم فعله لكي يحسنوا تصريف الأمور ، والشاعر في هذه المقالة يحمي طريقة الأقدمين ، فقد تحدث عن هذه المعاني أو ما يشبهها كل من نظام الملك في كتابه سياست نامه ، وقابوس بن وشمكير في كتابه «قابوسنامه» ، وسعدي الشيرازي في كتابه «الكلستان» ، فقد كان هؤلاء المؤلفون وأمثالهم حريصين على تقديم النصيحة لمن يتصدون للسياسة من حكام ووزراء وحاشية .

ومن الموضوعات التي تحدث عنها الشاعر محمد تقي بهار في هذه المقالة : في السياسة وشروط الرئاسة ، حكاية رئيس سمرقند ، حكاية عن السلطان محمود الغزنوي ، حكاية أحمد شاه القاجاري وتكديسه الأموال ، صفة العدالة ... إلى غير ذلك من المضامين السياسية التي تحدث عنها الشاعر .

★ ★ ★

وفي المقالة الثامنة يتحدث الشاعر عن صدور أمر بالعفو عنه ، والسماح له بالعودة إلى طهران بعد أن تشفع له « محمد علي فروغي » رئيس الوزراء في ذلك الوقت ، ومن كبار الأدباء والكتاب ، وكان بهار يرأسه شاكيًا ، فحمل فروغي شكواه إلى رضا شاه الذي قبل رجاء رئيس وزرائه ، وسمح لبهار بالعودة إلى داره بطهران ، بشرط ألا يشارك في السياسة وألا يتعرض للحكم والشاه بالنقد والتجريح :

شد فروغی شفیع از سرِ مهر
سود بر آستان خسرو چهر

در نهان با (شکوه) شد همدست
بر خسرو شفاعتی پیوست

خواستندم ز شهر اصفهان
اینچنین است عادت شاهان
گر چه دولت رضای من میجست
التزامی ز من گرفت نخست

۵ - که به ری انزوا کنم پیشنه
نکم در سیاست اندیشه
آنچه گفتند سربسر دادم
مهر وامضای خویش بنهادم
ره نهران گرفتم اندر پیش
تا شوم منزوی بخانه خویش^(۱)

وترجمتها :

- لقد تشفع لي فروغي لدى الشاه ، عارضاً عليه ما يحققه ذلك من نفع .
- فقد توجه إليه في سرية وكتمان حاملاً معه شكواي ، وطالبا لي الشفاعة .
- وهكذا استدعوني من مدينة أصفهان ، وعلى هذا المنوال كانت عادة الملوك ومسلكتهم .
- ومع أن الدولة كانت تبحث عن وسيلة لإرضائي ، فقد طلبوا مني تعهداً في البداية .
- ۵ - مؤداه : أن ألزم العزلة والانزواء في الري ، وألا أحترف السياسة أو أسلك دروبها !

۱ - دیوان بهار ، ج ۲ ، ص : ۱۰۸ .

— لقد وافقت على كل مطالبهم ، ووقعت بخاتمي وإمضائي .

— ثم سلكت الطريق صوب طهران ، كي أكون قعيد الدار هناك !

بعد ذلك بشرع في سلوك الطريق من أصفهان إلى العاصمة طهران، ويشرح كيف يُعامل المسافرون بغلظة وقسوة من رجال الشرطة حيث يتعرضون للتفتيش المستمر والنهب أحياناً ، كما تحدث عن بعض العادات الاجتماعية التي يمارسها الإيرانيون في رحلاتهم هذه ، وقد قص بهار قصة شراب أصفهاني يشبه (الكينا) يأخذه الأطفال كدواء، فإذا برجال الشرطة الذين يفتشون المسافرين يظنونه خمرآ ، فيطالبون بهار بجمارك على هذا الشراب حتى يُسمح له بإدخاله إلى طهران، فدفعت الجمارك مضطراً وأخذوا منه بعد ذلك الشراب لكي يفحصوه. وبقي الحال على هذا عدة ساعات ثم أعاد أحدهم الشراب معتذراً ، ولكن بعد أن فسد الشراب، ثم أعاد الجمارك التي حصلها زميل له ، فقال بهار مشيراً إلى هذه المهانات والدلة التي يتعرض لها الإيرانيون في سفرهم :

بخدايي كه هست واقف راز

زانچه گفتم يكي نبود مجاز

باشد احوالت ملت ايران

مثل آن شراب اصفاهان

كه برندش بزور وآب كنند

ضايع وفاسد وخراب كنند

اين اداره چيان دزد ودغل

همه هستند غرق مكر وحيل

۵ - نه امانت نه حسن مليت
 نه وظيفه نه پاكي نيت
 همگي بي عقیده و ايمان
 بسته با دزد و راهزن پيمان
 همه با هم مخالف و دشمن
 رويهمرفته دشمنان وطن
 وانكه باشد امير اين دزدان
 هست باري نظير اين دزدان
 وزرا را صفای نيت نيت
 امرا را غم رعيت نيت

۱۰ - آنكه در بند سيم وزير باشد
 برعايا كيش نظر باشد ؟
 راهي ار سازد و خياباني
 كارگاهي و كاخ و ايواني
 همه از بهر سود خویش كند
 يا ز بهر نمود خویش كند
 تا از اينره شود بكار سوار
 بنهد گنج درهم و دينار
 مهتر خانه چون زند تنبك
 پای كويند كودكان بي شك^(۱)

۱ - ديوان بهار ، ج ۲ ، ص : ۱۱۱

وترجمتها :

— أقسم بالله عالم الأسرار ، أن كل ما قلته حقيقة وبعيد عن كل مجاز !

— هكذا أصبحت أحوال الأمة الإيرانية شبيهة بهذا الشراب الأصفهاني.

— لقد سلبوه عنوة وخططوه بالماء فأصابوه بالضياح والفساد والخراب ، ومثل هذا يفعلون بإيران .

— هؤلاء الموظفون ليسوا إلا لصوصاً مخادعين ، وهم جميعاً غرقى المكر والحيل والتدليس .

٥ — لقد عدموا الأمانة ، وفقدوا الشعور بالوطنية ، كما أنهم يتسمون بالجهل في أعمالهم ، وبسوء النية .

— جميعهم بلا عقيدة وإيمان ، بل لأنهم حلفاء وشركاء للصوص وقطاع الطرق

— والخلاف قائم بينهم على الدوام ، ولكنهم جميعاً أعداء للوطن بالتمام !

— ولا شك أن أمير هؤلاء اللصوص ، لا بد وأن يكون على شاكلتهم لصاً .

— كما أن الوزراء قد عدموا صفاء النية والطهر ، كما فقد الأمراء الإحساس بالرعايا ومشاكلهم .

١٠ — فذلك الذي يصبح عبداً للذهب والفضة ، كيف يُرجى منه أن يفكر في أمر الرعية ؟

— فإن يعبد طريقاً أو يمهّد شارعاً ، وإن يشيد مصنعاً أو قصرأ أو
إيواناً ،

— فهذا كله ليحقق منفعة خاصة ، أو من أجل التظاهر والتفاخر !

— أو أن ينطاق ممتطياً هذا العمل ، ليجمع كنوزاً من الدراهم
والدنانير.

— إذا كان رب البيت بالدف ضارباً ، فشيمة أهل البيت الرقص !

وأخيراً يصل إلى طهران ويتوجه بمجرد وصوله إلى إدارة الأمن
العام لكي يخطرهم بوصوله ، ويتلقى منهم التعليمات التي يجب عليه
تنفيذها وإلا تعرض للاعتقال مرة أخرى ؛ وما أن وصل بهار إلى
داره حتى سارع ببيع بستان كان يمتلكه ؛ حتى يسد بثمنه الديون
الباهظة التي تراكت عليه طوال العامين الماضيين اللذين قضاهما بين
الاعتقل والنفي ، دون أن يسمح له بمزاولة أي عمل يحقق له ما يسد
رمق أسرته ، ويحفظ عليها كرامتها .

★ ★ ★

وقد جعل بهار المقالة التاسعة للحديث عن مقابلاته للمسؤولين في
طهران بعد عودته ، وعرضهم عليه بأن يصدر صحيفة تتولى الدولة
تمويلها ، ولكن الشاعر اعتذر بأنه لم يعد قادراً على هذا العمل ، الذي
يحتاج بطبيعة الحال إلى تملك السلطة والتسيب بحمد الشاه ، وتقسيـم
الشكر لرجال البلاط ، وهذا ما لم يتعود عليه الشاعر حتى ذلك
الوقت ؛ وإن كان قد اضطر إليه بعد ذلك تجنباً للمشاق وخوفاً من
الاعتقال والسجن .

★ ★ ★

أما المقالة العاشرة فقد خص المرأة بها ، حيث تكلم عن الحجاب

والعبادة ، وأن المرأة تحتاج إلى التعليم أفضل من حاجتها إلى الحجاب ومن المعروف أن الفترة التي عاد فيها بهار إلى طهران كان النقاش محتدماً حول قضية رفع الحجاب ، فأدلى بهار برأيه في هذه القضية في قصائد متفرقة بالديوان ، وفي المقالة العاشرة من هذه المنظومة . تحدث كذلك عن صفات المرأة الطاهرة ، وتحدث أيضاً عن سمات المرأة الدنسة الذليل ، ولا داعي لذكر أمثلة حول هذه القضية فقد أوردنا قصيدة لبهار قالها في الاحتفال الرسمي بعد صدور القرار برفع الحجاب ، وذلك في عام ١٩٣٥ م ، أي في نفس العام الذي عاد فيه من أصفهان إلى طهران (١) .

★ ★ ★

وأخيراً تأتي الخاتمة ، وقد تحدث فيها بهار عن الشاعر شهيد البلخي الذي توفي في حدود عام ٤٢٠ هـ ، وكان يعيش في رعاية الدولة السامانية وفي أواخر حياته كان يفضل الخلوة مع الكتب على مجالسة الناس ، ولعل بهار يشبه نفسه به ، فقد أثر بعد عودته من أصفهان الانزواء في داره وبين كتبه ، ورفض العمل مع الحكومة أو التزول إلى معترك الحياة ومخالطة الناس ، واعتبر أن الاعتكاف مع الكتاب - كما كان يفعل شهيد البلخي - متعة لا تدانيها أية متعة وسعادة لا تضاهيها السعادة بجاه أو مال أو تحفة يتحف بها الإنسان ، لذا قال في نهاية الخاتمة ، وبالتالي في نهاية المنظومة :

هرکرا با کتاب کار افتاد
عمرش از شصت تا هزار افتاد
وانکه در خلوتش کتب خوانیست
خاطرش فارغ از پریشانیست

١ - انظر الفصل الثالث من الباب الثاني من هذا الكتاب .

هرکه شد با کتاب یار وندیم
یاد نارد ز دوستان قدیم (۱)

وترجمتها :

- کل من کان يعمل بالکتاب ، طال عمره من الستين إلى الألف .
- ومن کان في خلوته أنيساً للکتاب ، خلا خاطره من کل اضطراب .
- ومن کان للکتاب رفيقاً وندماً ، کان في غنى عن تذکر أصدقائه القدامى !



بعد هذا العرض السريع لمنظومة « کارنامه زندان » ، نقرر أن المنظومة قد سارت على نهج المنظومات القديمة من حيث تقسيمها إلى مقالات وخاتمة ، وخروج عن الخط الرئيسي للقصة وذلك لمعالجة موضوعات شتى ، حسبما ترد على ذهن الشاعر وتداعب خياله ، ولم يكن فيها من جديد إلا الموضوعات التي تكلم عنها الشاعر من أفكار سياسية واجتماعية نابعة من ظروف الشاعر الخاصة ، وظروف مجتمعه وقت نظمها . كما أن تأثر الشاعر بالقديم واضح في اختيار اسم المنظومة فقد جاء كما سبق أن ذكرنا - تقليداً لمنظومة الشاعر الغزنوي سنائي المعروفة باسم « کارنامه بلخ » ، وقد تحدث الشاعر عن سنائي باعتباره الملهم له والمرشد ، وأنه نظم منظومته هذه ترسماً لخطى هذا الشاعر الكبير ، ويظهر تأثره بالقديم كذلك عندما ختم منظومته بتشبيه نفسه في عزله مع الكتب بالشاعر شهيد البلخي .

۱- ديوان بهار ، ج ۲ ، ص : ۱۲۶ .

ولعل تأثر الشاعر بهار بالقديم وإحياءه لطريقة الأقدمين في نظم المنظومات يرجع إلى نوع الاتمالة التي أعد بهار نفسه بها ، فثقافته شرقية بما تحمله هذه الكلمة من ثقافة فارسية وأخرى عربية ولم تمنح له فرصة التعلم في مدارس حديثة عصرية تهتم باللغات الأوروبية وتطلع طلابها على أنماط من الآداب الأوروبية ، وعلى هذا جاء ديوانه كله - ومنه منظومته هذه - شاهداً على نوع ثقافته وأصالته الطابع الشرقي عنده ، وذلك على عكس ما سنجد عند الشاعر إبرج ميرزا في نظمه لمنظومته الشهيرة « زهره ومنوچهر » التي آن الأوان للحديث عنها ، ثم لإيراد ملخص لأهم أحداثها .

منظومة « زُهره ومنوچهر »

للشاعر إيرج ميرزا

نظم الشاعر إيرج ميرزا «زهره ومنوچهر» في الأيام الأخيرة من حياته (١٩٢٥م)، بل إنه مات فجأة قبل أن يكمل نظمها ، وقد وصل عدد أبيات ما نظمها من القصيدة قرابة الخمسمائة بيت . وتعد هذه المنظومة أحسن ما نظم إيرج ، بل إنها - باعترا ف كل الدارسين للأدب الفارسي من الإيرانيين وغيرهم - أعظم منظومة فارسية في الأدب الحديث والمعاصر في إيران .

وقد ذكر جميع من أروخوا لشعر إيرج ، أن الشاعر الإيراني قد أخذها عن قصيدة للشاعر الإنجليزي العملاق شكسبير، وقد أخذها هذا بدوره عن أسطورة رومانية قديمة أوردتها الشاعر الروماني (أوفيد) في كتابه (أطوار الحب) .^(١) ويقال إن هذه القصيدة كانت باكورة إنتاج شكسبير ، ومع هذا تعد من أشهر أعماله الأدبية . وعلى الرغم من هذا الإجماع فإنني أظن بأن إيرج ميرزا قد قرأها بالفرنسية

١ - محمود صابر : تقديم الترجمة العربية لمسرحية فينوس وأدونيس للشاعر الفرنسي أندري أوبي ، روائع المسرحيات العالمية ، القاهرة ١٩٦٧ ، ص : ١٦ .

وليس بالإنجليزية ، فعلى الرغم من زيارته لإنجلترا في صحبة قوام السلطنة ، وإلمامه باللغة الإنجليزية ؛ إلا أنه كان أكثر إجادة للغة الفرنسية التي كان يتعلمها منذ صغره ^(١) ، ولعل إحدى الترجمات الفرنسية التي اطلع عليها إيرج ميرزا ، تلك المسرحية التي تحمل هذا الاسم ، والتي كتبها الأديب الفرنسي أندري أوبي ، وقد زاد على أحداثها وأبطالها ما يسهل نقلها من مجرد قصيدة جميلة لشكسبير إلى مسرحية ناجحة تمثل على خشبة المسرح الفرنسي . ^(٢)

وسواء أكان إيرج قد قرأ القصة في شكل قصيدة مترجمة إلى الفرنسية أو حتى إلى الفارسية ، أو قرأها في شكل مسرحية ، فإنه لم يكن مجرد ناقل ومترجم فيما نظم ، بل كانت له شخصيته المستقلة ، وكانت أحاسيسه الإيرانية وشعوره الوطني باديين في سرد أحداث القصة ، كما سنلاحظ عندما نورد ملخصاً لأحداث المنظومة ، فعلى الرغم من أن إيرج حافظ على الخطوط الأساسية في الأسطورة ، إلا أنه نسج من حولها نسيجاً إيرانياً ، وألبس أبطالها أردية إيرانية ^(٣) .

١ - ورد في اخبار إيرج انه تعلم اللغة الفرنسية في صغره على يد المسيو لامبو مدير مدرسة دار الفنون في تبريز في أواخر القرن الماضي ، وقد واصل إيرج تعلمه للغة حتى أجادها ، ثم عمل مترجماً للغة الفرنسية في الجمارك وذلك لفترة طويلة من حياته . وهكذا كان قادراً على القراءة في الأدب الفرنسي والاقتراب منه . (افكار واثار إيرج : سيد هادي حائري ، تهران ١٣٣٤ هـ . ش) .

٢ - المرجع السابق .

٣ - لا أجد داعياً هنا للدخول في دراسة حول الاصاله والتجديد في منظومة إيرج ، ومقارنتها بالاصل السذي نظمه شكسبير ، أو بالترجمة الفرنسية ، حيث ستكون هذه المقارنة مجال عمل مستقل لكي تكون الفرصة مهيأة لمقارنات مفصلة وجادة . وأرجو أن تنتهي هذه الدراسة في القريب العاجل .

وبطلا المنظومة - عند شكسبير - هما : فينوس إلهة الجمال وربة
 الخصب والنماء لدى الرومان ، وهي تقابل أفروديت لدى الإغريق
 وتقابل كذلك عشروت لدى الفينيقيين ، ولا غرابة في ذلك ، فقد
 قيل إن مسرح الأسطورة كان منطقة لبنان وذلك بجوار نهر إبراهيم ،
 وأن عشروت كانت تلقب بعدة ألقاب أهمها (بروت) الذي
 أطلق بعد ذلك على العاصمة اللبنانية ، وكذلك (زهره) ،^(١) وهو
 الاسم العربي الذي يقابل اسم هذه الإلهة في اللغات الأخرى . وقد قيل
 بأن عبادة هذه الإلهة قد انتقلت مع الفينيقيين أيام سطوتهم وتسلطهم
 على البحار إلى جزيرتي قبرص وكريت ، ومنهما انتقلت إلى بلاد اليونان
 والرومان ، ولكنها اتخذت لها أسماء جديدة في كل بلد ، فكان
 اسمها أفروديت في بلاد اليونان ، وفينوس في بلاد الرومان ، ولعل
 الاسم الأخير كان أشهرها جميعاً ، لذا حيكت الأساطير الكثيرة حول
 هذا الاسم ، كما وجد تمثالان لهذه الإلهة في روما ، ونتيجة لغلبة
 استعمال هذا الاسم ، فقد استخدمه الشاعر الإنجليزي شكسبير في
 قصيدته . وعندما أراد إيرج أن ينظم منظومته أثر استخدام الاسم
 العربي والفارسي لهذه الإلهة الشرقية الأصل وهو « زهرة » ، كما كان اسم
 زهرة من بين ألقابها في بيتها الفينيقية الأولى ، وكأنه أراد أن
 يرد لها اعتبارها وشبقتها .

أما أدونيس البطل في الأسطورة الفينيقية أو الرومانية ، وكذلك
 عند شكسبير فقد وردت الأخبار بأنه ينتسب إلى ملك سوريا (قياس)
 أو « ثياس »^(٢) كما جاء في الأساطير الرومانية ، وذلك من ابنه

١ - شوقي عبد الحكيم : أساطير وفولكلور العالم العربي ج ١ القاهرة
 ١٩٧٤ ، ص : ٧٠

٢ - يكتب باللاتينية « Shéias » : تعليقات ديوان إيرج ميرزا ، بقلم
 محمد جعفر محبوب ، ص : ٢٥١ الطبعة الثالثة .

« تيرا » أو « سميرنا » التي حملت منه سفاحاً ، ولما عرف ذلك أراد الفتك بها ، ولكن الآلهة أنقذتها إكراماً للجنين البريء الذي لم يرتكب ذنباً ، وجعلتها تبدو في صورة شجرة ، وكلما تقدمت أشهر الحمل كلما تضخم جذع الشجرة ، إلى أن جاءها المخاض ووضعت طفلاً فائقاً في الجمال أطلقت عليه اسم « أدونيس » ، بعد ذلك عثرت عليه ربة الجمال « فينوس » — أو « أفروديت » أو « عشروت » — فأودعته لدى تابعة لها تعرف باسم « برسيفون » ، ولكن الأخيرة طمعت في الغلام لجماله الفائق ، وهكذا وقع الخلاف بين ربة الجمال وتابعها إلى أن احتكما إلى رب الأرباب ، فقضى بأن يمكث في صحبة فينوس ثلث العام ، ومع برسيفون ثلثة الثاني ، ثم يُترك له حرية الاختيار في الثلث الأخير .

ثم تمضي أحداث الأسطورة بأن الصبي قد أصبح شاباً يافعاً ذا جمال يأخذ الألباب ويوقع كل من يراه في حبه وهواه ، وهنا تبدأ قصيدة شكسبير — وكذلك منظومة إيرج ميرزا — وذات يوم خرج إلى الصيد، فجاءته فينوس مزدانة بأبهى زينة عارضة عليه حبها ولكنه تمنع وأراد الفكاك منها حتى يذهب مع رفاقه إلى الصيد ، ولكنها تحاول إغراءه بكل وسائل الإغراء لدى المرأة ، وأي امرأة هذه ؟ إنها ربة الجمال وإلهة العشق ، ومع كل هذا فأدونيس صلب لا يلين أمام إغرائها وأمام توسلاتها ، وكم حاولت تقبيله ولكنه كان يتمنع ويبعدها عنه ، ثم حاولت ضمه إلى صدرها وحضنها ، ولكنه كان يأبى بعفة وأدب جرم ، مما جعلها تزيد من حبها له ، فالصبي يزيد العشق ناراً ، ويضعف الهوى ، وأخيراً يصير أدونيس على الخروج لصيد الخنازير البرية المتوحشة على الرغم من تحذير فينوس له ، ولم يمض كثير من الوقت حتى سمع الجميع صرخة مدوية ، فإذا بأحد الخنازير يفتك بأدونيس ويمزقه إرباً إرباً ، فأسرعت فينوس إلى مسرح الجريمة ،

فوجدته أشلاء ممزقة ، فبكمته وقامت بدفنه ، وبعد فترة نبتت زهرة بيضاء تتوسطها بقعة حمراء على قبر أدونيس ، فأخذت فينوس هذه الوردة ، وصعدت إلى السماء : وهكذا انتهت رحلتها إلى العالم الأرضي ، وانتهت معها أحداث الأسطورة .

حافظت معظم الروايات على اسم البطل كما ورد في الأسطورة القديمة ، ولكن إيرج قد خلع عليه اسماً إيرانياً وهو « منوچهر » حتى يوظفه بعد ذلك في خدمة بعض آرائه الوطنية ، فقد جعله جندياً بالجندي الإيراني وبالتالي فإن الجندي المؤمن بالجنسية — كما سرى — مطالب بسلوك معين سواء على المستوى الفردي أو على المستوى الوطني .

وهكذا أفاد الشاعر إيرج ميرزا من ثقافته الأوربية في نقل أسطورة مشهورة من الأدب الإنجليزي — على الأرجح من خلال الترجمة الفرنسية — إلى اللغة الفارسية ، وهكذا كانت الصلات الثقافية بين إيران والغرب ذات أثر واضح على فكر بعض الشعراء ، وكذلك على بعض أنماط أشعارهم .

والآن يجمل بنا أن نعرض للقصة كما جاءت في منظومة « زهرة ومنوچهر » للشاعر إيرج ميرزا ، على أن نقرر منذ البداية ، بأن الشاعر قد عاجلته المنية قبل أن يتمها ، فقام أحد أصدقائه بإضافة حوالي أربعين بيتاً لما نظمه إيرج حتى تصل المنظومة إلى نهايتها .

★ ★ ★

عرض المنظومة « زهرة ومنوچهر » (١) :

قبل أن تشرق الشمس ، كان منوچهر الملازم الأول بالجيش الإيراني قد أعد العدة لرحلة صيد ، فاليوم يوم الجمعة ، وهو يوم عطلة لن يذهب فيه إلى قلعته الحربية ، لذا أراد أن يروح عن نفسه ويمجد نشاطه ، وعلى الرغم من كثرة هواياته ، إلا أنه آثر أن يذهب إلى الغابة كي يصيد ، وبعد ما تكبده من مشقة الوصول إلى الغابة ، جلس على حافة جدول كي يستريح ، ثم يقوم لمزاولة الهواية التي جاء إلى الغابة من أجلها .

وفي نفس الوقت كانت زهرة ربة الجمال وليلة العشق قد ألم بها الوهن من مواصلة العمل ، فأرادت أن تروح عن نفسها هي الأخرى ، فخلعت أردية الملائكة ولبست رداء المرأة الإيرانية ، ثم توجهت صوب الأرض فإذا بها تهبط في نفس المكان الذي يجلس فيه منوچهر، وبما قاله إيرج في وصف هبوط زهرة ، هذه الأبيات :

از طرفی نیز در آن صبح گاه
زهرة مهین دختر خالوی ماه
آلهه عشق و خداوند ناز
آدمیان را بمحبت گداز
پیشه وی عاشقی آموختن
خرمن ابنای بشر سوختن

١ - قام الزميل إبراهيم المغازي بترجمة المنظومة كلها ، ضمن بحثه للماجستير والذي قدمه باسم « إيرج ميوزا : عصره وبيئته وشعره » ، وذلك إلى كلية الآداب جامعة عين شمس ، وما زال البحث تحت الطبع . وتوجد منه نسخ في مكتبة الكلية المذكورة ، ومكتبة جامعة عين شمس .

خسته وعاجز شده در کارِ خود
واله وآشفته چو افکارِ خود

۵- خواست که بر خستگی آرد شکست
یکدوسه ساعت کشد از کار دست
سیرِ گل و گردش باغی کند
تازه ز گل گشت دماغی کند
کنند. ز بر کسوت فلاکیان
کرد بسر مقنعه نخاکیان
نخویشن آراست بشکل بشر
سوی زمین کرد ز گیهان گذر
آمد از آرامگه خود فرود
رفت بدانسو که منوچهر بود (۱)

وترجمتها :

- ومن ناحية أخرى ، ففي الصباح الباكر أرادت زهرة كبرى بنات القمر ،
- وإلهة العشق ورثة الدلال ، ومن تصهر الآدميين بعشقها .
- ومن حرفتها تعليم العشق ، وحرق بيدر أبناء البشر .
- ومن أصابها الوهن والملل في عملها ، ومن أصبحت إلهة مضطربة
مثل أفكارها .
- ۵ - أرادت أن تحطم ملاليتها وتعبها ، وأن تفرغ بعض ساعات من
عملها .

۱ - دیوان ایرج میرزا ، ص : ۹۸ .

— وأن تتجول في الحديقة وتتفقد الأزهار ، وبذا تجدد نشاطها وحيويتها .

— فخلعت عن نفسها رداء الملائكة ، وارتدت مقنعة الإيرانية .

— وزينت نفسها على شاكلة البشر ، وهبطت من عطارده صوب الأرض .

— ونزلت من مخدعها ومقرها ، وتوجهت إلى حيث يوجد منوچهر .

وما أن رأت زهرة منوچهر ، حتى سرت. في جسدتها رعدة العشق ، ولم تعد تتمالك نفسها ، وكانت حيرى في أمرها ، فهي التي تُوقع الجميع في حبالها ، وتصيب الكل بسهام عشقتها ؛ فماذا دهاها حتى تكون أسيرة هذا القتي الجميل ؟ كل هذا حدث وهو لا يكاد يشعر بوجودها ، بل إنه ركب فرسه واستعد للصيد . فعقدت العزم على أن تقترب منه وتتدلل معه لعلها تتغلب على صمته وتحطم تمنعه وكبريائه ، وفعلا توجهت إلى حيث يجلس وبادرته السلام قائلة :

گفت سلام ای پسر ماه وهور
چشم بد از روی نکوی تو دور

ای ز بشر بهتر وبگزیده تر
بلکه ز من نیز پسندیده تر

ای که پس از خلق خلاق تو
همچو خلاق شده مشتاق تو

ای تو بهین میوه باغ بهی
غنچه سرخ چمن فرهی

۵ - چین سر زلف عروس حیات
 خال دلآرای رخ کائنات
 در چمن حسن گل وفاخته
 سرخ وسفیدی برخت تاخته
 بسکه شده خلقت تو شوخ و شنگ
 گشته بخلقت کن تو عرصه تنگ
 کز پس تو بازچه رنگ آورد
 حسن جهانرا بچه قالب برد
 بی تو جهان هیچ صفائی نداشت
 باغ امید آب وهوائی نداشت

۱۰ - مغنم است این چمن دلفریب
 ای شه من پای در آر از رکیب
 شاخ گلی پا بسر سبزه نه
 شاخ گل اندر وسط سبزه نه
 صبح باین خرمی واین چمن
 با چمن آرا صنمی همچو من (۱)

وترجمتها :

— قالت : عليك السلام يا ابن الشمس والقمر ، ليجنبك الله عين
 السوء !

— يا من يفضل البشر ويعلو عليهم ، بل يا من هو أجمل مني وأكمل !

۱ دیوان ایرج میرزا ، ص : ۹۹ ، ۱۰۰ .

— يا من يشتاقي إليك الخالق ويعشقلك بعد أن انتهى من خلقك !
— يا من تعد أحسن ثمرة أثمرتها شجرة العظمة ، وأجمل زهرة أنتجتها
روضة البركة !

٥ — إنك ثنية تعلو رأس عروس الحياة ، كما أنك مبهج وجوه
الكائنات .

— أنت في روضة الحسن وردة ويمامة ، حيث يتضارع على وجهك
الإحمرار والبياض .

— فما أجمل خلقتك وأبهاها ، حتى أنك بحسن خلقتك ، ضيقت
عرصة الدنيا وساحتها .

— فكيف يحاول أن تتزين من بعده ؟ وكيف يمكنها أن تبدي حسنها ؟
— وبدونك ينعدم الصفاء والجمال في الدنيا ، وبدونك تفقد الروضة
تعلقها بالماء والهواء .

١٠ — هيا نغتنم فرصة هذه الروضة الجميلة يا مليكي ، ولتترجل عن
فرسك !

— ويا غصن الورد لتضع قدمك على الخضرة ، ولتتوقف وتقف
وسط الخضرة !

— ما أبهاه من صبح ، وما أجمله من روض ! وحسنا مثلي تزيد
الروض جمالا !

على الرغم من هذا الإطراء والتغني بجماله ، فإن منوچهر لم
يأبه بها ، وصمم على مغادرة المكان والتوجه إلى ممارسة الصيد الذي

جاء من أجله ، فحاولت إغراءه أكثر وأكثر بأن دعه كي يقبلها ،
ثم يضمها إلى صدره ويتعانقا ، ولكنه كجندي كان يرفض هذا التصرف
الذي لا يتفق والشرف العسكري الذي يأبى أن يختلس الإنسان شيئا ليس
من حقه ، وعندما أعيتهما الحيل ولم يستجب لتوسلاتها وإغرائها ، لجأت
إلى العنف فجذبتة من فوق الفرس وأسقطته على الحضرة ، وسارعت
بالرقاد بجانبه ، وطوقته بذراعيها ، وانهالت عليه تقبيلًا ، كل هذا
ومنوچهر في حيرة تامة من أمره ، يحاول الفرار ولكنه لا يستطيع ،
لأنها لا تترك له فرصة لذلك ، وفي لحظة كاد يضعف ويقبلها ، ولكن
سرعان ما ثاب إلى رشده ، وأبعد شفثيه عن شفثيها ، مما أشعرها بالضيق
فسألته هل هناك محبوبة أخرى تحبه ؟ وهل هذه المحبوبة تفوقها
جمالًا ودلالًا ؟ كل هذا والفن لا ينطق بحرف ، وإنما يحاول أن يبعدها
بكل طريقة ، فإذا بها تعاود الكرة ، وتطالبه بمبادلتها القبلات :

هرچه ز جنس عسل وشکر است
بوسه من از همه شیرین تر است
تا دو سه بوسه نستانانی همی
لذت این کار نستانانی همی
تو بستان بوسه یی از من فره
بد شد اگر ، باز سر جاش نه !
اخم مکن ! گوش به عرضم بده
مفت نخواهم ز تو ، قرضم بده !

هـ- نیست در این گفته من سوسه بی
گر تو بمن قرض دهی بوسه بی

بوسه دیگر سر آن می نسهم
 لحظه دیگر ، به تو پس می دهم
 من که نگفتم تو بده بوسه مفت
 طاق بده بوسه و برگیر جفت
 از چه کنی سد در دادوستد ؟
 فایده در دادوستد می رسد !
 قرض بده منفعتش را بگیر
 زود هم این قرض گزارم نه دیر

۱۰- از لب من بوسه مکرر بگیر
 چون که به آخر رسد از سر بگیر
 از سر من تا به قدم يك سره
 هست چراگاه تو آهـو بره

وترجمتها :

- إن قبلتي أشهى وأحلى من كل حلو سواء أكان سكرأ أم عسلا.
- لن تعرف حلاوة القبلة ولذتها ، إلا إذا قبلتني قبلتين أو ثلاثاً .
- فسارع بتقبيلي ولو قبلة واحدة ، فإن كانت غير عذبة فخذها ثانية !
- لا تقطب الجبين هكذا ، واستمع إلى ما أعرضه عليك ، إنني لسن آخذها بلا مقابل ، بل أقرضني إياها .
- ه - ماذا يحدث إن تقرضني قبلة ؟ ليس في كلامي هذا أي خطأ أو مغالطة !

۱ - دیوان ایرج میرزا ، ص : ۱۰۳ .

— إنني سأعيدها لك بعد لحظة ، وأزيد عليها قبلة أخرى !
 — لم أقل : أعطني قبلة بدون مقابل ، بل أعطني قبلة وخذ اثنتين !
 — فلماذا تغلق باب التعامل ؟ إن الفائدة تتحقق بالتعامل !
 — أعطني القرض وخذ فائدته وربحه ، ولكن سارع بتقديم القرص دون تأخير
 أو توان !

١٠ — لتأخذ من شفتي قبلات وقبلات ، وإذا ما انتهيت فلتبدأ من جديد .
 — إن جسدي كله من الرأس إلى القدم ، مرعى لك يا غزالي الحبيب !

كل هذا الإغراء وذلك الدلال ، ومنوجهر متمسك بطهره وعفته ،
 غير آبه بجمالها ودلالها ، مصمم على الذهاب للصيد ، وممارسة تلك الهواية
 المحببة إلى قلبه ، والتي من أجلها آتى إلى الغابة ، وأمام هذا الإصرار ، حاولت
 زهرة أن تدخل إلى قلبه عن طريق هواية الصيد ، فطلبت منه أن يمثل
 دور الصياد والفريسة ، فيقوم هو بدور الصياد ، وتؤدي هي دور
 الفريسة ، فإذا نجح في الإمساك بها ، أو إذا أصابها سهم من سهامه
 فله أن يفعل معها كل ما يتمناه شاب يافع مثله مع فتاة غاية في الجمال
 والدلال مثلها :

خيز شكار صيد شو ومن شكار
 من بدوم سر پي من گذار
 من نه شكارم كه ز تو زم كنم
 زحمت پای تو فراهم كنم
 نیر بیانداز كه من از هوا
 گیرم ودر سينه كنم جابجا

من ز پی تیر تو سو دَوم
تیر تو هر سو رود آنسو رَوم

۵ - چشم بهم نِه که نبینسی مرا
من ز تو پنهان شوم این گوشه ها
گر مرا آبی و تو پیدا کنی
میدهمت هر چه تمنا کنسی^(۱)

وترجمتها :

— هیا ، ولکن أنت الصیاد وأنا الصید ، سأجری ، وما علیک إلا أن
تلحق بی .

— ولکننی لست ذلك الصید الذي یحفل منک ، وإنما سأتعب قدمیک
من ملاحقتی .

— ألق السهم ، وسأمسک به من الهواء ، وأسکنه صدري علی الفور .

— وسأجری فی إثر سهمک فی کل صوب ، وحیثما یتجه سهمک
سأذهب فی إثره .

۵ - ولکن لتغمض عینیک حتی لا ترانی ، وذلك لکی أختفی منک
فی هذه النواحي .

— فإن تأت ونظمر بی ، أعطاک کل ما تتمناه منی !

عندما ضاق منوچهر ذرعاً بمحاولاتها وألاعيبها ، خاطبها بأسلوب
جاد وبطريقة عسكرية صارمة وأنه لا یقبل أن یفعل الفاحشة ، وألا

۱ - الديوان ، ص : ۱۰۳ ، ۱۰۴ .

يفقد شرفه وسمعته من جراء الخضوع لنزواتها ، فتكون هي الجانية ،
بينما يصبح أمام الناس هو المتهم ؛ ماذا يقول لمن يرى آثار القبلات
على شفثيه ووجنتيه ؟ هل يقول إنها ربة العشق والجمال ؟ ومن يصدقه ؟
وحتى ولو كانت الفاعلة زهرة ربة الجمال والعشق . فهل ما فعله
معهما يعد مسلكاً محموداً من جندي يفترض فيه أن يحافظ على الأعراض
ولا يعتدي على الحرمات ، ومما قاله منوچهر هذه الأبيات :

زن نکند در دل جنگی مقام
عشقِ زنان است به جنگی حرام

عاشقی و مرد سپاهی کجا
دادن دل دست مناهی کجا ؟

جایگه من شده قلب سپاه
قلب زنان را نکند جایگاه

گرگ شناسیم و شبانیم ما
حافظ ناموس کسانیم ما

ه - تا که بر این گله بزرگی کنیم
نیست سزاوار که گرگی کنیم

نخون که چکد بهر وطن روی خاک
حیف بود گر نبود نخون پاک

قلب سپاه است چو مأوای من
قلب فلان زن نشود جای منن

مکر زنان خوانده ام اندر رمان
عشق زنان دیده ام از این و آن

دیده ودانسته نیفتم به چاه
کج نکتم پای خود از شاهراه

۱۰ - شاه پرستی است همه دین من
حب وطن پیشه و آیین من
ببند اگر حضرت اشرف مرا
آید و بیرون کند از صف مرا
گر شنود شاه غضب می کند
بی ادبان را شه ادب می برد
هر چه میان من و تو بگذرد
باد بر شاه خبر می برد
مُرم نظام است چو در بر مرا
صحبت زن نیست مُیسر مرا (۱)

وترجمتها :

- لا مكان للمرأة في قلب المحارب ، إذ أن عشق المرأة حرام على المحارب !
- أين العشق من الجندي المحارب ؟ وأين تسليم القلب لدى الأمر الناهي ؟
- إن مكاني هو قلب الجيش وفي وسطه ، لذا لن أجعل مكاني قلوب النساء .

۱ - الديوان ، ص : ۱۰۷ .

— إننا نعرف الذئب ، إذ نحن الرعاة ، كما أننا الحماة لأعراض الناس وحرماهم .

هـ — ولكي نصل إلى مرتبة القيادة على هذا الجمع ، لا يليق بنسا أن نكون ذئاب القطيع .

— ومن يضحي بروحه فداء للوطن ، من الظلم ألا يكون طاهر الذيل نقي السريرة .

— إذا كان قلب الجيش هو مأوي ومستقري ، فلن يكون قلب أي امرأة هو مكاني ، ومكمني

— لقد قرأت عن مكر النساء في القصص والروايات ، كما خبرت عشق النساء من هذه وتلك .

— لقد رأيت وخبرت ، ولكنني لن أسقط في شباكهن ، ولن أحيد عن جادة الطريق والاستقامة .

١٠ — الإخلاص للملك مذهبي ، وحب الوطن عقيدتي ومأربي

— إن يرني الملك الطاهر النقي ، فسرعان ما يُقبل ويخرجني من الصف !

— وإن يسمع الملك بفعلتي ، تملكه الغضب والحزن ، وبعدها يقدم الملك على تأديب من عدموا الأدب .

— فإن يحدث بيننا أي شيء ، فستحمل الرياح أخباره صوب الملك .

— وما دمت أرتدي البزة العسكرية ، فليس لي الحق في مصاحبة النساء ! ^(١)

١ — ركز ايرج ميرزا على الاخلاص للشاه ، ويعني به الشاه القاجاري ،



لم يزد هذا الصدد وذلك الهجر. زهرة إلا حباً لمنوچهر ، وإصراراً على تحقيق بغيتها منه ، فصد المحب وتمنعه يزيد العشق ويضاعفه ولا يضعفه ، وكى تثيره ليثبت رجولته أهيمته بالجن والخوف ، وهل يليق الجن بالجندي المحارب ، كما أهيمته بأنه ما زال طفلاً صغيراً لا يعرف معنى الحب والعشق ، كما أنه ليس رجلاً بمعنى الكلمة وإلا أثبت هذه الرجولة التي يفتردها ، وأهيمته كذلك بالبرود وعدم الإحساس بأنفاسها المتقدة وأحضانها الدافئة وقبلاتها الحارة ، كما حاولت بعد ذلك أن تطمئنه بأنهما وحيدان في الغابة ، ولا يوجد من يشي به لدى الملك أو القائد ، ولن يعرف أحد سواهما ما يفعلانه من ممارسة للعشق والهوى.

ثم حدثته عن جماله وحسنه ، وأن الله وهبه هذا الجمال لكي ينعم به ، ويتمتع بحسنه عن طريق معشوقة تقبل عليه ويقبل عليها ، تنعم بحسنه وينعم بجمالها ودلالها ، كما أنه في ريعان شبابه ، والشباب موسم الحب والعطاء ، وإذا لم يحسن استغلاله ، ضاع منه ثم تملكته الحسرة ، ولكن بعد فوات الأوان ، فإذا ولى الشباب فلن يعود مطلقاً . أما إذا كنت شاباً وبهذا الجمال ، ولكن بلا إحساس ، فأنت مجرد صنم لا روح فيه ، صنم من حجر صلد أو رخام ، فهل أنت صنم حقاً ؟ إن كنت آدمياً ولديك إحساس وشعور ، فهيا تمارس الحب ونرتشف القبلات ، وتبادل العناق ، وما هو أكثر من العناق !



حيث كان ايرج أحد أفراد الاسرة القاجارية ، ولعله يخاطب بهذه الابيات « رضا خان » قائد الجيش في ذلك الوقت ، والذي تخلى عن قسمه بحماية الشاه والوطن ، بل عمل - كما يرى ايرج - على التخلص من أحمد شاه القاجاري ، لكي يتولى مكانه ، وقد سبق الحديث عن هذه القضية في الباب الاول من هذا الكتاب .

ما أن طالبت زهرة بالقبلات والمتعة ، حتى تصيب عرقاً . واكتسي
وجهه بالحمرة خجلاً ، لذا سارع بالوقوف طالباً منها السماح له
بالرحيل كي يمارس الصيد ، فقد توسطت الشمس السماء واشتد
لهيبها دون أن يصيد شيئاً ، ولكي يخفف من وقع الصدمة عليها ،
وعدها بأن يلتقيا في يوم الجمعة القادم لكي يصلها ما انقطع

گفت : دريغا که نکرده شکار
هیچ نیفتاده تفنگم به کار
کور وگوزنی نزده بر زمین
کبک نیاویخته بر قاج زین
سایه برفت وپريد آفتاب
شد سر ما گرم چو این جوی آب
سوخت ز خورشید رخ روشنم
غرق عرق شد ز حرارت تنم

ه - خانگیانم نگران منمند
چشم به ره منتظران منمند
صحبت عشق وهوس امروز بس
منتظران را به لب آمد نفس
جمعه دیگر لب این سنگ جو
باد میان من وتو رانده وو (۱)

و ترجمتها :

— قال وا أسفاه ! لم أمارس اليوم صيداً ، ولم أطلق من بندقيتي عياراً واحداً .

— ولم أطرح على الأرض حماراً وحشياً أو وعلا ، كما لم أصب بهذه حجلاً أو حمامة .

— لقد تلاشى الظل ، وتوسطت السماء الشمس ، وعصف بنا الغيظ ، فكدنا نغلي كماء هذا الجدول .

— احترق وجهي الوضاء من وهج الشمس ، وتصيب جسدي عرقاً من شدة الحرارة والغيظ .

هـ — إن أسرتي تبحث عني وتنتظرنني ، وقد تعلقت أبصارهم على طريق العودة .

— كفانا اليوم حديث العشق والهوى . فأرواح منتظري تراقص على شفاههم من الجوى .

— وليكن موعدنا يوم الجمعة القادم على حافة هذا النهر !

جزعت زهرة عندما سمعته يتحدث عن الفراق ، وتملكها الضيق وحاولت إستبقائه بكل طريقة ، وإغراءه بكل وسيلة ، دون جدوى إذ كان منوچهر صلب القناة لا يخضع للهوى ، ولا يركن إلى العبث ، ولكنه وافق في النهاية على أن يمكنها من قبلة واحدة ، حتى تركه يعود أدراجه ، ..

هنا يتوقف لإيرج عن النظم ، حيث فاجأه الموت قبل أن يتم

المنظومة ، ثم قام أحد أصدقائه بتكملتها فظفرت زهرة
- على يد الناظم الحديد - بالقبلة تلو القبلة ، وروت ظمأها بعد
طول تمتع وصبر وحرمان ، وهنا هلت الحمامتان الموكل إليهما
حمل زهرة إلى الأفلاك العليا ، وقالتا : « لقد أصبح طفلنا بالغاً ! »

* * *

بعد هذا العرض الموجز للمنظومة « زهرة ومنوچهر » ندرك أن
إيرج قد التزم الدقة في تحري أحداث الأسطورة القديمة غاية الالتزام
وإن نخلع على البطلين أروية شرقية فارسية ، فاختياره اسم « زهرة »
بدلاً من فينوس يتفق واسم النجم في اللغة العربية والفارسية كذلك ،
أما اختياره اسم « منوچهر » فهو اختيار فارسي محض ، فلو نطقناه
« مينوچهر » لكان مكوناً من مقطعين : (مينو : الفردوس ، جهر :
طلعة . محيا) أي أن معناه الكلي يعني : « طلعة الفردوس » ، أو « الوجه
الشبيه بالروضة » وقد أشار الشاعر إلى هذا التصحيف في هذا البيت ؛
حيث قال على لسان زهرة :

اول اسم تو چو باسم منو

هست مرا خواندن مينو نكو (١)

ومعناه :

إذا كان أول اسمك « منو » ، فمن الأفضل عندي أن أنطقه
« مينو » (أي الفردوس أو الروضة) .

١ - الديوان ، ص : ١١٤ .

وإذا كان وجهه شبيهاً بالفردوس فما أبهاه من وجه . وما أجمله من محيا . وهكذا أطلق الشاعر على البطل اسماً فارسياً يتفق وما يتمتع به . كما جاء في الأساطير القديمة . من جمال فائق وحسن فتان وبهاء لا نظير له .

كما ألبس إيرج ميرزا بطله بزة عسكرية حتى يجد الفرصة سانحة للحديث عما كان يدور في وطنه من أحداث في ذلك الوقت ، وأهمها بروز نجم « الجندي » رضا خان ، والدور الذي لعبه لتغيير الأسرة الحاكمة ، فكان إيرج خريصاً على أن يذكره بأن واجب الجندي أن يكون مخلصاً للملك ، وليس منحطاً للخلاص منه ، وهذا الأمر نابع من رغبة إيرج في الحفاظ على حكم أسرته القاجارية .

وضمن إيرج منظومته إشارات اجتماعية مستوحاة من الظروف الاجتماعية التي كانت سائدة في إيران خلال العشرينيات من هذا القرن كحديثه عن ارتداء زهرة عندما هبطت من السماء المقنعة التي كانت ترتديها الإيرانيات في ذلك الوقت ، وإشارته كذلك إلى موقف المعارضين من قضية تحرير المرأة... وغير ذلك من الإشارات الاجتماعية التي أعطاها إيرج بمقتضاها الجنسية الإيرانية .

إلى غير ذلك من الأفكار والآراء التي أدخلها إيرج ميرز وزادها على الأسطورة القديمة ، كما رواها شكسبير في قصيدته الرائعة « فينوس وأدونيس » وأرجو أن أوفق في القريب في تقديم دراسة مقارنة لهذه الأسطورة كما وردت في قصيدة شكسبير ، ومسرحية اندري أوبي الفرنسية ، ومنظومة إيرج الفارسية .

★ ★ ★

كلمة أخيرة :

بعد أن عرضنا بإيجاز لمنظومتين قام بنظمهما أكبر شاعرين عاشا في النصف الأول من القرن العشرين ، وهما ملك الشعراء محمد تقى بهار وإيرج ميرزا ؛ نقرر أنه على الرغم من كبر حجم منظومة « كارنامه زندان » إذا ما قيس بحجم « زهره ومنوچهر » ، وعلى الرغم كذلك من المكانة الكبيرة التي حظي بها ملك الشعراء اجتماعياً وأدبياً ، إذا ما قورنت بمكانة إيرج ميرزا ، فإن منظومة « زهره ومنوچهر » لإيرج قد حازت شهرة أدبية أكبر ، واعتبرها جميع من أرخوا للأدب الفارسي الحديث أعظم ما نظم في إيران الحديثة من منظومات ، أما منظومة ملك الشعراء بهار ، فلم تحظ بمثل هذا التقدير حيث اهتم النقاد بقصائد بهار أكثر من اهتمامهم بمثنوياته ومنظوماته ، واعتبروه شاعر قصيد ، ولا شك أن هذا الحكم راجع إلى التجديد الذي أدخله إيرج على فن المنظومة في اللغة الفارسية . حيث أخرجها من التشتت الذي كان السمة الأساسية للمنظومة لدى الأقدمين ، إلى وحدة موضوعية تربط كل بيت فيها بالبناء العام للقصة التي يتحدث عنها الشاعر .

وعلى كل حال ، فإن فن المنظومة لم يعد خلال النصف الأول من القرن العشرين الفن الأول في الأدب الفارسي كما كان في عصوره السابقة ، لأن العصر نفسه لم يعد عصر إسهاب وإطالة ، ونظم آلاف الأبيات ، وتدريج العديد من الحكايات . وإنما كان السبق للقصائد والمقطوعات التي تلاحق الأحداث السياسية والاجتماعية ، وتعبّر عما يكابده المواطنون من ضغوط خارجية وتعسف داخلي .

* * *

الفصل الثاني

كلمة أوربية أم كلمة عربية

الفصل الثاني

كلمة أوربية أم كلمة عربية ؟

ادخال الكلمة الاوربية الى الشعر الفارسي الحديث :

نتيجة لانتاح إيران على أوروبا إبان أواخر القرن الماضي وخلال النصف الأول من القرن الحالي ؛ بدأت اللغة الفارسية تستوعب بعض الألفاظ الأوربية ، وبخاصة تلك التي تتعلق بالمخترعات الحديثة والتي لم يكن لها مقابل فارسي أو عربي متداول في العصور السابقة ، ومن هذه المخترعات الحديثة : البرق « التلغراف » ، والسينما ، فقد قال أشرف الجيلاني :

گر زنی بی سیم از دریا بساحل « تلگراف »

گر کنی خلق « غرامافون » و « سینماتوگراف »^(۱)

۱ - نقلا عن سخنوران ایران در عصر حاضر ج ۲ ، ص : ۲۹۰ والاصل
الانجليزي هو : Cinematograph , Gramophone , Telegraph

وترجمتها :

— أصبح بإمكانك أن تبرق من البحر إلى الساحل لاسلكياً ، وأن
تصنع الحاكي والكاميرا السينمائية .

وقال إيرج ميرزا :

خواب دیدم که خدا بال وپری داده مرا
در هوا قوت سیر و سفری داده مرا
هر کجا قصد کنم می رسم آن جا فی الفور
گویى از برق ، طبیعت اثری داده مرا
نه «تلگراف» به گردهم برسد نه «تلفن»
که خدا سرعت سیر دگری داده مرا (۱)

وترجمتها :

— رأيت في المنام أن الله قد منحني جناحاً وقوادم ، كما منحني القدرة
على التحليق في الهواء ، والأسفار في الجو .
— فأصل على الفور إلى أي مكان أبتغيه ، وكأن الله قد منحني طبيعة
أثيرية أسرع من البرق .
— لذا فلم يلحق بي «تليفون» ولا «تلغراف» ، حيث زودني الله
بقوة في السير غاية في السرعة !

٢ - ديوان ایرج میرزا ، ص : ١ ، والاصل الانجليزي هو :

Telephone , Telegraph

ونتيجة لافتتاح المدارس الحديثة التي أشرفت عليها الإرساليات الغربية في مدن إيران المختلفة ، فقد دخلت إلى اللغة الفارسية بعض المصطلحات الأوروبية الوثيقة الصلة بهذا النمط الجديد من التعليم الذي يختلف اختلافاً بيناً عن التعليم التقليدي الذي كان مرتبطاً بالكتاتيب وأعمدة المساجد ، ومن المعروف أن التعليم الأوروبي الحديث يمنح المتخرج شهادة يطلق عليها في اللغة الفرنسية إسم « دبلوم » ، وقد استخدم هذه اللفظة الشاعر فرخي يزدي في شعره السياسي . حيث اعتبر « قوام السلطنة » معهداً في الحياة وإثارة الفتن ، وعلى هذا فكل من يتصل به وبأعوانه ويتمرس على أفعالهم ، فإنهم ، يمنحونه « دبلوماً » في الحياة والفتن :

از قوام وبستگانش « دپلم » باید گرفت
در خیانت داد هر کس امتحان فتنه را

وترجمتها :

— كل من أدى امتحاناً في إثارة الفتن من منطلق الحياة ، استحق أن ينال « دبلوماً » من قوام وأعوانه .

وقد ارتبط نظام التعليم الغربي الذي أدخل إلى إيران مع الإرساليات بمسميات جديدة للمدارس والمعاهد ، ذكرها إيرج ميرزا عندما تحدث عن الفتاة العصرية التي أمت هذه المدارس ، وتلك المعاهد وأصبحت جديرة بالاحترام وعدم الازدراء ، ولذا طالب برفع حجابها لأن

١ — ديوان فرخي يزدي والاصل الفرنسي : Diplôme

العصمة متعلقة بالخلق لا بغلالة من قماش ، وما دامت الفتاة العصرية قد تعلمت ، فالعلم سلاحها الذي يتيح لها الخروج إلى الحياة العامة مشاركة للرجل حتى ولو نزع الحجاب وبدت سافرة الوجه ، مرتدية ملابس عصرية :

چو زن تعلیم دید و دانش آموخت
رواق جان به نور بینش افروخت
زن رفتہ « کلژ » دیدہ « فاکولتہ »
اگر آید به پیش تو « دکولتہ »
جو در وی عفت و آزم بینی
تو هم در وی به چشم شرم بینی^(۱)

وترجمتها :

- إذا ما أتيح للمرأة أن تحظى بنعمة التعليم ، فإن روحها ستشع بنور العلم والمعرفة .
- وإذا أمّت المرأة المدرسة وذهبت إلى الكلية ، فماذا يضير لو بدت أمامك في ثياب عصرية .
- فإن ترّها متحصنة بالعفة والحياء ، فإنك ستنظر إليها بنجمل واستحياء !
- ونتيجة لما أدخل على الجيش الإيراني من تطوير ، فقد بدأ استخدام الرتب العسكرية الأوروبية ، وانتقلت هذه الألقاب من التعامل بين العسكريين إلى مجال الشعر كذلك ، ومنها :

١ - ديوان ایرج میرزا ، ص : ٨٣ ، والاصل الفرنسي :
Décolleter , Faculté , Collège

دم مزن قافية تنگك است بيا تا برويم
«كُلُئِيل» بر سر جنگك است بيا تا برويم^(۱)

وترجمته :

— لا تشغل نفسك بالقوافي ، فهيا بنا نمضي ، لقد مضى « الكئيل »
صوب المعركة ، فهيا بنا نمضي !

كما استعمل الشاعر كلمة « مائر » حيث قال على لسان زُهرة
وهي تشجع منوچهر على الجلوس معها ؛ فلا رقيب يشي به إلى قائده
ولذا فهو في مأمن من غضب هذا القائد ومن احتمال تعرضه للسجن
والحبس :

نیست در اینجا « مازری » ، محبسی
منصب تو از تو نگیرد کسی^(۲)

وترجمته :

— ليس للقائد أو السجن وجود هنا ، وليس في مقدور أحد أن يسلبك
منصبك ورتبتك .

كما صحب ذلك استخدام بعض أسماء القطع الحربية الأوربية في
الشعر الفارسي ، ومنها على سبيل المثال كلمة « پاراخود » بمعنى سفينة
حربية ، وهي كلمة روسية الأصل ، وقد وردت في بيت قاله ملك
الشعراء محمد تقی بهار ، أثناء حديثه عن محاولة القوات الروسية مساعدة
محمد علي شاه في استعادة العرش :

۱ - المرجع السابق ، ص ۲۱۴ ، والاصل الانجليزي : Colonel

۲ - المرجع السابق ، ص : ۱۰۹ ، والاصل الانجليزي : Major

گفتم قلی اف بیا بیا زود
آماده بکن یکی «پاراخود»^(۱)

وترجمته :

— قلت : هيا ، أسرع يا قلی اف ، وجهّز إحدى السفن الحربية !
كما أورد الشعراء في دواوينهم بعض المصطلحات الحربية والسياسية
التي انتشر استخدامها في خلال الحرب العالمية الأولى والثانية، ومن ذلك ما
قاله بهار ؛ وهو يتحدث عن إعلان الحرب العالمية الأولى :

مَهْ شوال بیاراست سپاهی ز انجم
داد دیشب بمَهْ روزه يك «اولیتما توم»
گفت «بایکوت» عمومی را بردار ز خم
در خمخانه کن آزاد بروی مردم
هم خود از ملك ده استعفا تسا پاس نسیم
ور نه از پاس دهم باش خود آماده بچنگك^(۲)

وترجمتها :

— في البارحة جاء « هلال » شوال مزوداً بجيش من النجوم ، ثم قدم
إنذاراً شديد اللهجة إلى « محاق » رمضان .
— قال له : لتلزم مكنك ولا تبارحه قط ، وانزوي في ركنك متخلياً
عن الظهور أمام الخلق .

١ - ديوان ملك الشعراء بهار ، ج ١ ص ٢١٠ .

٢ - المرجع السابق ، ص : ٢٦٧ (انذار : Ultimatum ، مقاطعة :
Boycott)

ونخلٌ كذلك عن الملك ، فقد حلت نوبتي
ولإ فلتكن الحرب دفاعاً عن حقّي ونوبتي !

ونتيجة لسفر العديد من الإيرانيين إلى أوروبا ، وانبهارهم بالحياة
الاجتماعية هناك ؛ فقد حرص البعض على نقل العديد من الكلمات
الأوربية المتعلقة بالرفاهية والحياة العصرية وما اصطلح عليه باسم
« الاتكيت » إلى الاستعمال اليومي للغة الفارسية ، ثم استخدمها بعض
الشعراء في نظمهم ، ومن هذه الألفاظ :

« مسيو ، مادام ، مادموازل ، پارتي ، پودر ، پارفم ، تأثر ،
رانده وو ، رستوران ، كلوب ، وّالس (رقصة الفالس) ، سيگار
فاميل (الأسرة) ، كراوات (رباط العنق)

إلى غير ذلك من الألفاظ الأوربية التي دخلت الشعر الفارسي ، والتي
لا يمكن حصرها ، وهذه أمثلة لأبيات وردت بها بعض هذه الألفاظ :

قال أميرى في حوار عماده الخداع والحيلة بين ثعلب وجلدي :

بز بیچاره گفت : ای «مسیو»

دوست را در بلا منه بگرو ! (١)

وترجمته :

— قال الجدي المسكين : أيها السيد ، لا توقع صديقك في البلاء ، بل
ساعده وكن عوناً له !

١ — كنچ سخن جلد سوم ، ص : ٢٦٠ والاصل الفرنسي : Monsieur

وقال فرخي اليزدي :

گو «بفامیل» خیانت چشم خود را باز کن
هر که میخواهد شناسد دودمان فتنه را^(۱)

وترجمته :

— قل لأسرة الخيانة ، تنبهوا وتيقظوا ؛ فكم هو هين على كل
من يريد أن يعرف أسرة الفتنة والخيانة !

وقال إيرج میرزا :

از آن لطافت وآن « پودر وپارفم وتوالت»
شبيه «مادماواهای» برن و برلین بود^(۲)

وترجمته :

— وقد أصبحت (تلك المرأة) مما تتسم به من لطف وما تزینت به من
مساحیق وعطور ، شبيهة بآنسات برن و برلین !

وقال ملك الشعراء بهار :

آن « کراوات» که بستم من با آن صافی
نه پسند پوش «مادام» ز بی انصافی^(۳)

۱ - الاصل الفرنسي : Famille

۲ - دیوان ایرج میرزا ، ص : ۱۵ والاصل الفرنسي :
Mademoiselle , Toilette , Parfum , Poudre

۳ - نو بهار ص : ۳ (۲۸ من نوفمبر ۱۹۱۰) ، والاصل الفرنسي :
Cravate, Madame

و ترجمته :

— ورباط العنق الجميل الذي عقدته ، من الأسف أنه لم يعجب
زوجتي أن أرثديه !

وقال إيرج ميرزا :

زن روبسته را ادراك و هوش نيست
« تأثر ورستوران » ناموس كش نيست : (١)

— لقد عدت المرأة المحببة كل إدراك وحصانة ، كما ليس لها أي
خبرة بأسلوب التعامل في المسرح أو المطعم !

★ ★ ★

القماي في تيار « الفرنجة » والتصدي لوقفه :

بعد أن زاد عدد الإيرانيين الذين أموا مدارس الإرساليات الأجنبية
في طهران وغيرها من المدن الإيرانية ، كما زاد عدد الذين سافروا إلى
أوروبا للدراسة أو السياحة ، بدأ الاتجاه إلى إدخال بعض الكلمات
الأوروبية في الاستعمال اليومي للغة الفارسية ، وفي الأدب الفارسي شعره
ونثره يزداد بالتدريج ، إلى أن أخذ هذا الاتجاه يبدو وكأنه تيار جارف
يكاد يهز اللغة الفارسية هزة عنيفة ، ويقلب موازينها التي استقرت عليها
منذ الفتح الإسلامي لإيران وحتى أوائل القرن العشرين ، وهكذا
وقف الأدباء منتسمين على أنفسهم ، فجماعة كبار الأدباء يرون

١ - ديوان إيرج ميرزا ، ص : ٧٩ ، والاصل الفرنسي :

Restaurant, Théâtre

ضرورة الحفاظ على اللغة الفارسية التي ورثوها عن الأقدمين ، وحتى يكون في مقدور الأجيال الحالية والقادمة فهم أشعار حافظ وسعدي والفردوسي وألا يخطيء الإيرانيون خطأ تركيا الحديثة عندما تخلت عن الخط العربي في كتابة اللغة التركية ، وهكذا لم يعد في مقدور الجيل التركي الجديد الاطلاع على تراث الآباء والأجداد المدون بالتركية .

أما جماعة الشبان من الأدباء ، فقد طالبوا بفتح الأبواب على مصاريعها لإدخال كل كلمة أوربية يمكن للغة الفارسية أن تستوعبها ، فاللغة الفارسية لغة هندوأوربية ولا غرابة — في رأيهم — أن تأخذ اللغة الفارسية كلمات ومصطلحات عن إحدى لغات هذه المجموعة .

وهكذا انهارت الألفاظ الأوربية من فرنسية وإنجليزية وروسية على اللغة الفارسية ، مما شكل صعوبة كبرى على الإيرانيين لفهم ما يكتبه هؤلاء الأدباء الشبان ، فذهب العديد من كبار أدباء إيران للتصدي لهذا التيار غير المسئول وكتبوا الأشعار والمقالات منبهين إلى خطورة هذا العمل ، ساخرين من أصحابه ، ومما ألم بهم من شعور بالنقص يريدون مداراته بادعائهم العلم والمعرفة عن طريق الثروة وإطلاق اللسان ببعض الكلمات الأوربية .

ومن الأدباء الذين حذروا من هذا الاتجاه ، وطالبوا بالتصدي له الأديب الكبير العلامة محمد بن عبد الوهاب القزويني في كتابه القيم بيست مقاله الجزء الأول ، ومما قاله :

« إن كتابة الفارسية في إيران إبان السنوات الأخيرة أصبحت — في الحقيقة — من قبل النواذر وأعجب العجائب وثالثة السيمرغ والكيما — فإن استطعنا أن نتدارس اللغة الفارسية السائدة اليوم أمكننا القول

دون مبالغة أو لإغراق ، أنه إن تواصل اللغة الفارسية مسيرتها على هذا المتوال وبما يسودها من اضطراب وفوضى وتخط ، وذلك لمدة عشر أو عشرين سنة أخرى ، فعما قريب ستلاشى تماماً فارسية كل من سعدي وحافظ ، وتحل محلها لغة جديدة مركبة من عدة عناصر فارسية وعربية وفرنسية وروسية وإنجليزية وتركية وتكون شبيهة تقريباً باللغة الأوربية في الهند ، أو باللغة العربية في الجزائر .

ومن الذين سخروا من هذا الاتجاه — على الرغم من إبراده كلمات أوربية في شعره — الشاعر إيرج ميرزا ، فقد عبر في منظومته القيمة « إنقلاب أدبي » عن رأيه في دعاة التجديد واتهمهم بالجهل وعدم القدرة ، وأن امتناع كبار الكتاب عن قبول دعوتهم ، ليس نابغاً عن عجز أو تقصير أو عدم دراية باللغات الأوربية ، بل عن أصالة يحاولون الحفاظ عليها ، ونقاء يودون أن تظل الفارسية متسمة به ، ولكي يبرهن هؤلاء الشبان على أن بإمكانه إدخال كلمات أوربية في نظمه الفارسي ، أورد — خلال منظومته هذه — قطعة شعرية قوامها تسعة أبيات 'غُصَّتْ بِالْأَلْفَاظِ الْفَرَنْسِيَّةِ ، وَلَعَلَّهُ أَرَادَ الْقَوْلَ بِأَنَّ هَذِهِ الْقِطْعَةَ الَّتِي أَنْظَمْتُهَا عَلَى غَرَارِ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ ، هَلْ فِي مَقْدُورِ أَحَدٍ مِنَ الْعَامَّةِ أَوْ حَتَّى الْمُتَعَلِّمِينَ الَّذِينَ لَا يَعْرِفُونَ الْفَرَنْسِيَّةَ فَهْمَهَا ؟ إِذَا كَانَ الْجَوَابُ بِالنَّفْيِ ، فَلَمْ نَكْتُبْ بِلُغَةٍ لَا يَفْهَمُهَا الشَّعْبُ بِكُلِّ طَوَائِفِهِ ؟

هذه هي القطعة التي نظمها إيرج ميرزا ، وكم يصعب على أي قارئ إيراني لا يعرف الفرنسية فهم النص الفارسي ، على الرغم من أن الأبيات قد سطرت بخط فارسي ، ووفقاً لأوزان الشعر الفارسي :

بسكه در « ليور » وهنگام « لته »
« دوسيه » کردم و « کارتن » و « ترته »

بسکه «نُت» دادم و «آنکت» کردم
 اشتباه بروت و «نِت» کردم
 سوزن آوردم و سنجاق زدم
 «پونز» و «بَنس» به اوراق زدم
 هی نشستم به مناعت پس میز
 هی تپاندم «دوسیه» لای «شمیز»

ه - هی «پاراف» هشتم و امضا کردم
 خاطر مدعی ارضا کردم
 گاه با زنگک وزمانی با هو
 پیشخدمت طلبیدم به « بورو »
 تو بمیری ز «آمور» افتادم
 از شر و شور و شعور افتادم
 چه کنم ز ان همه «شیفر» و «نومرو»
 نیست در دست مرا غیر «زرو»
 هی بده کارتن و بستان دوسیه
 هی بیار از در دکان نسیه (۱)

۱ - دیوان ایرج میرزا ، ص : ۱۲۴ ، والكلمات الاوربية التي وردت هي :			
L'été	: الصيف	L'hiver	: الشتاء
Carton	: صندوق من ورق	Docier	: ملف
Note	: مذكرة	Traite	: توضيح ، ترتيب
Net	: تصحيح ، صحيح	Enquête	: تحقيق ، فحص
Pins	: دبابيس	Pons	: مشبك
Paraphe	: توقيع بالاحرف الاولى	Chemise	: رداء ، قميص
Amour	: حب ، عشق	Bureau	: مكتب ، دفتر
Numero	: عدد	Chiffre	: رقم
		Zéro	: صفر

وثرجمتها :

— ما أكثر ما قُمتُ في الصيف والشتاء بترتيب الملفات وإعداد
الصناديق .

— وما أكثر ما دونت الملاحظات ، وصححت الأخطاء ، وجعلت الأعمال
غاية في الدقة .

— وأحضرت الدبابيس ودبست الأوراق ، وشبكت الأوراق بعضها
بالبعض الآخر .

— وجلست باتزان خلف المكتب ، وشُغلت ببطي الملفات ، كما يطوى
القميص .

هـ — وكم وقعت توقيعاً مختصراً ، أو بتوقيعي كاملاً لإرضاء لرغبة
صاحب الحاجة !

— وكنت أستدعي الساعي إلى مكنتي ، إما بدق الجرس أو برفع عقيرتي
بالنداء .

— سيلحق بك الفناء مما أنت فيه من عشق وهوى ، أما أنا فسأسلم
الروح بما أنا فيه من مشقة وشدة الفعل !

— وأي جدوى من وراء هذه الأعداد وتلك الأرقام ، ويداي خاليتان
إلا من الأصفار !

— وهكذا تمضي أيامنا بين « نخذ ملفاً » « وهات صندوقاً » ، ثم
« لتشتري لنا شيئاً بالأجل من البقال » !

* * *

الموقف من الكلمات العربية :

تبعث دعوة هؤلاء الشبان إلى إدخال ألفاظ أوربية إلى اللغة الفارسية ؛ دعوة أخرى تطالب بالتخلي عن الكلمات العربية التي استقرت في اللغة الفارسية منذ ما يزيد عن الألف عام ، وإحلال كلمات أوربية محلها ، فالكلمة العربية دخيلة على مجموعة اللغات الهندية الأوربية التي تعد الفارسية واحدة منها ، لذا يجب أن تأخذ الفارسية من إحدى اللغات الهندية الأوربية ، وألا تأخذ أي كلمة من اللغة العربية ، وادّعوا أن النجاح في إخراج الكلمات ذات الأصل العربي من اللغة الفارسية ؛ سيأخذ بيد الأدب الفارسي ، ويجعله يبلغ مرتبة الآداب الأوربية المتقدمة في ذلك الوقت .

وكما تصدى كبار الأدباء إلى دعاة الفرنجة في إدخال الكلمة الأوربية إلى اللغة الفارسية ، فإنهم تصدوا كذلك إلى دعوة هؤلاء المتفرنجين المطالبين بإخراج الكلمات العربية من اللغة الفارسية ، وبينوا لهم أنه لا بقاء للغة الفارسية بدون الكلمة العربية ، وأن المعجم الفارسي لا يمكن أن يستقل عن الكلمات العربية التي دخلت إليه ، واكتسبت حق المواطنة بعد أن استقرت في الأرض الفارسية أكثر من ألف عام .

ومن الذين رفضوا دعوة هؤلاء المتفرنجين العلامة محمد بن عبد الوهاب القزويني في كتابه بيست مقالة الجزء الأول ، ومما قاله في هذا الصدد :

« ... ومن الأمور الأكثر إثارة للتعجب والدهشة ، ما يتردد وراء الأستار والحجب بين مدعي التجديد في هذا العصر من أنهم يسعون إلى إخراج جميع الألفاظ العربية من اللغة الفارسية ، بحجة أن اللغة العربية عنصر خارجي ، وقد اجتاحت اللغة الفارسية بسبب بعض الظروف التاريخية القهرية ، ودخلت في معجمها ، ولكن هؤلاء الأفراد أنفسهم

لا يتحرزون من استعمال الكلمات والمصطلحات الأوربية . وبأقل نظرة يمكن مشاهدة الكلمات الفرنسية والإنجليزية والألمانية وغيرها في كتاباتهم ، وهذا التناقض أدعى إلى العجب . فالكلمات العربية أولاً قد دخلت اللغة الفرنسية منذ قرابة ألف عام ، وعن طريق قدم الهجرة وكثرة الاستعمال أكثر من ألف عام في اللغة الفارسية ، وطول مدة الإقامة ، فقد تخلت عن جنسيتها الأولى ، وقبلت التبعية للغة الثانية ، فاكسبت بذلك « حق المواطنة » في اللغة الفارسية ، ولم يعد ينظر إليها على أنها عنصر خارجي مرة أخرى . مثلها في ذلك مثل أي عائلة هندية هاجرت منذ سنوات من الهند إلى إيران ، وفي إيران عاشت وتوالدت والآن لم تعد هندية مرة أخرى . أو مثل تلك القبائل العربية التي وفدت إلى إيران في صدر الإسلام مع الجيش الفاتح أو للتجارة والفلاحة والزراعة مثل الشيبانيين والغفاريين والأنصاريين والخالدين وغيرهم .. ويحق لي هنا أن أسأل هؤلاء الذين يدعون التجديد هذا السؤال : هل يعتبرون سادات إيران إيرانيين أم أجانب ؟ وهل تستطيعون إخراج جميع السادات والشيبانيين والغفاريين والأنصاريين وغيرهم من إيران أو على الأقل منحهم أية هوية أجنبية ؟

إن تعدوا السادات وسائر أحفاد القبائل العربية أجانب وتمنحهم هويات أجنبية ، فلتعدوا الكلمات العربية التي جاءت معهم إلى إيران قبل ألف سنة ، أجنبية كذلك . ولتخرجوها من اللغة الفارسية . أما إن اعتبروا السادات وأحفاد العرب إيرانيين وتابعين لدولة إيران ، فلتعتبروا الكلمات العربية هي الأخرى فارسية ، وطابق النعل بالنعل ، إذ لا فرق بين المسألين مطلقاً .

واللغة الفرنسية التي تفتخرون باستعمال كلماتها ومصطلحاتها في أحاديثكم وتدعون الفضل بهذه الطريقة السهلة والرخيصة ، أكثر من

تسعة وتسعين في المائة من كلماتها لاتينية أو يونانية ، ولا يوجد بها إلا قلة قليلة للغاية من كلماتها — وهذه لا تتعدى الواحد في المائة — كانت تقطن هذه الأرض — أرض فرنسا — فلماذا لم يخطر ببال أي فرد من الأمة الفرنسية العريقة ، والتي تتشبهون بها في كل الأمور ، أن يخرج الألفاظ اللاتينية واليونانية من لغته الفرنسية فيجب عليكم على الأقل أن تقلدوهم في هذا الأمر . ولا تضيعوا أعماركم الغالية . وأعمار القراء السذج بهذه الترهات التي لا طائل من ورأها »

ثم يواصل هجومه على هؤلاء الدعاة محذراً إياهم من أن مسلكهم هذا سيقوض دعائم اللغة الفارسية وسيضعف الأدب الفارسي ، ويحرم الأجيال القادمة من فهم الروائع الأدبية الخالدة عن الفردوسي وحافظ وسعدي ونظامي وغيرهم ممن كتبوا لغة فارسية ممزوجة بالكلمات ذات الأصل العربي ، فقال :

... « إن هذا الكنز العظيم الذي قدمته لنا جهود مضيئة بذلت طوال ألف سنة من المتاعب والآلام المبدولة من أشخاص قل وجود نظائرهم في الدنيا ، وهم الرودكي والفردوسي والعنصري ونظامي والحقاني وسعدي وحافظ وغيرهم ، نقوض دعائمهم ونحطمه بلا مقابل وبسهولة ويسر ، وبلا أي قهر أو ضغط ، وإنما لمجرد التقليد الأعمى للأوربيين ... »

وقد شارك الشاعر ميرزا ، العلامة القزويني في بيان أهمية اللغة العربية لكل أديب فارسي . وأن سر تفوق أي أديب إيراني في القديم أو الحديث كامن في تمكنه من اللغتين الفارسية والعربية معاً ، وليس في مقدور أي أديب لا يعرف العربية ، ولا يحسن استخدام الكلمات العربية التي دخلت اللغة

الفارسية استخداماً بليغاً فصيحاً ، أن يكون أدبه ذا قيمة ، أو
أن يكون هو ذا شأن بين أدباء عصره أو بين أدباء الأدب
الفارسي عبر عصوره المختلفة ؛ وبما قاله في هذا الشأن :

این جوانان که تجدد طلبند
راستی دشمن علم وادبند
شعر را در نظر اهل ادب
صبر باشد و تد و عشق سبب
شاعری طبع روان می خواهد
نه معانی نه بیان می خواهد
آن که پیش تو خدای ادبند
نکته چین کلمات عربند
هر چه گویند از آن جا گویند
هر چه جویند از آن جا جویند^(۱)

وترجمتها :

— إن هؤلاء الشبان الذين يطالبون بالتجديد ، ليسوا في الحقيقة
سوى خصوم للعلم والأدب
— لا بـد للشعر في نظر أهل الأدب ، أن يكون الصبر وتدّه ،
والعشقُ سببّه

۱ - دیوان ایرج میرزا ، ص : ۱۲۲ .

- الشعر يتطلب عذوبة الروح ، أكثر مما يتطلب من معانٍ وبيانٍ .
- من يبدو أن أمامك أرباباً للأدب ، قد تبهر جميعهم في لغة العرب .
- فكل ما يقولونه مستمد من هذا المنهل ، وكل ما يبحثون عنه كامن في هذا المورد !

ومن الذين تصدوا لدعاة التجدد والمطالبين بإخراج الكلمات العربية من المعجم الفارسي ، العلامة تقي زاده ، فقد ألقى محاضرة قيمة عنوانها « ضرورة المحافظة على اللغة الفارسية الفصحى .. » ونظراً لأهميتها واهتمام الأوساط الأدبية بها ، بادرت مجلة « يادگار » بنشرها كاملة في عددها السادس من العام الرابع ، ولعل تقي زاده قد زاد عليها عند نشرها ، حيث جاءت في أربعين صفحة كاملة من صفحات المجلة ذات القطع المتوسط . ولا شك أننا لن نستطيع إيراد المقالة بكاملها ، بل سنكتفي بذكر بعض ما جاء فيها دفاعاً عن الكلمة العربية في اللغة الفارسية ، وأن اللغة الفارسية هي المستفيدة من ذلك ، ولا يمكن أن تتخلى عن آلاف الكلمات العربية التي لولاها لأصبحت اللغة الفارسية بفقر دم وزوال سريع ، ومما جاء في هذه المقالة :

.... إن إخراج الكلمات ذات الأصل العربي من اللغة الفارسية، واعتبار مئات بل آلاف الألفاظ التي تداولت في الكُتُلتان والبوستان وديوان حافظ وأشعار الفرخي وحتى في شاهنامه الفردوسي أجنبية ، لا يعد سوء قصد عظيم يحاق باللغة الفارسية والوطنية الإيرانية فحسب، بل يعد إضعافاً وإلحاق الفقر عن عمد وجهل باللغة الفارسية الغنية ، وإلقاء ركن أساسي من الثروة القومية في مهب الرياح

وذلك كمن يلقي عن عمد ثلاثة أرباع الأثاث من منزله بحجة أنه
صناعة أجنبية ، ثم يحضر مكانه قطعتين أو ثلاثاً من أثاث قديم
خلفه الأجداد ... ! ! (١)

ويرى تقي زاده أن من الجهل الإصرار على تسمية الكلمات
ذات الأصل العربي ، كلمات عربية ، فقد اكتسبت المواطنة بعد
أن استقرت في المعجم الفارسي أكثر من ألف عام ، وعلى هذا فلا
يجب أن يفرق الكاتب أو الشاعر بين لفظة ذات أصل بهلوي وكلمة
ذات أصل عربي ، فكلاهما فارسية الأصل ما دامت قد ذكرت
في المعجم الفارسي :

« ... لأنني لا أعرف على وجه الحقيقة ، لماذا يصبر البعض على
تسمية الكلمات الفارسية ذات الأصل العربي بأنها كلمات عربية ؟
... إن شرط اكتساب المواطنة والتمتع بالجنسية لأي أجنبي في
الممالك الأخرى هو الإقامة مدة خمس سنوات أو عشر. كما
أنه إذا وُلد شخص من أبوين أجنبيين في بلد ، اكتسب حق
المواطنة في تلك البلد بمجرد أنه ولد على أرضها ... إذا كان هذا
هو القانون العام ، فلماذا تحرم الألفاظ العربية التي استقرت في
اللغة الفارسية أكثر من ألف عام من حق المواطنة واكتساب الجنسية
الفارسية ؟ وإذا كانت الإقامة مدة ألف عام لا تسمح بمنح الجنسية
وحق المواطنة فيجب إبعاد جميع سادات إيران وأبناء الطوائف
الشيعانية والغفارية والثقفية والنخفية وغيرهم ممن يعدون إيرانيين
حقاً ، وترحيلهم إلى اليمن والحجاز ... » (٢)

١ - آقاي تقي زاده : لزوم حفظ فارسي فصيح ، يادكار ، سال چهارم ،
شماره ششم ، اسفند ١٣٢٦ هـ . ش (فبراير - مارس ١٩٤٨) ، ص : ١٤
٢ - المرجع السابق ، ص : ١٢ .

ويتساءل الكاتب عن السر الذي من أجله يعادي هؤلاء الشبان - ممن يدعون التجديد - الكلمات العربية التي دخلت اللغة الفارسية دون سواها ؛ فقد دخلت إلى المعجم الفارسي ألفاظ تركية وهندية وأرمنية وبابلية وغيرها من اللغات ، فلماذا لا يطالبون بإخراج كل الكلمات الأجنبية ويقصرون دعوتهم على إخراج الكلمات العربية دون سواها ؟

« ... ليس من المعلوم على وجه اليقين أي سند حقيقي يعتمد عليه هؤلاء في موقفهم العدائي ضد الكلمات العربية ، فإذا كنا نطالب بإخراج الكلمات الفارسية ذات الأصل العربي بحجة أنها لم تكن في لغة الآباء والأجداد أيام داريوش وخشيارشا^(١) ، وزردشت ، فلماذا لا نجد هذا العداء وتلك الخصومة ضد الكلمات الأجنبية الأخرى التي دخلت اللغة الفارسية ، ولماذا لا نطرد الكلمات ذات الأصل اليوناني أو السرياني أو الهندي أو الأرمني أو البابلي أو التركي والتي ما زالت مستخدمة في اللغة الفارسية ؟ .

ثم أي ذنب اقترفته اللغة العربية غير تنمية اللغة الفارسية وإثرائها ؟

إن إخراج الكلمات العربية المتداولة طوال ألف عام يعد جرمًا لا يغتفر ، إذ من المعروف أن الكلمات الفارسية الأصيلة في لغتنا الحالية محدودة للغاية ، كما أن إحياء الكلمات الفارسية المهجورة أمر غاية في الصعوبة ، وإذا استخدمت فلن يكون الأسلوب سلساً ولن يكون المعنى مستقيماً ...^(٢)

١ - من ملوك إيران قبل الإسلام .

٢ - المرجع السابق ، ص : ٢١ .

ويواصل تقي زاده تصديده لدعاة الفرنجة ، وبينهم بأن اللغة العربية بمثابة الأم لجميع اللغات الإسلامية ، وبالتالي لا تستطيع أي لغة إسلامية البقاء والاستمرار إلا إذا اعتمدت على اللغة الأم ، واللغة العربية تشبه اللغة اللاتينية بالنسبة للغات الأوروبية ، فإذا كان الأوروبيون على اختلاف لغاتهم يعترفون بهذه الصلة التي لا فكاك منها بين لغاتهم القومية واللغة اللاتينية ، فكيف يطالب هؤلاء الذين ينادون بالتجدد الفكاك بين اللغة الفارسية واللغة العربية ؟ وما قاله :

« اللغة العربية بالنسبة للغات الشرقية بمثابة اللغة اللاتينية بالنسبة للغات الأوروبية ، فجميع اللغات الأوروبية وبخاصة الفرنسية والإنجليزية وكذلك الألمانية مشبعة بالألفاظ اللاتينية ، بل إن هذه اللغات قد اقتبست ألفاظاً كثيرة — علاوة على الألفاظ اللاتينية — من اللغتين العربية والفارسية ومن غيرهما ، فلماذا لا يطالب هؤلاء بتقنية لغاتهم من الألفاظ اللاتينية ، أو حتى من الألفاظ الأجنبية من غير اللاتينية ؟ » (١)

ثم ضرب مثلاً باللغة الإنجليزية ونسبة الكلمات الأجنبية التي دخلتها ، ومع هذا لم يحاول أحد في إنجلترا إخراج هذه الكلمات الأجنبية ، أو حتى فكر في اعتبار هذه الكلمات أجنبية لا تحمل الهوية الإنجليزية ، وبالتالي وجب على الإيرانيين أن ينظروا إلى الكلمات الفارسية ذات الأصل العربي على أنها فارسية لحماءة ودماء : «... إن قسماً كبيراً من اللغة الإنجليزية أصله كلمات أجنبية ؛ فقرابة

١ - المرجع السابق ، ص ٢٦ .

الأربعين في المائة من الكلمات الإنجليزية من أصل لاتيني وفرنسي، ولكن الإنجليزي بلا أدنى تفرقة يعتبر جميع الكلمات التي يتداولها ألفاظاً إنجليزية أصيلة، وأن هذا الاختلاط وذلك الامتزاج مبعث تلك الثروة اللغوية العظيمة التي تحظى بها اللغة الإنجليزية... ولا شك أن الألفاظ الأجنبية التي دخلت المعجم الإنجليزي لا تقل في نسبتها بحال من الأحوال عن نسبة الكلمات الأجنبية التي دخلت المعجم الفارسي ... »

وهكذا كان تقي زاده مخلصاً للغة الفارسية، حريصاً على بقائها ثرية بفضل الكلمات ذات الأصل العربي، فهو لم يطالب ببقاء الألفاظ العربية خادمة للغة العربية، وإنما حفاظاً لبقاء المعجم الفارسي غنياً واسعاً.

★ ★ ★

ونضيف إلى هذا الموقف وغيره من مواقف كبار الأدباء في إيران؛ موقف ملك الشعراء بهار المدافع عن بقاء الصلة قوية بين اللغتين الفارسية والعربية، وذلك عندما وجه رسالة على لسان إيران إلى جميع الإيرانيين، وقد طالبهم فيها بعدم الانسياق وراء التفرنج ومعاداة اللغة العربية، ولا بد وأن يحافظ الشرقي على شقيقته، ولا مانع من الإفادة من علوم الغرب وحضارته دون أن نفقد مقومات شقيتنا. وقد سبق ذكر رأيه هذا في الفصل الثاني من الباب الثاني بهذا الكتاب ^(١)

★ ★ ★

وهكذا تصدى عدد كبير من كبار الأدباء والعلماء في إيران لتلك الدعوة غير المسئولة التي كانت - إذا تحققت - ستصيب اللغة

١ - انظر ص : ١٦٦ وما بعدها .

الفارسية بالضمور الذي يؤدي إلى الاضمحلال والزوال بعد ذلك .
وانتهى الأمر بأن انحسرت هذه الموجة ، وبقيت الكلمات الفارسية ذات الأصل العربي في المعجم الفارسي ، وواصل الأدباء وكذلك العامة استخدامها في أحاديثهم ولنتاجهم دون تفكير في أصولها القديمة . وطالما بقيت الفارسية لغة حديث ، ولغة أدب ، فستظل الكلمات العربية الأصل مستخدمة بين العامة والخاصة ، بينما انحسرت موجة استخدام الألفاظ الأوربية ، واقتصر ذلك على الألفاظ المتعلقة بالمخترعات الحديثة ، وكذلك المصطلحات الأوربية التي استخدمت بنفس المسمى في معظم اللغات الحية في العالم .

* * *

الفصل الثالث

الشعر النسائي

الفصل الثالث

الشعر النسائي^(١)

تقديم :

يلاحظ أي دارس للأدب الفارسي عبر عصوره المختلفة - قبل العصر الحديث - خلو هذا العالم المتلاطم بالأفكار والأنماط الأدبية

١ - تحدثنا في نهاية الفصل الثالث من الباب الثاني عن مشاركة بعض الشاعرات في الدعوة لتحرير المرأة فسي إيران ، ولكن إلى جانب اهتمامهن بهذه الدعوة ، فإن الكثيرات من الشاعرات الايرانيات خلال النصف الاول من القرن العشرين قد نظمن في اغراض عدة، ولم يقصرن نظمهن على هذه الدعوة وحدها . ويكفي لبيان ذلك مراجعة كتاب واحد مكون من ثلاثة أجزاء ، وهو « زنان سخور » ، تأليف علي اكبر مشير سليمي الذي اهتم بجمع أخبار كل من نظمن أو كتبن في القديم والحديث . فكتب عن كل شاعرة أو كاتبة نبذة عن تاريخ حياتها ، ثم أورد عدة شواهد من إنتاجهن ، ويلاحظ أنه أورد في كتابه القيم هذا ، ذكر أكثر من مائتي سيدة وفتاة عشن في النصف الاول من القرن العشرين وقرضن الشعر ، وذكر أن دواوين بعضهن قد طبعت وتداولها القراء ، كما رحبت الصحف والمجلات بنشر مقتطفات من أشعار البعض كذلك . وبطبيعة الحال لسن جميعا على المستوى المرموق والأخاذ ، ولكن ما يهمنا هنا أن هذه الكثرة تمثل ظاهرة هامة في حد ذاتها ، هذا اذا تفاضينا عن المستوى المطلوب إلى حد ما ، وأمام هذه الظاهرة الملفتة لنظر أي دارس للأدب الفارسي الحديث ، أثرت أن أخص



المختلفة من شاعرة مجيدة ، أو أدبية فذة ، يفاخر بها الإيرانيون غيرهم كما يفاخرون ويعتزون بالأعلام من الرجال أمثال : الفردوسي ونظامي والمولوي والخيام والطار وحافظ والغزالي وابن سينا والبيروني وغيرهم من كبار شعراء ومفكري إيران والعالم الإسلامي بل العالم كله .

من الحق القول بأنه وجدت شاعرات وأدبيات في العصور السابقة أمثال : رابعة القزدارية (القرن الرابع الهجري) ، مهستي (القرن السادس الهجري) ، وبادشاه خاتون (القرن السابع الهجري) وقرة العين (القرن الحادي عشر الهجري) ... وغيرهن ، ولكن لم تبلغ إحداهن مبلغ أترابها من الرجال ، ولعل مرجع ذلك إلى أن المجتمع الإيراني كغيره من المجتمعات الشرقية كان مجتمع رجال بالدرجة الأولى ، وبالتالي لم تتح الفرصة للمرأة النابهة أن تفرض وجودها وقوة بيانها في عالم ينظر إليها بازدراء وإقلال .

ولكن ما أن جاء العصر الحديث ، وبدأت المرأة تشارك الرجل في التمتع بثمار العلم ، والخروج إلى معترك الحياة العملية ، حتى أخذت تشعر بذاتها وكيانها ، وأن من حقها أن تشارك الرجل كذلك في التعبير عما يحول بداخلها من عواطف وأحاسيس ، وأن تخرج هذه الأحاسيس في صورة قصيدة غزلية أو رباعية ، أو في قوالب أدبية أخرى كالقصة والمسرحية ، ورويداً ورويداً بدأ الشعر النسائي يظهر بشكل ملحوظ إما



الشعر النسائي بهذا الفصل ، لعل بعض المهتمين بدراسة الأدب الفارسي يولون هذه الظاهرة عناية أكبر ، ويخصونها بدراسة مفصلة تبين أسبابها وظواهرها الأدبية ، وأثرها على الحياة الأدبية الإيرانية . ومن الأمانة الاعتراف بأنني اعتمدت على كتاب « زنان سخنور » كثيراً في هذا الفصل لأنني لم أتمكن من الحصول على دواوين هؤلاء الشاعرات ، عدا ديوان الشاعرة بروين اعتصامي .

على صفحات الصحف والمجلات ، وإما في صورة دواوين كاملة سرعان ما تقبها القراء من الرجال والنساء على حد سواء . مما شجع بعض الشاعرات على زيادة النظم وقرض الشعر . ولإعادة طبع الدواوين المرة تلو المرة .

ويكفي للتدليل على صحة هذا القول أن نضرب المثل بديوان الشاعرة المجيدة بروين اعتصامي المتوفاة عام ١٩٤١ م ، والتي خلفت لنا على الرغم من قصر عمرها - عاشت أربعة وثلاثين عاماً فقط - ديواناً شعرياً ، بلغ عدد أبياته ما يقرب من خمسة آلاف بيت ، وقد طبع أكثر من خمس مرات حتى الآن ، وبلغ مجموع نسخ الطباعات الخمس ثلاثة وخمسين ألف نسخة ، وهذا العدد جد كبير بالنسبة لحالة النشر والتوزيع في إيران وغيرها في دول الشرق كله ، وبهذا الخصوص قال العلامة الراحل سعيد نفيسي : لا يوجد بين المعاصرين من حظي إنتاجه بما حظي به ديوان بروين من اهتمام وحرص على الإقتناء من القراء والمهتمين بالأدب .^(١)

وإذا كانت المرأة قد أصبحت شريكة للرجل في كل الحقوق والواجبات ، فإنهن كشاعرات قد شاركن الرجل في التعبير عما يحول في المجتمع من أفكار وآراء ، وما يدور في ذهن الكائن البشري من أحاسيس وخلجات ، ولهذا جاء شعر المرأة في العصر الحديث متعدد الأغراض ، متنوع الأنماط ، وإن أولت بعضهن عالم المرأة ، وعالم الأسرة عناية أكبر ، واهتماماً أعظم ، لارتباط هذه الموضوعات بنفسية المرأة أكثر من ارتباطها باهتمام الرجل وتفكيره .

١ - انظر : شاعرة إيران بروين اعتصامي ، للمؤلف ص ٥٩ ، ومقدمة الطبعة الخامسة من الديوان ، ص : د

وبطبيعة الحال ، لن نستطيع - في هذه الدراسة المقتضبة - تقديم نماذج لكل الأغراض الشعرية التي نظمت فيها المرأة ، ولكن سنكتفي بذكر أمثلة سريعة توضح كيف استطاعت المرأة أن تغزو ميدان الشعر وتثبت تفوقاً فيه ، وأنها لم تعد ملهمة للشعراء فقط ، بل أصبحت كذلك معبرة عما يجول بخاطرهما من أفكار ، ومالكة لسحر البيان وقوة الخيال ...

المرأة والرجل :

من القضايا التي تشغل بال المرأة على الدوام نظرتها إلى الرجل ، ومدى نظرة الرجل إليها ، ولعل موقف الرجال من النساء عبر العصور القديمة ، قد ولد خوفاً لدى الشاعرة « ماهرخ » من الرجال ، ولذا نراها تدعوبنات جنسها لرفع شعار جديد للمرأة ، وليكن هذا الشعار هو « إيذاء الرجال » :

« شعار زنان »

كاش من هرگز نبیم روی افسونکار مردان
چشم پر کین قلب پر تزویر و آتشبار مردان
سخت بیزارم از این افراد دون همت خدایا
ریشه کن فرما زین نسل بد بدکار مردان
وای این بیچاره زن باشد اسیر دام آدم
رنج و حرمان ببند او از زشتی کردار مردان
کاش جنگی در گرفتن در میان مردان وزنها
لیک پیروزی زنان را بود در پیکار مردان

۵ - آیت لطف خدا زن کی تو اندر دام سازد
 طبع بوقلمونی و ارواح بد هنجار مردان
 چیست اینمرد؟ اینسرا پا پر ز مکر و رنگت کاخر
 مات و گنگم کرد خبث طینت بیعار مردان
 وای وای از خوی این نابخردان پر تمنا
 پیرو امیال شهوانی بود افکار مردان
 با همه غور و تأمل بعد عمری گنجکاو
 باراهسا سر نیاوردم در از اسرار مردان
 بر حذر باشید از نیرنگ مردان ، ماهرویان
 بیش از این باید شعار خود کنید : «آزار مردان»^(۱)

و ترجمتها :

«شعار النساء»

— ليتني لم أر على الإطلاق وجوه هؤلاء الرجال المخاتلين ، إن
 الرجال عيونهم مملوءة بالأحقاد ، وقلوبهم غاصّة بالخداع .
 — إلهي ! أسألك العون ، فكم أصابتنّي المحن من الرجال السيّثي
 الخصال ! لتأمر باجتماع جذور نسلهم السيّء الطويّة القبيح
 الفعّال !

۱ - زنان سخنور ، ج ۲ ، ص : ۱۴۵ . ولدت ماهرخ في بندر بهلوي،
 ثم رحلت مع أسرتها الى طهران حيث أكملت تعليمها هناك . بدأت ماهرخ تنظم
 الشعر وهي طالبة بالمدسة الثانوية ، مما حدا ببعض اساتذتها الى تشجيعها
 وتنمية الموهبة عندها ، وقد نشرت مجموعة من اشعارها تحت عنوان :
 « دلهاي شکسته » اي قلوب محطمة ، ونشرت مجموعة أخرى تحت عنوان :
 « یادگار هاي دلي شوریده » اي « منکرات قلب کسير » .

— واحسرتاه على هذه المرأة المسكينة التي تكون في إسار رجل ، إنها تعاني الآلام والمحن ؛ وهذه هي أفعال الرجال !

— ليت الحرب تشتعل بين الرجال والنساء ، ليكون النصر في هذا العراك للنساء على الرجال !

هـ — المرأة آية للطف الحق ، فكيف تزج بها أيها الرجل في الشباك والأسر؟ ولكن هكذا جُبِّل الرجال على الخداع ، وطُبِّعت أرواحهم على الشر !

— ما حقيقة الرجل ؟ إنه بنيان ضخم من المكر والخداع ، لذا فقد أصابنا العناء والإهمال دائماً على أيدي هؤلاء الأندال !

— الحذر الحذر من تصرف أولئك المفعمين بالأنانية والجهل ، فلا يجول بخواطهم غير الهوى والشهوة !

— لقد بذلتُ عمراً مديداً في التقصي والبحث ، إلا أنني لم أستطع فهم حقيقة الرجال .

— فالحذر ، الحذر يا مليحات الوجوه من خداع الرجال ، بل ليكون شعاركن بعد كل هذا : « إيذاء الرجال » !

أرجو ألا تتحقق دعوة الشاعرة ، وتشتعل الحرب بين الرجال والنساء ، حيث الخسارة تعم الجميع ، وعلى كل حال فإن هذا موقف شخصي للشاعرة « ماهرخ » وحدها ، وليس موقفاً عاماً بالنسبة للمرأة الإيرانية ، فالمرأة والرجل جناحا طائر الحياة ، ولن يخلق هذا الطائر بأحد جناحيه دون الآخر ، ولا يمكن للحياة أن تستقيم إلا بالتعاون

بين الرجال والنساء ، وقد أشارت الشاعرة بروين اعتصامي إلى هذه المشاركة في قولها :

وظيفة زن ومرد ، اى حكيم ، داني چيست
يکيست کشتي ، وآن ديگريست کشتيان

چو ناخدا ست خردمند ، وکشتيش محکم
دگر چه باله از امواج وورطه وطوفان

بروز حادثه ، اندر يم حوادث دهر
اميد سعي وعملها ست هم ازين هم ازان

توان وتوش ره مرد چيست يارى زن
حطام وثروت زن چيست مهر فرزندان^(۱)

وترجمتها :

— أتعرف أيها الحكيم وظيفة الرجل والمرأة ؟ إن أحدهما سفينة والآخر هو الربان !

— إذا كان الربان عاقلاً وسفينته مُحَكِّمة ، فأَيُّ خوف بعد ذلك من الأمواج والأعاصير والطوفان ؟

— إذا ما تلاحظت أمواج الحوادث في بحر الحياة ، فإن أمل النجاة معقود بهذا وبذلك .

— ما ثروة الرجل وعظمته إلا امرأة « مُخْلِصة » تعينه ، وما ثروة المرأة ومتاعها إلا محبة الأبناء !

١ - ديوان بروين اعتصامي ، ص : ١٨٨ .

إذا كانت ماهرخ قد طالبت برفع شعار « إيداء الرجال. » ، فلا شك أنها لم تجد مؤيدات لها في هذه الدعوة ، لأن الحياة لن تستقيم إذا تحقق هذا الشعار ، ولذا طالبت بروين اعتصامي بالتعاون بين الرجل والمرأة حتى تستقيم الحياة ، وتواصل البشرية مسيرتها نحو التقدم والأزدهار .

وهناك من الشاعرات من رفضن دعوة « ماهرخ » رفضاً قاطعاً ، وطالبن المرأة بأن تحسن التعامل مع زوجها ، وتحرص على أن تكون كل تصرفاتها معه ، جديرة بأن تقربه منها ، وتدفعه للحفاظ عليها ، وقد عبرت عن هذه المعاني الشاعرة « مهيندخت دارائي » في قطعة عنوانها « انتقاد برفتار زنان » أي « انتقاد على تصرف النساء » ، ومما جاء فيها :

با زن كه سوء رسم ورفتار
نماید بر سیه بختی گرفتار
بود در خانه ، تاهم صحبت شو
نشیند بی نشاط و تند و اخمو
چو يك بیگانه از در باز آید
سر شوخی و لطف و ناز آید
دهد زینت بروی و موی خود زود
که باید پیش مهمان پاکرو بود

۵ - لباس مندرس پوشد بمنزل
که چرکین میشود بیننده را دل

نبیند تا بود در توی خانه
 رخس صابون و مویش روی شانه
 چو پیش آید یکی مهمانی و سور
 بیاراید خودش را شاد و مسرور
 زهی آرایش بی ارزو مقـدار
 که میباشد برای کوی و بازار^(۱)

.

وترجمتها :

- كلما اتسم تصرف المرأة بعدم اللياقة والقحة ، كلما تعثر حفظها ، وساءت حياتها .
- طالما كانت بالدار وحتى في محضر زوجها ، فإنها تجلس خاملة كسولة مقطبة جبينها .
- ولكن إن طرق بابهم ضيف ، سارعت بالتزين والتجمل في مظهرها وفي ثيابها

۱ - زنان سخنور ، ج ۲ ، ص ۲۰۷ ، والشاعرة « مهیندخت دارائی » . ولدت عام ۱۹۲۱ م ، والدها الامير خسرو دارائی الملقب ببرهان السلطنة . وقد ألف عدة كتب ، وصنف « انوار سهيلي الترجمة الفارسية لكليلة ودمنة » . اما عن مهیندخت فقد اجادت الفارسية والآذرية والعربية والفرنسية ، وقد نظمت قرابة ألف وخمسمائة بيت من الشعر ما بين غزل وترجیع بند ، وقد تضمن معظمها كتاب « رو باهنامه » الذي اصدره اخوها في الذكرى العاشرة لوفاتها ، فقد توفيت في الرابعة والعشرين من عمرها لمرض عضال ألم بها ، ولم تبرز منه وكان ذلك عام ۱۹۴۵ م .

— وعجلت بتصفيف شعرها ، وتجميل وجهها ، إذ يجب أن تبدو
مزدانة أمام ضيفها .

هـ — كما أنها في الدار تلبس على الدوام المهمل والرت ، وهكذا تؤذي
قلب كل من ينظر إليها .

— وما صافح الصابون وجهها ، وما داعب المشط شعرها .

— ولكن إن تذهب إلى وليمة أو عرس ، فإنها تتجمل ، وتبدو في
أبهى زينتها .

— كما أنها تسرف في التزين والأصباغ كلما ، خرجت إلى السوق أو
الشارع !

— :

إلى غير ذلك من الانتقادات التي توجهها إلى أترابها ، حتى
تحاول كل واحدة منهن أن تستأثر بقلب زوجها ، ولا تنفرد من
المنزل والحياة الزوجية ، وإذا تركنا المستوى الفني جانباً ، فإننا نحكم
على هذا الشعر دون تردد بأنه شعر نسائي ، فالحديث عن الملابس
والزينة والتجميل حديث امرأة ، وليس حديث شاعر من
الرجال !



المرأة والاسرة :

من المسلم به أن المرأة كأم وزوجة وابنة أكثر التصاقاً بالأسرة .
وأحرص على استمرار الحياة الزوجية وسط جو من الإنسجام والإلفة ،
ولهذا نجد الشعر النسائي يغص بالحديث عن العلاقة الأسرية ، وما يكتنف

هذه العلاقة من أمنيات حلوة أعزها أمنية تتويج هذه العلاقة بالإنجاب حتى تمارس المرأة تلك الوظيفة المحيية إلى قلبها ، وأعني بها وظيفة الأمومة ، وكذلك ما تحيط به أبناءها وبناتها من أمنيات تتمنى أن يظفروا بها ، وإلى جانب ذلك تنفر من المشاكل التي تُعرض الكيان الأسري للاهتزاز أو الانفصال ...

... إلى غير ذلك من المعاني التي تغص بها دواوين الشعر النسائي ، والتي لا نجد لها من وجود يذكر في دواوين الشعراء من الرجال .

من الأمور التي تهتم بها المرأة — كما سبق أن قلنا — الإنجاب ، وما يصحبه من شعور نفسي بالسعادة والرضا ، ثم ما تقوم به الزوجة قبل الإنجاب من إعداد للمكان وتهيبته لاحتياجات المولود الجديد ، كل هذا تفعله وهي في قمة فرحتها على الرغم من متاعب الحمل ومشقته ، وقد أشارت الشاعرة بروين إلى فترة الحمل هذه والاستعداد للإنجاب بالحديث عن طائرین سعيدین انهمكا في بناء عش الزوجية ، وأحاطاه بالحب والألفة إلى أن ظهرت لهما عدة بيضات تعهدتها الأم بالرعاية والعناية ، حتى تحقق ما كانت الأم تصبو إليه ، وما كان الأب يتمناه :

این خانه پاک ، پیش از این بود
آرامگه دو مرغ خرمند
کرده به گِل آشیانه اندود
یکدل شده از دو عهد و پیوند
از گردش روزگار خشنود
آورده پدید بیضه ای چند

آن يك ، پدر هزار مقصود
وين مادر بس نهفته فرزند
بس رنج كشيد و خورد تيمار

گاهي نگران ييام وروزن
بنشست براي پاسباني
يك چند به لانه كرد مسكن
آموخت حديث مهرباني
آقدر پرش بريخت از تن
آقدر نمود جانفشاني
تاراز نهفته پديدار^(۱)

وترجمتها :

- كانت هذه الدار الطاهرة من قبل ، مخدعاً لطائرين سعيدين .
- انهمكا في بناء العش ، وتعاهدا على الوفاء .
- ووسط جو من السعادة والرضا ، ظهرت لهما بعد فترة عدة بيضات .
- ذلك ما كان يتمناه الأب دوماً ، ومنها سيكون الطفل الذي طالما انتظرته الأم .
- فما أكثر ما بذلا من عناية ، وما أحاطا به الأمر من رعاية !

١ — ديوان بروين اعتمامي . ص : ٨٥ .

— كانت — الأم — تجلس منعمة النظر دائماً نحو السقف ونحو النافذة ،
وفقدت الحراسة .

— لقد لزمت العش ، وتعلمت فيه حديث العطف والمحبة .

— وبقدر ما تساقط من ريشها ، بقدر ما قدمت روحها نثراً

وذلك حتى وضح السر الخفي !

وبعد أن تنجب الأم ، فإنها تتحمل كل المشاق في سبيل إعداد
وليدها إعداداً جيداً ، وتنشئته تنشئة ناجحة ، وهي مستعدة لتحمل كل
الآلام دون انتظار لشكر أو عرفان ، لأنها « أمٌ أولاً » وأخيراً ؛
وقد قالت « زاله فراهاني » :

نخون دل میخورم و میخندم
تا تو ای بچه من غم نخوری
گر تو باتیشه خودخواهی و جهل
ریشه الفت و یاری ببری
من نورزم بجز از مهر تو زانک
مادر من ، تو عزیزم پمری^(۱)

۱ — زنان سخنور ، ج ۱ ، ص : ۲۴۴ ، وزاله فراهاني من سكان منطقة
فراهان ، واسمها الحقيقي عالمتاج قائمقامي ، وقد تخلصت باسم « زاله »
وقد ولدت عام ۱۸۸۲ م وغادرت الحياة بعد ثلاثة وستين عاماً ، أي في عام
۱۹۴۶ م . وهي والددة الكاتب المشهور حسين بزمان بختياري . وقد تزوجت
وهي في سن الثامنة عشرة ، ولكن فارق زوجها الحياة ولها من العمر خمسة
وعشرين عاماً ، فعاشت لابنها بعد ذلك ، ولذا يغلب على ما وصلنا من
أشعارها مسحة من الحزن ، والاكتار من الحديث عن شعورها تجاه ابنها ،
ورثائها لزوجها الفقيد .

وترجمتها :

— كم أنحمل من هموم وأقابلها بيسمة ، وذلك حتى أجنبك يا صغيري كل غم وحزن .

— حتى ولو تجتث جذور الألفة والمحبة بفأس الأنانية والجهل ،

— فلن أقابل ذلك إلا بالعطف والمحبة ، لأنني أم ، وأنت ابني العزيز !!

أما إذا عذمت المرأة الزوج أو الولد ، فلنما تشعر بالكآبة والحسرة والحزن ، لعدم وجود الرفيق الذي يسير معها في درب الحياة الصعب ، وقد عبرت عن هذا الشعور بالوحدة الشاعرة ژاله فراهاني كذلك ؛ فقالت :

با آرزوی امروز ، دیروز من بسر رفت
با این طمع سر آید هم روز دیگر از من
بیخانمان شود مرغ گر ز قفس گریزد
با اینهمه نباشد ، بیخانمانتر از من
نه شوهر و نه فرزند نه آشیان نه سامان
بهر خدا چه خواهد ، چرخ ستمگر از من^(۱)

وترجمتها :

— لقد عشت اليوم بما كنت أحلم به بالأمس ، وما زلت أطمع بأن أعيش بهذا الحلم في الغد ؛ علته يتحقق !

۱ - زنان سخنور ، ج ۱ ، ص : ۲۴۵ .

— أن يصبح الطائر وحيداً ، سرعان ما يهجر العش . ومع هذا فإنه
ليس أكثر وحدة مني !
— لقد عدت الزوج والابن والعش والمأوى . إلهي ! ماذا يريد الفلك
الظالم مني ؟

ولا شك أن الحياة الزوجية المستقرة نعمة لا تدانيها نعمة في الدنيا ،
أما إذا تحول الزواج إلى عراك وخصام فهو نقمة ولا ريب ، كما تزدد
متاعب الزواج إذا أقدم الزوج على الجمع بين زوجتين دون مبرر قهري ؛
حيث لن تستريح أي زوجة منهما لوجود الأخرى ، وستنشئ المعارك
بينهما ، ويتحطم الهناء العائلي كله ؛ فقد قالت مهيندخت دارائي :

زنا شوئی صفای زندگانیست
اساسش گر بعشق ومهربانیست
وگر از مهر والفت دور باشد
همانا وصله ای ناجور باشد
دوزن را مرد چون آرد بکاین
بخیزد از میانه فتنه وکین
کسی را کی بود ممکن بیکبار
بیکدل داشتن جای دو دلدار
کجا گردد صفا وپاکی دل
میان دو رقیب عشق حاصل
بویره نوع زن را در محبت
رقابت میشود ظاهر شدت (۱)

۱ - المرجع السابق ج ۲ ، ص : ۳۰۹ .

وترجمتها :

- الزواج هو السعادة في الدنيا ، طالما كان عماده المحبة والمودة !
- ولكن إن يخلُ من التعاطف والألفة ، فإنه يصبح علاقة مضيئة .
- وإن يكن في عصمة الرجل زوجتان ، فسرعان ما تثور بينهما الفتن والضغائن !
- وهل في مقدور الإنسان أن يسكن في قلبه محبوبتين في آن واحد ؟
- وكيف يتحقق الهدوء والصفاء ، ما دامت هناك حرب شعواء بين اثنتين في مضمار العشق ؟
- وبخاصة أن من طبيعة المرأة العراك الشديد والتحدي في مجال الهوى والشوق !

ومن الأمراض الاجتماعية التي اهتمت الشاعرات بالحديث عنها مرض « تفشي الطلاق » ، وما يجره على المجتمع والأفراد من كوارث ومآسٍ ، وأكثر من يكتنون بناره الأبناء ، لأن الابن في حاجة إلى أم وأب حتى يحدث التوازن النفسي لديه ، وينشأ منسجماً مع مجتمعه ، وإذا قلر وأحضر الأب زوجة جديدة بعد طلاق الزوجة الأولى ، أو حتى بعد موتها ، فسرعان ما تثور المشاكل بين الأبناء والزوجة الجديدة ، لأن عطاء زوجة الأب لا يمكن أن يصل إلى عطاء الأم . وقد أشارت الشاعرة بروين اعتصامي إلى أثر فقدان الأم على الأبناء ، حيث قالت على لسان فتاة تشكو الزمن الذي أفقدها أمها ، ثم تشكو من زوجة الأب المتسمة بالسوء والغلظة :

تیره بخت

دختری خُرد ، شکایت سر کرد
 که مرا حادثه بی مادر کرد
 دیگری آمد و در خانه نشست
 صحبت از رسم وره دیگر کرد
 یاره و طوق زر من بفروخت
 خود گلوبند ز سیم وزر کرد
 سوخت انگشت من از آتش و آب
 او بانگشت خود انگشت کرد

۵ - هر چه من خسته و کاهیده شدم
 او جفا و ستم افزونتر کرد
 اشک خونین مرا دید و همی
 خندها با پسر و دختر کنرد
 نزد من دختر خود را بوسید
 بوسه اش کارد و صد خنجر کرد
 عیب من گفت همی نزد پدر
 عیب جوئیش مرا مضطرب کرد
 شب بچاروب و رفویم بگماشت
 روزم آواره بام و در کرد

۱۰ - پدر از درد من آگاه نشد
 هر چه او گفت ز من، باور کرد
 مادرم رفت ، و مرا دریم دهر
 چو یکی کشتی بی لنگر کرد

مادرم بال وهرم بسود ، وشكست
مرغ ، پرواز ببال وهر کرد^(۱)

وترجمته :

بائسة !

- بدأت فتاة صغيرة بالشكاية قائلة : لقد أفقدتني الكارثة أمي !
- وجاءت بأخرى وأقعدتها بالدار ، فأوجدت معها عادات وتقاليد جديدة .
- باعت عقدي وطوقني الذهبيين ، وصنعت لنفسها قلادة من الذهب والفضة !
- وكم أحرقت أصابعي بين نار وماء ، بينما حرصت على أن تزين أصابعها بأكثر من خاتم !
- هـ — كلما حل بي التعب والوهن ، ضاعفت من جفوتها وتعسفها .
- وكلما رأت دموعي غزيرة ، زادت من ضحكاتها مع ابنها وابنتها !
- كم قبلت ابنتها على مقربة مني ، فكان لقبلتها وقع مائة خنجر على نفسي !
- دواماً تقص على أبي أخطائي ، وكم كانت تجهد نفسها بحثاً عن عيوب ترميني بها !
- إنها تكلفني بالكنس والرفو طوال الليل ، كما تجعلني شريدة السقف والباب طوال النهار .

١ - ديوان بروين اعتصامي ، ص : ١١١ - ١١٢ .

١٠ - أما أبي ، فلم يظن لما أعانيه من آلام ، حيث كان يصدق كل ما تفتريه علي .

- هكذا رحلت أُمي ، وتركتني كسفينة بلا تراس في خضم الدهر .
- لقد كانت أُمي جناحي وقوادمي ، ولكن كل هذا تحطم ، وأنسى للظائر أن يخلق بلا جناح وقوادم ؟

المرأة والوطن :

خرجت المرأة تشارك الرجل في تحمل المسئولية ، والعمل معاً لخدمة المجتمع ، وعلى هذا أصبح من واجب الشاعرة في العصر الحديث أن تُتولي مشاكل الوطن وآماله ، عظيم اهتمامها ، وألا تقصر حديثها على المنزل والأسرة ، وما يتصل بعالم النساء من اهتمامات ومهام . وإن كنا نلاحظ أن النقد الذي مارسه بعض الشعراء لما يعوق الوطن من مشاكل وتصرفات ، كان نقداً غير مباشر في معظمه فالمرأة غير مستعدة لأن يُلقي القبض عليها ، وتقضي أعواماً في السجن كما حدث مع ملك الشعراء بهار والشاعر فرخي اليزدي ، أو أن تكون عرضة للتصفية الجسدية ؛ كما حدث مع الشاعر ميرزاده عشقي عندما وقف موقف المعارض من أطماع رضا شاه ، وعلى هذا وجاء نقد شاعرات إيران لأحوال المجتمع رقيقاً وبعيداً عن التصريح...

ومن الشاعرات اللاتي أولت المجتمع اهتمامها ، الشاعرة « مريم الساوجي » ، فقد ترنمت بأغنية وطنية ، تحسرت فيها على ما أصاب الوطن من ذلة وهوان ، وتحسرت على ماضٍ مشرق ولى ، وبكت أمام حاضر مرير أصبحت فيه إيران أسيرة الفساد والخراب :

ترانه میهنی

حاليا کز درد میهن شد سیه ایسام ما
روزگاری همچو شام و پر ز آفت شام ما
شحنه، فارغ خفته و دزدان بکوی وبام ما
هم کجا شد تا به بیند واژگون شد جام ما
ایدریغا شهرت ما ، ایدریغا نام ما

روزگاری طی شد و ما ساکن میخانه ایم
پایهٔ ایمان خراب و همدم پیمانهایم
بر سر سودای عشق دلبر جانانه ایم
تا که همچو ما کیان با بست دام ودانه ایم
طایر اقبال کی مسکن کند بر بام ما

دل شود پر خون چو یاد ذلت ایران کنیم
سینه بشکافد چو فکر خانه ویران کنیم
کاش با خون جگر هم عهد و هم پیمان کنیم
تا که این ویرانه سامان را ز نو بنیان کنیم
ور نه با این جهل و غفلت چون شود فرجام ما

گر نه فقر و مسکنت زائیده‌ی اهمال ماست
گر نه عفریت طمع فرماندهٔ اعمال ماست

گر نه تلبیس وریا شالوده‌ی افعال ماست
ور نه ابلیس جهالت بر سر اغفال ما ست
چون شد آن آغاز نیک و چون شد این انجام ما^(۱)

وترجمته :

اغنية وطنية

— جلل السواد أيامنا ، لما ألم بالوطن من كوارث ووهن ،
ونحول نهارنا ليلاً ، ولكنه ليل مليء بالمحن .
— نام الحارس غافلاً ، فعاث اللصوص فساداً في ديارنا .
وهكذا أصبح الوضع في كل مكان ، حتى فرغت كؤوسنا !
واحسرتاه على ما كان لنا من شهرة وحسن سمعة !
— تمضي الأيام سراعاً ، ونحن فعيذو الخانات ،
وهكذا خرب إيماننا ونحن نعاقر (الكاسات) !

١ - زنان سخنور ، ج ٣ ، ص ٢٩٧ ، والسيدة مريم الساوجي كانت تتخلص أحياناً باسم « صور » وأحياناً باسم « مريم » ، ووالدها المرحوم آقا ميرزا كوجك الساوجي من الكتاب الواسعي الثقافة ، ومن رجال الدين البارزين ، وقد أشرف على أعداد ابتته وتربية ذوقها الفني ، وقد أنهت دراسة الحقوق ، وأجادت اللغتين الفرنسية والعربية الى جانب الفارسية ، وقد كانت شاعرة ، وكذلك كاتبة مجيدة ، فقد ألقت مؤلفات كثيرة فسي مجال تخصصها وأعنى به القانون ، كما كتبت قرابة عشرين قصة قصيرة في مجال النقد الاجتماعي . وقد ولدت مريم في مدينة طهران عام ١٩١٩ ، وقد نظمت أكثر من ألف وخمسمائة بيت ، تمسكت فيها بطريقة الاقدمين في النظم ، ولم تنظم شعراً حراً . انظر نفس المرجع ج ٣ ، ص : ٢٨٣ - ٢٩٩ .

— وتمر الأيام بنا ، ونحن صرعى العشق والهوى والحب ،

وهكذا أصبحنا كفراخ أسيرة العُش والحب .

فمتى يحط طائر التوفيق رحاله على ديارنا ؟

— كم تدمي قلوبنا ، كلما نتذكر ما تعيشه إيران من ذل ومسكنة !

وكم تتمزق الصدور ، كلما نفكر في ديارنا المدمرة المخربة !

— ليتنا أمام كل هذه الآلام والمحن نتفق ونقسم بأغلظ الإيمان
كي نعيد إلى ديارنا المحطمة ما كانت عليه من عمار وبنيان

وإلا فهذه نهايتنا ، نهاية النسيان والغفلة !

— إذا لم يكن الفقر والمسكنة وليدي إهمالنا ،

وإذا لم يكن عفريت الطمع مبعثه سوء تدبيرنا ،

— وإذا لم يكن الرياء والخداع محصلة أخطائنا ،

وإذا لم يكن إبليس الجهالة نتاج غفلتنا ،

فلم كان ماضينا زاهراً ، وحاضرنا معتماً ؟

وإذا كانت الشاعرة قد تحسرت على ماضي إيران الضائع ، فإن
شاعرة أخرى هي « فخري خلعبرى » قد طالبت الإيرانيين بـألا
يعيشوا أسرى. التفكير في الماضي ، بل عليهم أن ينظروا إلى الحاضر
والمستقبل ، وأن يعيدوا بناء الوطن على أسس صحيحة سليمة ، حتى
يعود الوطن قوياً ، وتعود الحضارة الإيرانية مزدهرة ، ولن يتم ذلك
إلا بالإصلاح الداخلي الشامل والقضاء على معوقى التقدم والازدهار ،
وسفك دماء كل الخونة والمخربين والمتسلقين على أكتاف الشعب

والمرائين ، واعتبرت أن العنف مع هؤلاء الخوثة ، هو خير طريق
للإصلاح :

راه اصلاح

ملك راز خون خائن لاله گون بايد نمود
جاری از هر سوی کشور جوی خون
حشمت و فرّ کیان گر بایدت چون کاوه پاک
کشور جم را از ضحاکان دون باید نمود
هر و کیلی را که شد با زور و با زر انتخاب
از درون مجلس شوری برون باید نمود
هر بنائی را که شد با جور و بیداد استوار
محو باید کرد و یکسر سر نگون باید نمود
تا بکی نسوان اسیر جهل، و در غفلت رجال
اكتساب دانش و علم و فنون باید نمود
بر گذشته دسترس نبود غور افسوس آن
فکر اصلاحات آینده کنون باید نمود
(فخریا) اصلاح این ویرانه را جز خون مدان
کار اصلاح از سیلاب خون باید نمود^(۱)

۱ - زنان سفنور ، ج ۲ ، ص : ۲۴ ، والشاعرة فخري خلعتبري ولدت
عام ۱۹۰۰ م ، وكان والداها يجيدان اللغات الفرنسية والعربية والتركية ،
فتعلمت منهما فخري هذه اللغات وبعد انتهائها من التحصيل والتعليم ،
التحقت موظفة بوزارة الثقافة والفنون ، ومن مؤلفاتها : ازدواج اجباري ،
اوراق بريشان ، سرگذشت يکزن ، دختر نادان ، پيمان شکسته ، كما ترجمت
بعض الكتب عن اللغات الاجنبية التي كانت تجيدها . كما نظمت حوالي
أربعة آلاف بيت من الشعر ، وذلك على نمط الاقدمين . (انظر نفس المرجع ،
ص : ۳۳ - ۳۸)

وترجمته :

طريق الإصلاح

- يجب أن يُخضّب تراب الوطن بدماء الخوثة
وأن نجري دماؤهم أنهاراً في رُبوع المملكة
- إن تَرُم عظمة الكيانيين ومجدهم ، فتشبه بكاه الطاهر .
ونخلبص الوطن ممن يشبهون الضحاك في الظلم والتكبر ^(١) .
- وكل نائب تلاعب في الانتخابات بالقسر والرشوة
عليك بطرده خارج المجلس بكل عنوة
- وكل بناء أسس على الظلم والتعسف
يجب أن تقوض دعائمه وتزيله بكل عنف .
- ٥ - إلى متى تظل النساء أسيرات الجهل ، والرجال أسرى الغفلة ؟
على الجميع الكد والسعي لاكتساب العلوم والفنون والمعرفة
- لا يجب أن نأسى على ماضٍ ضائع وانقضى .
بل يجب التفكير في حاضرٍ أنقى وأزهى .
- لا صلاح لهذا الخراب إلا بسفك الدماء يا «فخري» !
فلتجرِ الدماء أنهاراً كي يستقيم بعد ذلك مجرى الأمور !

★ ★ ★

وشاركت الشاعرة « بدرى تندري » المتخلصة « بفاني » بنات
جنسها من الشاعرات الداعيات إلى الإصلاح ، ورأت أن هذا الإصلاح
لا يستقيم إلا إذا شارك فيه جميع أبناء الشعب وبخاصة المسؤولين منهم ،
فالحاكم يجب أن يكون مسئولاً عن رعيته ، أميناً أمام الله والشعب ،

١٦ - كاه حداد وبطل قومي لدى الايرانيين ، قاد ثورة شعبية للقضاء
على الضحاك الحميري الذي استولى على ايران واشاع الدمار والخراب
في ايران .

وأعضاء الحكومة يجب أن يكونوا من ذوي الخبرة الذين يعتمد عليهم
في تصريف الأمور بدراية وحنكة ، والقاضي يجب أن يتسم بالعدل
والإنصاف ، وألا يتخذ من منصة القضاء مغنماً يحقق من ورائه كسباً
غير مشروع عن طريق الرشوة والهدايا :

اصلاح ملك

الاى ملت ايران بيا وفكر فردا كن
برای خدمت میهن ز جان خود را . مهیا كن
ز جان و دل نما تجلیل و تکریم از وطنخواهان
خیانت پیشگان ملك را امروز رسوا كن
عبادت نیست جز خدمت بخلق ای زاهدخوشبین
در اینره پاگلدار وباخدای خویش سودا كن
شده پیچیده و درهم مدار چرخ ملك جم
به استادی خود سر رشته از تدبیر پیدا كن

ه - مشو تطمیع بیگانه ، برو نكن دشمن از خانه
وطن از لوٹ خائن پاكتر از دور كسیرا كن
بدست بخردان كاردان ده كار كشور را
ز فكر روشن دانشوران حل معما را كن
رجال با سیاست را نما مسئول كابینه
وكیل پارلمان را از وطنخواهان دانا كن
قضاوت را بدست قاضیان پاكدامن ده
وز اینرو خادم و خائن ز یكدیگر مجزا كن

غرض، مگذار کاین کشور فتد در دست بیگانه
 نخواه از دیگران اصلاح ملک از خود تنها
 ۱۰ — بیا هان گوش کن این گفته شیوای (فانبرا)
 الا ای ملت ایران بیا و فکر فردا کن^(۱)

وترجمته :

اصلاح المملكة

- آیتها الأمة الإيرانية ، أفيقي ، وفكري في الغد ملياً •
- واستعدي لخدمة الوطن بروح صافية زكية •
- أحسنی تبجيل المخلصين للوطن ،
- ثم ادمغي الخوثة بالعار والهوان •
- ليست العبادة إلا خدمة الخلق أيها الزاهد ،
- فاسع في هذا الطريق أيضاً ، ففيه عبادة الله الواحد •
- لا تركي ملك جمشيد تتقاذفه أحداث الزمان وصروفه ،
- بل اجتهد في الإمساك بزمام الوطن ، وأحسنی توجيهه •
- ۵ — لا تجعليه مطعماً للأجانب ، بل حرره من أولئك الغاصبين ،
- واجعليه أنقى من إيوان كسرى ، وطهره من دنس الخائنين .
- ولتهدى بأمور الوطن للعقلاء النجباء ،
- ولتحل مشاكله بالثاقب من فكر العلماء •

۱ — زنان سخنور ، ج ۲ ص : ۲۷ ، ۲۸ ، وقد سبق التعريف بالصاعرة ،
 انظر ص : ۲۰۷ •

- وليكن المسؤولون عن الحكومة ذوي سياسة وحنكة
وايكن عضو المجلس ذا دراية وحكمة
— ولتعهدني بالقضاء إلى من يكونوا ذوي طهر وعفة
وبهذا يُفَسَّرَق بين خادم الوطن ومن أقدم على الخيانة .
— وفي النهاية ، لا تتركني الوطن فريسة للأجنبي
ولا تطلبي من الآخرين الإصلاح ، مكتفية أنت بالأماشي .
١٠ — أيتها الأمة الإيرانية ، أفيقي ، وتنبيهي لما تقوله « فاني »
وأحسني التفكير في المستقبل الزاهي .

من بين الذين دعت الشاعرة فاني لإصلاح حالهم ، وحسن اختيارهم
أولئك الذين يتولون منصب القضاء ويجلسون على منصة العدالة ومسند
الحق ، وذلك لأن مرض الرشوة وبخاصة بين كبار موظفي الدولة
وبعض القضاة — كما ذكرت في التمهيد — كان قد نفش ، مما أضاع
الحقوق ، ولهذا نرى الشاعرة بروين اعتصامي تسخر من أولئك القضاة
الذين تخلوا عن ضمائرهم مقابل عرض الدنيا الزائل ، في صورة شعرية
طريفة حيث مرض أحد القضاة ، ولم يقو على مواصلة الخداع والزياء ،
فكلف ابنه بالذهاب إلى المحكمة وممارسة القضاء مكانه ، على أن
تكون الأحكام لمن يدفع الرشوة مهما كان مذنباً . فذهب ابنه وجاءه
فلاح يشكو ظمناً وقع عليه ، فطالبه القاضي الصغير برشوة حتى
يحكم له ، فأخبره الفلاح بأنه لا يملك ما يدفعه ، فثار الجدل بينهما
وتطور ، حتى أقدم القاضي الصغير على سفك دم الفلاح لامتاعه عن
دفع الرشوة ، وبما يلفت النظر أن پروين هروباً من المواجهة الصريحة
مع القضاة ومن يساندونهم نجدها تذكر أن هذه القصة حدثت لأحد
قضاة بغداد ، ولكن الواقع ، يقول بأنها تعني قضاة إيران ، فما أكثر ما
هاجمهم الشعراء من الرجال ؛ حتى لا يكاد يوجد ديوان شعري إلا
وعرض ٣٣٩

« نا آزموده »

مدتی ، قاضی ز کسب و کار ماند
آن متاع زرق ، بی بازار ماند
کس نمیآورد دیگر نامه‌ای
بره‌ای ، قندی ، خروسی جامه‌ای
نیمه شب ، دیگر کسی بر در نبود
صحبتی از بدره‌های زر نبود
زر ، دگر نهاد مرد کم فروش
زیر مسند تا شود قاضی خموش

۵- چون همی نیروش کم شد، ضعف بیش
عاقبت روزی پسر را خواند. پیش
گفت ، دکان مرا ایام بست
دیگرم کاری نمیآید ز دست
تو بمسند بر نشین جای پدر
هر چه من بردم تو بعد از من ببر
خوش گذشت از صید خلق، ایام من
ای پسر ، دامی بنه چون دام من
حق بر آنکس ده که میدانی غنی است
گر سراپا حق بود مفلس ، دنی است

۱۰- گفت آری ، داوری نیکو کنم
خدمت هر کس بقدر او کنم
صبحگاهان رفت و در محضر نشست
شامگه بر گشت خون آلوده دست

گفت : چون رفتم بمحض صبحگاه
روستائی زاده‌ای آمده ز راه
کرد نفرین بر کسان کدخدای
که شبانگه ریختندم در مرای
خانه ام از جورشان ویرانه شد
کودك شش ساله‌ام دیوانه شد

۱۵ - روغم بردند و خرمن سوختند
بره‌ام کُشتند و بسز بفروختند
گر که این محضر برای داوری است
دید باید کاین چه ظلم و خود سری است
گفتم این فکر محال از سر بِنِه
داوری گر نیک خواهی زربیده
گفت : دیناری مرا در کار نیست
گفتمش : کمتر ز صد دینار نیست
من همی گفتم بده ، او گفت نی
او همی رفت و منش رفتم ز پی

۲۰ - چون درشتی کرد بامن کُشنمش
قصه کوتاه گشت ، رو در هم مکش
چونکه زر میخواستی و زر نداشت
گفته‌های او اثر دیگر نداشت (۱)

۱ - دیوان پروین اعتصامی ، ص : ۲۴۶ - ۲۴۸ .

وترجمته :

« عديم التجربة »

- أصاب البوار تجارة المكر طوال المدة التي قعد فيها القاضي بعيداً عن الكسب والعمل .
- فلم يحضر أي شخص رسالة تحمل خمرأ ، سكرأ ، ديكأ أو رداءً .
- كما لم يتواجد على بابه أحد في منتصف الليل ، حتى يحضر له بدرة من ذهب .
- ولم يضع أي تاجر غشاش ، ذهباً تحت مسند القاضي طلباً للصمت .
- ٥ - وعندما اشتد به المرض ، وخارت قواه ، استدعى ابنه للمثول أمامه .
- وقال له : هكذا أغلقت الأيام متجري ، ولم تعد لي قدرة على إنجاز أي أمر .
- اجلس مكان أبيك ، واحمل من بعدي كل مهمامي ومكسبي .
- لقد انقضت أيام سعيدة صيدت فيها الكثيرين من الخلق ، فانشتر شباكك يا بني ، كما نشرتها أنا من قبل !
- أعط الحق لمن تعرفه غنياً ، حتى ولو كان الحق مع الفقير المعدم !
- ١٠ - قال (الابن) : سوف أسوس العدالة جيداً ، كما سأخدم كل إنسان حسب قدرته .
- مرت ساعات الصباح وهو جالس بالمجلس ، وفي المساء عاد مخضبة يده بالدم !

— قال : حينما ذهبت إلى المجلس في الصباح ، أقبل إليّ مزارع يافع .

— جاء يشكو أعوان السلطان ، إذ اعتدوا عليه مساءً بالقصر .

— وقال : لقد أصاب الخراب داري من جورهم ، كما أصابوا طفلي الصغير بالجنون من حقهم .

١٥ — سرقوا دُهنِي ، وأحرقوا حصادي ، قتلوا حملي ، وأحرقوا ما عزي .

— فلو كان هذا مجاس عدالة يحق ، فلا بد من التحقيق في مثل هذا الظلم وذلك التعسف !

— قلت : تخل عن هذا التفكير المحال ، فإن ترغب في الإنصاف ، فلتدفع ذمياً .

— قال : إنني لا أتقاضى ديناراً واحداً عن عملي ، فقلت : لا أقل من مائة دينار !

— هكذا قلت : ادفع ! وقال : لا . هكذا رحل ، ومضيت أنا أعدو خلفه .

٢٠ — وحين أغلظ القول سفكت دمه ، وبهذا انتهت القصة ، فلا نقطب الجبين هكذا ، يا أبت !

— لقد طلبت الذهب ، وهو لا يملكه ، لذا لم يكن لحديثه من نتيجة غير هذه !

★ ★ ★

وهكذا شاركت شاعرات إيران رجالها في الدعوة إلى إصلاح المجتمع ، والعمل على تجنب ما يسيء إلى الأمة ، ويقف حجر عثرة في طريق تقدمها وازدهارها ، ولكنها - كما قلت من قبل - دعوة بعيدة عن العنف والثورة التي تعرض صاحبها للمؤاخذه والاعتقال والتشريد، وما إلى ذلك من صنوف المعاناة التي لا تقوى عليها المرأة . المهم أن المرأة الإيرانية خرجت إلى الحياة والمجتمع ، فأرادت أن تعبر عن مسئوليتها كذلك تجاه ما يدور ويحدث في هذا المجتمع ، وأنها كأم وأخت وزوجة وابنة عليها أن تُنبّه وتُصلح وتقوم وتنتقد حتى يسير ركب الحضارة إلى الأمام والازدهار ...

ليست هذه كل الأغراض التي حفل بها الشعر النسائي الفارسي خلال النصف الأول من القرن العشرين ، بل إنها نماذج فقط لما نظمته من أفكار وآراء، وإن كنت قد ركزت على ذكر أشعار تتعلق بحياة النساء، وبصلةهن بالأسرة كزوجة وأم وبنت إلى جانب كونها مواطنة تتفاعل مع أحداث الوطن تفاعلاً إيجابياً . فمما لا شك أن شاعرات إيران قد نظمن كذلك أشعاراً تقليدية على غرار ما نظمته كبار شعراء الفارسية في عصورها المختلفة ، فقد حاولت بروين اعتصامي نظم العديد من القصائد على غرار قصائد الأنثوري ، ونظمت الشاعرة شمس الضمحي (المولودة في ١٩٠٠ م) غزليات على غرار غزليات سعدى^(١) ...

كما أقبلت بعض الشاعرات ممن يُجيدن اللغات الأوروبية على ترجمة بعض الأعمال الأدبية الفرنسية أو الإنجليزية نظماً ، فقد حاولت الكثيرات منهن ترجمة بعض حكايات لافونتين ، كما ترجمت

١ - زنان سخنور ، ج ١ ص : ٢٨٨ - ٣٠٢ .

الشاعرة فخري خلعتبري بعض القطع الشعرية الإنجليزية والفرنسية إلى اللغة الفارسية^(١) ، وفعلت مثلها العديداً ممن نظموا شعراً فارسياً لإبان النصف الأول من القرن العشرين ... إلى غير ذلك من المجالات التي نظم فيها عربن عن آرائهم من خلالها ..

وإذا كنا نعتز بأن بعض ما نظمته لم يرق إلى مستوى ما نظمته كبار الشعراء في إيران ، فلننا نعتز أيضاً بأن بعض هؤلاء الشعراء قد وقفن شاحات الرعوس أمام هؤلاء الشعراء ، ويكفي أن ندلل على صدق ذلك بأن الشاعرة بروين اعتصامي قد اعترفت لها الجميع بالسبق على الكثيرين من أترابها الشعراء ، وحظي ديوانها باهتمام يفوق الاهتمام بأي ديوان آخر ، فقد طبع ديوانها خمس مرات بينما طبع ديوان ملك الشعراء بهار مرتين فقط ، وطبع ديوان ابرج ميرزا مرتين كذلك . كما حظيت أشعار فروغ فرخ زاد التي عاشت خلال هذا القرن - النصف الثاني منه - شهرة فاقت ما حظيت به أشعار غيرها من الشعراء ، وسيكون للحديث عن شعرها مجاله ، وذلك عندما نعالج الشعر المعاصر في كتابنا المقبل .

ونهاية الأمر يمكن القول بأن إفساح الصحف والمجلات المجال أمام الفتيات والنساء لنشر أشعارهن ، وكذلك لإقبال بعضهن على طبع ما ينظمه ، يمثل ظاهرة تستحق الاهتمام والدراسة والتحليل لنعرف أسبابها ونتائجها على الأدب الفارسي في العصر الحديث . ولأنني لأرجو أن يتصدى الدارسون لهذه الظاهرة الجديدة والجديرة بالرعاية . حتى يقدموا خدمة كبيرة للأدب الفارسي الحديث ، ولتاريخ الحركة النسائية الإيرانية خلال القرن العشرين .

١ - المرجع السابق ، ج ٢ ص

كلمة لها بقية ١

هذه بعض القضايا التي اهتم الشعراء الإيرانيون خلال النصف الأول من القرن العشرين بالحديث عنها ، وتضمنها آراءهم في الحياة والمجتمع ، وإلى جانبها قضايا أخرى عديدة لم يتسع الكتاب لمناقشتها والحديث عنها من خلال الصور الشعرية التي نظمها الشعراء للتعبير عما يختلج في قلوبهم من أحاسيس ومشاعر تجاه قضايا العصر والوطن ، وإنني أرجو أن أتمكن - أو يتمكن غيري - في المستقبل القريب من الحديث عن قضايا أخرى من قضايا الشعر الفارسي الحديث، حتى يجد القارئ العربي الفرصة للاطلاع على مزيد من النماذج الشعرية التي يمكن من خلالها فهم الظروف البيئية والسياسية التي يعيشها شعب شقيق يشاركنا آلامنا وآمالنا ، ويتعاطف معنا كما نتعاطف معه في كل ما يدور بعالمنا الشرقي والإسلامي من قضايا وأحداث ١

ولكن هناك قضية أدبية كبرى بدأت تبرز إلى المقدمة في السنوات الأخيرة من النصف الأول من القرن العشرين وهي قضية « الشعر الحر »، وقد تزعم هذا الاتجاه التجديدي الشاعر نيماء يوشيج ، ولكنني آثرت أن أتترك الحديث عن هذه القضية ، لأنها وإن كانت قد بدأت في النصف الأول من القرن العشرين ، إلا أنها لم تمض نحو النضج والاكتمال إلا في النصف الثاني منه ، ولهذا ستكون قضية الشعر الحر هي المحور الأساسي الذي ستدور حوله أبواب الكتاب التالي عن الشعر الفارسي المعاصر ، وأرجو يكون لقاءنا معه قريباً ١ .

المراجع

,

lvi

من المراجع الشرقية

- ١ - إبراهيم فخرائي : در جنبش مشروطيت ، طهران ١٣٥٣ ش
- ٢ - أحمد كسروي تبريزي : تاريخ مشروطه ايران ، چاپ دهم ، طهران ١٣٥٣ ش
- ٣ - أديب پيشاوري : الديوان ، تقديم على عبد الرسولي
- ٤ - استعلامي (محمد) بر رسي أدبيات امروز ، تهران ٢٥٣٥ شاهنشاهي
- ٥ - الول ساتن : رضا شاه كبير ، يا ايران نو ، ترجمة عبد العظيم صبورى ، طهران ١٣٤٤ ش
- ٦ - اندري أوبي : فينوس وأدونيس « مسرحية فرنسية » ترجمة وتقديم محمود صابر (ضمن سلسلة روائع المسرحيات العالمية) القاهرة ١٩٦٧ م .
- ٧ - ايرج ميرزا : الديوان ، چاپ سوم ، باهتمام وتقديم محمد جعفر محبوب ، طهران ١٣٥٣ ش .

- ۸ - بديع جمعة : شاعرة ايران برون اعتصامي ، صوت المرأة الشرقية في العصر الحديث . القاهرة ۱۹۷۷ .
- ۹ - بهار (ملك الشعراء محمد تقی) : الديوان ج ۱ ۱۳۴۴ ش ، ح ۲ ۱۳۴۵ س ، تقديم محمد ملك زاده .
- ۱۰ - بهار (ملك الشعراء محمد تقی) : تاريخ احزاب سياسي يا انقراض قاجاريه ، طهران ۱۳۲۳ ش .
- ۱۱ - بينا (علي اكبر) : تاريخ سياسي وديپلوماسي ايران ، طهران ۱۳۳۲ ش .
- ۱۲ - برون اعتصامي : الديوان ، چاپ پنجم طهران ۱۹۶۲ ، باهتمام أبي الفتح اعتصامي ، وتقديم ملك الشعراء بهار .
- ۱۳ - تقی زاده : لزوم حفظ فارسی فصیح . یادگار سال چهارم اسفند ۱۳۲۶ ش .
- ۱۴ - خلخالی (سيد عبد الحمید) : تذکره شعراي معاصر ايران ح ۲۲۱ طهران ۱۳۴۴ ش .
- ۱۵ - دهخدا : لغت نامه
- ۱۶ - سليكس (سير برسي) تاريخ ايران ج ۲ ، ترجمه محمد فخر داعي گيلاني ، طهران ۱۳۳۳ ش .
- ۱۷ - سعيد نفيسي : تاريخ شهرياري شاهنشاه رضا پهلوي ، طهران ۱۳۴۴ ش .

- ١٨ - سليمى (علي أكبر) زنان سخنور ج ١ ، ٢ ، ٣ چاپ دوم (١٣٣٥ ش)
- ١٩ - شوقي عبد الحكيم : أساطير وفولكلور العالم العربي ، القاهرة ١٩٧٤ م .
- ٢٠ - صادق هدايت : البومة العمياء ، الترجمة العربية : ابراهيم شتا ، القاهرة ١٩٧٦
- ٢١ - صفا (ذبيح الله) : تاريخ أدبيات إيران ج ٢ طهران ١٣٤٧ ش
- ٢٢ - صفا (ذبيح الله) : گنج سخن ج ٣ تهران ١٣٤٠ ش .
- ٢٣ - عارف القزويني : کلیات ديوان ، چاپ سوم ، تهران ١٣٣٧ ش
- ٢٤ - عشقي (ميرزاده) : الديوان : نشر على أكبر سليمى ، طهران ١٣١٢ ش
- ٢٥ - فرخى اليزدي : الديوان ، تقديم حسين مكى ، طهران ١٣٤١ ش
- ٢٦ - القزويني (محمد بن عبد الوهاب) بيست مقالة ج ١
- ٢٧ - كيا (زهراي خايلري) : فرهنگ ادبيات فارسي درى ، طهران ١٣٤٨ ش
- ٢٨ - محمد اسحق : سخنوران ايران در عصر حاضر دهلي ١٣٥٥ هـ . ق

- ۲۹ - محمد رضا پهلوي : مأموریت برای وطن ؛ طهران ۱۳۵۰ ش .
- ۳۰ - مهدي ملكزاده : تاريخ انقلاب مشروطيت ايران طهران ۱۳۲۹ ش .
- ۳۱ - نصرت الله حكيم الهي : عصر پهلوي و تحولات ايران ، طهران ۱۳۴۶ ش .
- ۳۲ - ياسمي (رشيد) : ادبيات معاصر ، طهران ۱۳۱۶ ش
- ۳۳ - يحيي آرين پور : از صبا تا نيما ج ۱ ، ۲ طهران ۱۳۵۱ ش
- ۳۴ - يحيي نوري : حقوق زن در اسلام و جهان ، چاپ سوم ايران ۱۳۴۷ ش .

من المراجع الاجنبية

Bertels, Otcherk : Ostari Persidoskey Littraturi, Leningerad 1928

Brown, I. G. : A Literay history of Persia. Vol. IV. 3rd ed Com-
bridge 1930 .

Brown I. G : The Persian Revolution 1905 - 1909, 2nd ed.
London, 1966 .

Brown. I. G. : Press and Poetry of Modern Persia, London 1914

الفهرست

الفهرس

الصفحة	الموضوع
٥	الاهداء
٧	المقدمة
	. التمهيد : الحياتان السياسية والاجتماعية في ايران خلال
١١	العصر الحديث
١١١	١ - الحياة السياسية
٢٢	ب - الحياة الاجتماعية
	الباب الاول
٢٧ - ١٣٠	من القضايا السياسية
٢٧	الفصل الاول : التصدي للنفوذ الاجنبي في ايران
٢٩	الموقف من اتفاقية ١٩٠٧
٣٨	قضية المستر شوستر
٤٢	التعاطف مع المانيا خلال الحرب العالمية الاولى

الصفحة	الموضوع
٤٩	شجب معاهدة ١٩١٩
٥٣	اجتياح الاراضي الايرانية خلال الحرب العالمية الثانية
٦١	الفصل الثاني : الشعر في خدمة الثورة الدستورية
٦٣	مفدمات الثورة الدستورية
٧٥	الثورة ، وبدء الحياة النيابية
٨٢	الاعتداء على المجلس وتوقف الحياة النيابية
٨٧	ثورة آذربايجان
٩٦	فتح طهران واقصاء محمد عليشاه عن العرش
	الفصل الثالث : الدعوة الى حكم جمهوري ووئوب رضا شاه
١٠٣	الى كرسي الحكم
١٠٥	بين دعاة الجمهورية ومعارضيه
١٠٨	عشقي والدعوة الى الجمهورية
١١٤	ملك الشعراء بهار والدعوة الى الجمهورية
١٢٠	خلع أحمد شاه وتنصيب رضا شاه
	الباب الثاني
١٣١ - ٢٢٠	من القضايا الاجتماعية
١٣١	الفصل الاول : الانتصاف للطبقات الكادحة
١٣٣	التعسف الاجتماعي
١٤٥	الثورة ضد الظلم والظالمين
٣٦٠	

الصفحة	الموضوع
١٥١	التكافل الاجتماعي
١٥٩	الفصل الثاني : الاهتمام بالعلم والعمل
١٦١	أولا : الاهتمام بالعلم والتعليم
١٧٢	الإشادة بالمعلم
١٧٧	ثانيا : الاهتمام بالعمل
١٩١	الفصل الثالث : تحرير المرأة
١٩٣	تمهيد
١٩٤	الشعراء وتحرير المرأة
٢٠٥	مشاركة المرأة الإيرانية في هذا المجال

الباب الثالث

٢٢١ - ٣٤٦	من القضايا الأدبية
٢٢١	الفصل الأول : هل خلا الأدب الحديث من المنظومات الشعرية ؟
٢٢٣	تقديم
٢٢٩	منظومة كارنامه زندان : ملك الشعراء بهار
٢٣٤	عرض عام للمنظومة
٢٦١	منظومة زهره ومنوجهر : ایرج میرزا
٢٦٦	عرض عام للمنظومة
٢٨٣	كلمة أخيرة

الموضوع	الصفحة
الفصل الثاني : كلمة اوروبية أم كلمة عربية	٢٨٥
ادخال الكلمة الاوربية الى الشعر الفارسي الحديث	٢٨٧
التمادي في تيار « الفرنجة » ، والتصدي لوقفه	٢٩٥
الموقف من الكلمات العربية	٣٠٠
الفصل الثالث : الشعر النسائي	٣١١
تقديم	٣١٣
المرأة والرجل	٣١٦
المرأة والاسرة	٣٢٢
المرأة والوطن	٣٣١
كلمة لها بقية	٣٤٧

